

أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة أبرز قادة المياني

المشير
فون رونشتد
القائد الإنسان

تأليف

اللواء كونثر بلومنتريت
من هيئة أركان حرب رونشتد



ترجمة
محمود شيت خطاب
(اللواء الركن)

0160725



Bibliotheca Alexandrina

اسرار الحرب العالمية الثانية

أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة أوبرز قائد الماني

المشير
فون رونشتد
القائد الإنسان

تأليف
اللواء كونثر بلومنتريت
(رئيس هيئة أركان حرب رونشتد)

ترجمة
محمود شيت خطاب
(اللواء الركن)

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

القادة العسكريون يستحقون الرثاء اكثر
مما تتصور : العالم كله يتصدر للحكم على اعمالهم
من غير ان يستمع الى اقوالهم ، والصحافة قلما
تذكرهم ، وربما لا يفهم واحد من الآلاف الذين
يحكمون عليهم ا بسط معاني القيادة حق لأصغر
الوحدات .

فردريك الكبير
ملك بروسيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— مقدمة المترجم

صدر هذا الكتاب باللغة الألمانية عام (١٩٥٢) ، وسرعان ما ترجم الى اكثر اللغات الحية .. نظراً لأهمية معلوماته وجدتها من جهة ، ولشهرة مؤلفه والمؤلف عنه من جهة اخرى .

لقد ترجمناه عن اللغة الانكليزية متوخين الاطلاع على آراء الجانب الألماني في أهم حوادث الحرب العالمية الثانية ، بعد ان اطلعنا على آراء الحلفاء عنها ، ومن مقارنة آراء الجانبين يمكن استنتاج حقائق الحرب العالمية الثانية بوضوح .

كما توخينا من ترجمته تفهم الاسلوب الحديث في دراسة تاريخ الحرب متمثلة في سير قادته البارزين .

يتحدث مؤلف هذا الكتاب عن اهم ما يشغل بال العسكريين والمثقفين من المدنيين على حد سواء عن أسرار الحرب العالمية الماضية ، كما انه يجيب بصراحة ووضوح — كشاهد عيان — عن اكثر المشاكل التي حار بتعليلها المفكرون والتي حدثت قبل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية .

ما هي حقيقة نيات هتلر السلمية والحربية ؟ كيف اندلعت نيران الحرب ؟ ما هي حقيقة الجيش الألماني على عهد هتلر ؟ كيف قاتلت مشاته في ابتداء

الحرب ؟ ما هي حقيقة العلاقات الالمانية - الروسية قبل الهجوم الالماني على روسيا ؟ لماذا لم يقم الحلفاء بأعمال حربية خلال انشغال الالمان بالحرب البولندية ؟ ما أثر الدعاوة الالمانية قبيل الحرب وفي أثنائها ؟ كيف أفاد الجيش الالماني من تجاربه في بولندا لاصلاح أخطائه ؟ ما هي حقيقة محاولات هتلر السلمية أثناء الحرب ؟ لماذا سمح الالمان للبريطانيين بالانسحاب من دانكيرك سالمين ؟ كيف جرى تطبيق حرب الصاعقة ؟ كيف جرى التقدم الالماني في فرنسا ؟ ما هي عوامل انهيار فرنسا ؟ لماذا لم يهاجم الالمان بريطانيا في عقر دارها حينما كان الالمان في أوج انتصاراتهم ؟ ما هي حقيقة الوضع السائد في روسيا قبيل الهجوم الالماني ؟ ما حقيقة وضع القوات الالمانية في الجبهة الغربية قبيل الانزال ؟ كيف يسيطر الدكتاتور على قواته وقادته ؟ ما أثر نقص الوقود على نتائج الحرب ؟ ما حقيقة كفاءة الاستخبارات الالمانية ؟ كيف دافع الالمان في نهاية الحرب ؟ ما حقيقة تعرض الالمان في الاردن ؟ ما هي مزايا هتلر الشخصية ؟ ما أثر المحسوبية في تقدم القادة الالمان ؟ كيف جنت ألمعية رونشتد عليه ؟ ما هي حقيقة رونشتد القائد الانسان ؟

ستقرأ جواب كل ذلك - وما ذكرناه بعض ما ستقرأه - في هذا الكتاب، يرويه لك شاهد عيان ألمعي يعرف ما يقول ويزن كلامه فلا يلقيه جزافاً على غير هدى ولا بصيرة ، ولسنا بحاجة الى الافاضة في سرد محتويات ما ستقرأه وشيكاً حق لا نضيع عليك كثيراً من المتعة ، فلنترك ذلك للقراء .

ولله كل الفضل فيما فعلنا ، وله كل الشكر على ما أنتجنا .

محمود شيت خطاب

لواء ركن

— مقدمة الطبعة الثانية —

نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب بسرعة مذهلة ، لانه كان اول كتاب صدر عن وجهة النظر الالمانية في الحرب العالمية الثانية ، من خلال ترجمة حياة اعظم قادة الالمان في تلك الحرب ، وهو المشير فون رونشتد .

كان صدور الكتاب في عام ١٩٦٠ اي في اوج انحراف قاسم العراق ، وكان قاسم يعتبر نفسه القائد الأوحـد ، وكان الناس يعرفون حقيقته في القيادة ، لذلك زعم قاسم بان الكتاب وفيه ما فيه من مزايا القائد الحق ، يسته شخصياً ويشكك في قيادته المزعومة .

لقد كان رونشتد غير حزبي ، وكان متفرغاً للقضايا العسكرية ، وكان شخصية رصينة تقول الحق وتظهر وجهة نظرها بصراحة حق لهتلر نفسه .

وكانت فيه مزايا انسانية رفيعة ينذر وجودها - في القادة العسكريين الالمان والروس والبريطانيين والامريكان... ولعل هذه المزايا هي التي حببت إلي ترجمة هذا الكتاب .

لقد أسر الروس بعض القادة الالمان في (ستالين غراد) وفي غيرها من مناطق الجبهة الروسية ، فكوّنوا من بعض هؤلاء القادة الالمان جمعية (المانيـة الحرة) في روسيا تبث الدعاية للروس ضد الالمان .

ولم يكن رونشتد على وفاق مع هتلر ولا مع نظامه ، ولكنه استنكر بشدة خيانة هؤلاء الالمان لوطنهم الام ، وكان عملهم في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار العسكرية، بل هو (خيانة) قد تؤدي الى ضياع أرواح جنود كثيرين من الالمان في الجبهة الشرقية

وحين سمع رونشتد مرة وهو في مقر قيادته الغربية دعاية جمعية (المانيا الحرة) ، علق عليها بقوله : « تستثمر السياسة كل نوع من انواع (الخيانة) ولكنها لا تشرف (الخونة) » ...

هذه الجملة ذات المعاني العميقة الرائعة ، اسكرتني وشجعتني على ترجمة الكتاب واخراجه للناس .

لقد عاونني في ترجمته العميد الركن منير فهمي الجراح مشكوراً ، كما عاونني الاستاذ عبد الرحمن الملاح ، وبذلك خرجت الترجمة قريبة من الكمال ولولا معاونتها الصادقة لما خرج الكتاب بهذا الشكل دقة وبياناً ...

والله اسأل ان ينفع به العسكريين والمدنيين من ابناء الشعب العربي من الخليج الى المحيط ، وابناء المسلمين في دار الاسلام .

والحمد لله كثيراً ، وأشكره على توفيقه ، وادعوه ان يأخذ بيد العرب الى الوحدة الشاملة لينتصروا في معركة الثأر على اسرائيل، انه سميع مجيب .

محمود شيت خطاب

(لواء ركن)

— المقدمة —

بقلم المشير فون رونشتد

حسني كثير من الناس خلال السنوات الثلاث التي قضيتها سجيناً في انكلترا، على ان أكتب قصة حياتي ... ولكنني رفضت دائماً القيام بذلك ، لأنني تخوفت ان يظن الناس خطأ اني أريد ان أبرء نفسي ، او افسر الحوادث لمصلحتي .

كما انني لا أريد ان أضيف مجلداً جديداً الى سوق الكتب ، إذ ليس فيها متسع لكتاب جديد .

ولا بد لي من التنبيه هنا ، بأنني لم أسجل أبداً أي مذكرات عن حياتي، كما لم أكن أحتفظ بأي نوع من المستمسكات والوثائق .

والآن ، ولأول مرة ، ألبى رجاء شركة (أودهم) المحدودة للطباعة ، بالموافقة على طبع هذا الكتاب الذي قام بتأليفه ضابط ركن الحركات في مقرري لبضع سنين خلت ، ثم اصبح رئيس هيئة أركانني بعد ذلك ، وكان دائماً بتماس شديد معي جندياً وصديقاً .

اني متفق تماماً مع كل ما جاء في هذا الكتاب ، ولكنني بالطبع تركت للمؤلف تقدير صفاتي الشخصية كما يريد .

وأرغب ان أصرح هنا ، بأنني عوملت أثناء سجنى في انكلترا من
البريطانيين والامريكان معاملة مناسبة ، وكثيرون من الانكليز والامريكيين
ومن الامم الاخرى ، أبدوا تقديرهم ورعايتهم لي حينذاك مما لا يستطيع ان
أكافئهم عليه الآن بغير الشكر الجزيل .

ان المستقبل يتطلب من الأمم ان تختار اتجاهاً مشتركاً يوحد اهدافها ،
وعسى ان يأخذ الله بيد البشرية لاختياره ...

حقاً لقد اقترفنا جميعاً الآثام والذنوب التي يجب بل يتحتم علينا نسيانها ،
ولهذا السبب فقد جاء هذا الكتاب مطابقاً لهواي الصريح ولهوى المؤلف
ايضاً ، فهو غير محتور على اى مغمز لأية امة معينة او لأي شخص معين .

يجب ان نعلمنا خبرتنا بالحياة : بأن القضاء والقدر ، أقوى من محاولات
البشر .

فون رونشتد



— مقدمة المؤلف —

بقلم اللواء كونثر بلومنتريت

غمرني فرح عظيم ، عندما سمح لي المشير فون رونشتد ان أكتب عن سيرته انساناً وجندياً ، وعما قام به من اعمال قائدأ من أعظم القادة الالمان .
عشنا جنباً الى جنب صديقين حميمين جمعتنا روح الجندية الحقة في السراء والضراء وفي ايام الرخاء والشدة .

لقد عرفت المشير فون رونشتد لأول مرة عام (١٩٢٦) حين كان آمراً لكتيبة المشاة الثامنة عشرة الملقاة في مدينة (باديربورن Baderborn) ، ولكن معرفتي به توثقت من عام (١٩٣٢ - ١٩٣٣) لما التحقت بهيئة اركان مقره في برلين . غير انني عرفته تماماً بكل دقة حينما عشنا معاً خلال الحرب العالمية الثانية وأثناء كنا أسيرين بعدما وضعت الحرب أوزارها .

ومنذ ان اندلعت نيران الحرب عام (١٩٣٩) حتى تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٠) أشغلت منصب ضابط الركن الاول للحركات في مقر المشير اثناء الحملة البولونية والحرب في الجبهة الغربية ، وفي نهاية ايلول عام (١٩٤٢) اصبحت رئيس هيئة اركان مقره ، حيث بقيت بهذا المنصب حتى أوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤) .

وأخيراً اشتغلت تحت قيادته آمراً لأحدى التشكيلات في الجبهة الغربية،
ومن ثمّ شاركته مصيره أسيرين في انكلترا .

انه رجل لا كالرجال الآخرين .. لم يتظاهر ابداً بالعصمة ، ولكنه كان
رجلاً عظيماً يمتاز بالخلق الكريم . ان هذا الكتاب يحمل لتاريخ حياته بصور
بإيجاز الناحية الانسانية من حياة المشير ، بالإضافة الى ما قام به من اعمال
عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية على العموم .

يتذكر المشير كل شيء عن اعماله الماضية التي تبرىء ساحته وذمته ،
ولكنه يتفاقل عما لحقه شخصياً من ظلم وعدوان .

وهو لا يشكو ولا يتهم أي انسان، لأنه ينظر الى المستقبل لا الى الماضي،
لذلك جاء كتابي مطابقاً لرغبته الصريحة ولرغبتي من هذه الناحية ، وحسب
هذا الكتاب ان ينير طريق السلم للمستقبل .

كونثر بلومنتريت

لواء مشاة



— عائلته وأيسامه الأولى

معلومات هذا الفصل ، مقتبسة عن الرائد (الرئيس الأول المتقاعد)
أودوفون رونشتد شقيق المشير فون رونشتد ، البالغ من العمر الآن أربعة
وسبعين عاماً والقاطن في ألمانيا ضابطاً متقاعداً منذ سنين طويلة خلت ، فقد
اشترك هذا الشقيق مع النجل الأوحيد للمشير رونشتد وهو الدكتور المؤرخ
المرحوم فون رونشتد المتوفي عام (١٩٤٨) بتأليف مختصر لتاريخ حياة
المشير فون رونشتد .

ومن النادر جداً أن يتطرق المشير رونشتد الى التاريخ القديم لعائلته حتى
في دائرة الصفاة المختارة من أصدقائه ، اذ من طبيعته النفور من التحدث عن
نفسه ، والمتصلون به يعرفون انه لا يشير الى نفسه الا نادراً او متهاكاً .

ومن المستحيل في هذا الكتاب ، وصف تقاليد عائلته التي تمتد جذورها
الى ثمانمائة وخمسين عاماً تقريباً . متى واين عاش اول فون رونشتد ؟ ماذا
حل به ؟ كل ذلك لا يمكن تقديره اليوم . لقد جاء ذكر عائلة رونشتد لأول
مرة في وثيقة خطية وضعها (برينكاز) رئيس تشريفات مطران مقاطعة
(هالبرشتات) الكائنة غربي الألب في الحافة الشمالية الشرقية من جبل (هارز)
والتي كانت حينذاك جزءاً من الدولة الألمانية القديمة ، و (برينكاز) هذا ورد
ذكره في السجلات الرسمية القديمة لعام (١١٠٩) .

لقد شارك فرع من هذه العائلة في توطيد دعائم القومية الألمانية في اقطاعية (براندنبرك) الواقعة شرقي الالب . وفي عام (١٣٣١) أسس فرع هذه العائلة اقطاعية قرب (ستندال) الواقعة غربي الالب ، حيث بقيت تحت حكم هذه العائلة حتى عام (١٩٤٥) .

لقد وجد اسم عائلة (رونشتد) الاصلي في مقاطعة (هارز) ، وقد استقر اسم هذه العائلة في بقايا القلعة القديمة قرب (هالمشتاد) ، حيث يملك الروس نقطة سيطرة هناك في الوقت الحاضر .

ومن المهم أن نتذكر دائماً ، بأن اكثر الذكور من عائلة رونشتد كانوا رجال الجيش خلال القرون الطوال .

كانت اوروبية في القرون الوسطى وفي اوائل العصر الحديث غربية الى درجة ملحوظة روحياً وفكرياً ، وعلى الرغم من وجود الحدود السياسية بين حكوماتها ، فقد برز اتجاهها الاوروبي الموحد الى العيان بشكل يستحق الاهتمام .

وأخيراً عند ظهور الدول القومية في اوروبية ، فإن تقاليد التراث الروماني ومخلفات القرون الوسطى ضاعت ثانية ، ولم تكن عائلة فون رونشتد لتشد عن ذلك ، بل شاركت مصير كثير من العوائل الألمانية القديمة .

ومنذ عهد التقارب بين الدول الاوروبية على عهد الامبراطور شارل الخامس ، نجد ان رجال هذه العائلة من ذلك الوقت يعملون في جيوش الرايخ الالماني وفي السلك الخارجي وفي جيوش اكثر دول غربي اوروبية تقريباً . وكمثال ، فقد قاتل المشير هانس فون رونشتد تحت لواء (وليم اورانج) بجانب الهولنديين ضد الاسبانيين ، وعندما تكون الجيش الهوسي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، كان من الطبيعي ان ينخرط فيه معظم أفراد

هذه العائلة . كما نجد مرة أخرى العقيد (جواخين فون رونشتد) يلتحق عام (١٧٤٦) بخدمة (الهيسين) ويذهب الى اسكوتلندا لينضم الى صفوف (آل ستيفارت) الذين كانوا يناضلون للحصول على السيطرة في جيش الحكومة الانكليزية .

كما اشتركت عائلة رونشتد في جميع الحروب البروسية التي خاضها الجيش البروسي عدا حرب الاستقلال الالماني التي نشبت خلال (١٨١٣ - ١٨١٥) .

وفي اوائل القرن التاسع عشر لم يكن في هذه العائلة من الذكور البالغين من يشترك في حرب (١٨١٣ - ١٨١٥) ، وهكذا نجد احفاد هذه العائلة التي تمتد عروقها الى عام (١١٠٩) غالباً ما يتخذون الجندية مهنة لهم في جيوش اوروبه الغربية كافة ، وسنرى فيما بعد كيف تمسك المشير فون رونشتد بتقاليد عائلته العسكرية هذه .

ان كل رجل يرث مزاياه عن طفولته ، والذي يريد أن يدرس شخصية ما ، عليه ان يتحرى ايام طفولتها والبيئة المحيطة بها .

ولد (كريد فون رونشتد) في ١٢ كانون الثاني (ديسمبر) عام (١٨٧٥) في (اسكيرس لين) غرب (كويدينبرغ) وكان الولد البكر من بين اربعة أخوة ، وكان والده حينذاك (ملازماً) في كتيبة الخيالة البروسية الملكية . أما امه (ني فيشر) فهي ابنة عمدة مقاطعة واقعة قرب (ماكديرك) ، وكانت صغيرة السن حين ولدت بكرها فون رونشتد ، فاستعانت بمربية انكليزية لمعاونتها في تربيته ، فاكتمسب فون رونشتد ، من مربيته هذه دون ان يشعر تلقائياً بمعلوماته في اللغة الانكليزية ، كما اقتبس منها كثيراً من عادات الانكليز .

ان عائلة (فيشر) التي انحدرت من أصلها والد فون رونشتد ، هي من (الهيكنوت) الذين فروا من فرنسا الى المانيا من جراء الاضطهاد الديني .

لقد ورث رونشتد عن والدته أكثر مزاياه ، كما يرث أكثر الاطفال مزايا أمهاتهم في الغالب ، ومن تلك المزايا الجرأة الصادقة المتحدرة من دمائه الهيكونوت اجداد والدته .

كتب عنه شقيقه ما يلي : « ورث الذكاء عن أمه وروح الجندية عن أبيه ، وكما هو مألوف في العناية بتربية الولد البكر ، فقد غرست في تربيته الاولى ما يمكن غرسه من الالمعية والعبقرية ، وهكذا بلغ شأواً عالياً في الرسم والموسيقى ، اما قابليته في المحاكاة فقد برزت في محاكاته كلام الآخرين .

« لقد احتفظ باللمعية المنطقية المبتكرة حتى اواخر حياته ، وعندما يكون على خير حال منطلقاً على سجيته بين المخلصين من احبابه الذين ألف مخالطتهم ، فانه لا يقتصر على محاكاة لهجات اللغة الالمانية الدارجة فحسب ، بل يحاكي لهجات لغات الشعوب الاخرى كافة ، وكانت محاكاته مبتكرة حقاً ، فلا الالماني انفسهم ولا الاجانب من غير قوميه ، يستطيعون السيطرة على ابتساماتهم وضحكهم عندما يريد رونشتد ان يثير فيهم الابتسام والضحك بأسلوبه المنطقي المتحدر الخاص .

« ورونشتد نفسه نادراً بما يضحك ، ولكنه سريع البديهة في ارسال النكات الرائعة ، وحق عندما كان في الكلية العسكرية - كما يقول شقيقه - كان يحاكي رؤساءه في تصرفاتهم وحركاتهم ، واخيراً مارس قابليته هذه على حساب تصرفات وحركات هندنبرغ وهتلر .

« وعندما نقل والد المشير فون رونشتد الى كتيبة الخيالة الثالثة عشرة في مدينة (مينز) ، التحق بالمدرسة الاعدادية في تلك المدينة ، وبعد تخرجه فيها التحق بالجامعة .

« وفي المسبح العسكري على نهر (الراين) قرب (مينز) حيث كان

فيها يومذاك ولي العهد الامير (فردريك) الذي اصبغ بعد وقت قليل الامبراطور فردريك صهر الملكة فكتوريا والذي كان في (مينز) لأغراض تفتيش القطعات العسكرية هناك ، فأخذ يتهارش معنا نحن الصغار في العوم دون ان نعرف هوية زميلنا في اللعب الذي كان أكبر سناً منا حينذاك .

« وفي ذلك الوقت كان هناك جسر (بونتون) فقط على نهر الراين ينبغي رفعه بين حين وآخر للاستطيع التوابع والارماث العبور ، وقد أثار ذلك في نفسي ونفس شقيقي خيالاً عن مستقبلنا .

« تصور شقيقي انه (مشير في الجيش) يقود جيشاً مفروضاً يتقدم من الشمال ، وتصورت نفسي (شقيق رونشتد) (اميرالا) في البحرية يقود الاسطول ، وعلى ضفة النهر كان شقيقنا الثالث (ابرهارد) يمثل بقبعته الواسعة شحاذاً .

« اشترى السيد (هاربنكتون) ملكاً قرب (مينز) وكان ولده (دوكلاس) زميل الدراسة لفون رونشتد ، فأصبعا صديقين ، لأن بإمكانهما تكلم اللغة الانكليزية سوية .

« وفي يوم من الايام أراد (دوكلاس) ان يشاكس زميلاً له في المدرسة لا يحب معاشرته ، فقرر ان يقصف مائدة يوم عيد ميلاد عدوه بلعبة على شكل مدفع ، فدعاني (دوكلاس) وشقيقي (فون رونشتد) للاشتراك بهذا القصف ، ولكن عاصفة هوجاء مفاجئة اكتسحت حفلة عيد الميلاد واضطرت المدعوين الى الالتجاء الى داخل الدار ، وهكذا فشلت مؤامرتنا .

« وقد أراد بعض الاطفال الصغار الافادة من البارود الذي كان معنا لينسفوا به جسراً صغيراً فوق احد روافد (الراين) ... الا ان هذه الخطة فشلت ايضاً لفرق القارب الذي قرر المتآمرون الافادة منه لاجراء هذا

النسف ، .

هذه الذكريات عن السنين الاولى من حياة رونشتد ، تدل على طفولة متحررة من القيود ، تلك الطفولة التي قرر خلالها رونشتد ان يكون جندياً ، خضوعاً للتقاليد القديمة التي استقرت كمثل أعلى في عقله .

ومن (مينز) نقل والد المشير الى (فرانكفورت) مساعداً^(١) لفرقة المشاة الثانية والعشرين التي كان مقرها عام (١٨٨٦) في معسكر المدينة . وفي عام (١٨٨٨) التحق فون رونشتد واخوه الى مدرسة التلاميذ العسكريين المستجدين^(٢) في (اورانين شتاين) وهناك تحمل الطفل الذي لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره تدريباً عسكرياً شاقاً كان يطبقه حينذاك الجيش البروسي القديم على تلامذة المدرسة العسكرية ، وفي هذا المحيط شعر رونشتد الصغير اول الامر بحنين شديد الى أهله .

ولم يكن مألوفاً للأشقاء في ذلك الوقت وفي هذه المدرسة الاسبارطية بالذات ، أن يخاطبوا بعضهم بأسماء الشخصية ، بل كان المألوف ان يتخاطبوا بأسماء عوائلهم ، ولكن الشقيعين من آل رونشتد لم يتقيدا بذلك وبقيبا يتخاطبان بأسمائها الشخصيين .

وفي عام (١٨٨٩) جرى تمثيل رواية (كليشت) المسماة الهيرمان شلاخت على مسرح المدرسة العسكرية ، وكان فون رونشتد يقوم بدور المشير الروماني (فاروس) ، وفي اثناء مبارزته ضد ممثل دور الامير الالماني الذي كان متشعماً

(١) يطلق عل منصب المساعد في الجمهورية العربية المتحدة اسم : اركان حرب .

(المعرب)

(٢) المستجد : هو المدني الذي دخل العسكرية حديثاً ، ويطلق هذا المصطلح العسكري عل تلامذة الكلية العسكرية الأحداث ، عل الجنود الذين انخرطوا في سلك الجندي حديثاً .

(المعرب)

بسيف ياباني حقيقي من نوع (ساموراي) جهزه به والده ، هوى بهذا السيف على الخوذة الورقية التي كان يرتديها فون رونشتد ، فأحدثت هذه الضربة جرحاً بليغاً في رأسه .

وفي عام (١٨٩٠) نقل فون رونشتد الى الكلية العسكرية للتلاميذ الأقدمين في (ليختر فيلد) حيث مارس تدريباً أشد عنفاً هناك . وقد ساهم مع تلاميذها في مراسم تبديل الحرس ، وعندما دعا القيصر القوات الاحتياطية للخدمة ، اشترك التلاميذ في التدريب الاجمالي (المناورات) مع تلك القوات ، وعندما توفي الطاعن في السن المشير فون (مولتكه) عام (١٨٩١) ، انتظمت تلامذة الكلية العسكرية على جانبي الطريق حيث مرت النعش من بينهم ، وكانوا قد أجروا قبل ذلك عام (١٨٩٠) استعراضاً أمام بناية هيئة الاركان العامة بمناسبة عيد ميلاد (مولتكه) التسعين. كان رونشتد في طفولته كأى طفل آخر ، وحقيقة طفولته يوضحها شقيقه الذي كان معه في الكلية العسكرية اذ يقول :

« كانت المراقبة غير كافية في الكلية ، وكانت متطلبات النظام فاشلة تماماً بالنسبة لبعض المعلمين ، وكان رونشتد يشارك الآخرين في الاعييبهم في الصف .

(وفي يوم من الأيام كان احد المعلمين يتلصقاً على باب الصف ، فناداه رونشتد باسمه قائلاً له : والآن ستدخل الصف أم ستذهب عنا ؟ ... فسجل المعلم وهو الدكتور (رايخ) اسم رونشتد في سجل المذنبين عقاباً له ، وكتب ازاء اسمه الملاحظة التالية : (رونشتد وقح وعنيف) ...

« ولما عرض هذا السجل على المراقب العسكري الذي كان برتبة رئيس ، اعتبر هذه الملاحظة ثناء على رونشتد فمنحه اجازة خاصة يقضيها في برلين .

« تبدأ العطلة الاسبوعية عادة بعد الصلاة في الكنيسة يوم الأحد ، وفي

احدى هذه المعطل ، حاول التمتع بالاجازة مبكراً ، فزعم انه يريد مرافقة جدته المسنة في ركوب الخيل في الغابات ، ولو ان جدته في الواقع كانت مريضة في المستشفى ...

لقد انتشرت جيداً أمثال هذه النكات عن رونشتد بين أصحابه .

اجتاز رونشتد عام (١٨٩٢) الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة نائب ضابط حربي مشاة وفي تلك الايام كان أمر اختيار اي صنف من صنوف الخدمة الثلاثة : المشاة والخيالة والمدفعية ، متروكاً لرغبة الضباط الاحداث الطموحين من خريجي الكلية العسكرية .

كانت رغبة رونشتد في الالتحاق بصنف الخيالة ، فأبوه ضابط خيال في فرقة (الهوسار) ، كما ان مزاياه العقلية تنطوي على سرعة الخاطر والحزم والمقدرة على الانتقال من واجب الى آخر بكفاءة وسرعة ، كل ذلك يؤهله للانتساب الى صنف الخيالة ، غير ان الموارد المالية المحدودة لعائلة والده المؤلفة من أربعة ابناء لا تففي بمطالب هذا الصنف الذي يحتاج الى نفقات باهظة ، لذلك اتجه رونشتد الى صنف المدفعية ، فلم تتحقق رغبته بالانتساب الى هذا الصنف ايضاً ، لكثرة طلبات الضباط الاحداث ولشدة رغبتهم في صنف المدفعية حينذاك .

وفي سن السادسة عشرة التحق النائب الضابط الحربي فون رونشتد بالمشاة في الكتيبة الثالثة والثمانين الملكية البروسية في مدينة (كاسل) حيث قضى خدمته فيها لمدة ستة اشهر كأبي ضابط صف او جندي بالضبط ، وفقاً للتقاليد الالمانية ، وذلك ليكون متفهماً وثيق الصلة بحياة الجندي الذي يتولى قيادته ! وفي سنة (١٨٩٢) التحق بالكلية العسكرية في (هانوفر) حيث اجتاز الامتحان الذي يؤهله لنيل رتبة ضابط ، فأصبح برتبة ملازم ثان في حزيران (جون) سنة (١٨٩٣) .



رونشتد في المدرسة العسكرية للمستجدين

سنعالج فترة حياته من (١٨٩٣ - ١٩١٤) بإيجاز : أتاحت
حامية كاسل بموجودها الكبير وصنوفها المتعددة لرونشتد فرصة قادرة
للاطلاع على تنظيم واسلوب الخدمة في الجيش وعلى اعماله الشاقة الرتيبة ،
وبعد بضع سنوات نقل الملازم الثاني فون رونشتد الى مدينة (ارولسن)
لكي يشغل منصب مساعد في كتيبة المشاة الثالثة والثمانين التي كانت هناك .

كانت (ارولسن) عاصمة اماره (ولديك) وهي من الامارات التي
تولت الحكومة البروسية تنظيم الأعمال فيها وإدارتها ، فلم يبق بعد ذلك
لاميرها الشاب ما يعمل ، فأصبح بلاطه رمزياً او صورة مصغرة للبلاطات
الحقيقية ، لهذا السبب وجد هذا الامير متسماً من الوقت ينفق اكثره ضيفاً
على مطعم الضباط حيث كانت له علاقات وطيدة طيبة بالملازم الثاني فون
رونشتد .

أما طراز الحياة في هذه المدينة ومدى تشابه النظام فيها بالنظام القبلي ،
فيمكن ادراكه اذا علمنا ان مواطنيها الطيبين كانوا حينذاك يتطوعون لحمل
ملازمي الحامية في الايام المطيرة ذات الأجواء الرديئة على ظهورهم حفظاً
لاحذيتهم الجلدية الطويلة الماعية من البلل ، ولتبقى نظيفة صالحة لحفلات
الرقص في بلاط الامير ، ولقد حدث في مناسبة من هذه المناسبات ان
سقط فون رونشتد سقطة منكرة من فوق ظهر الرجل الذي يحمله ، فتلوثت
ملابسه وحذاؤه بالوحل ، فأمن له الامير ما يزيل عنه الوحل ويعيد اليه
نظافته ، واستعان لهذا الغرض بمناديل المائدة وبالثلج الذي استخرج من
أوعية الشمبانيا .

ولم يكن في هذه الفترة في (ارولسن) سيارات حتى ولا عربات تجرها
الخيول .

وفي إحدى هذه الحفلات التقى فون رونشتد بالاميرة الشابة (ولهمينا)

التي كانت تقيم في بلاط الامير والتي اصبحت فيما بعد ملكة (هولندا) ،
فأعجب بها اعجاباً شديداً .

تزوج رونشتد بعد عودته الى (كاسل) سنة (١٩٠٢) من (لويڤون
كوتز) ابنة رئيس اول متقاعد يسكن هناك ، وفي سنة (١٩٠٣) رزق
طفلاً شب ليكون بعد ذلك مؤرخاً لا ضابطاً خلافاً لكافة تقاليد عائلته ،
اذ انه بعد ان دخل مختلف الجامعات واجتاز امتحانات الدولة وحصل على
لقب (دكتور) انهمك في عمله باحثاً ومؤرخاً الى ان اندلعت نيران الحرب
العالمية الثانية ، وقد رافق اياه منذ سنة (١٩٤٣) في ميادين القتال ، وكان
معه في سجنه بانكلترا ، ثم توفي سنة (١٩٤٨) في (هانوفر) .

لقد سمحت السلطات البريطانية بتأييد من مونكومري - باجازه
لرونشتد للطيران من انكلترا الى المانيا في عيد ميلاد سنة (١٩٤٧) لرؤية
ولده الذي توفي بعد ذلك بقليل .

وفي سنة (١٩٠٣) عندما كان رونشتد يشغل منصب مساعد مكتبية
المشاة الثالثة والثمانين اجتاز الامتحان الذي يؤهله لدخول دورة مدتها ثلاث
سنوات في كلية الاركان ببرلين ، وفي هذه الدورة كان الدرس المفضل لديه
هو درس التعبئة .

وبعد انتهاء مدة الدورة عُيِّن فون رونشتد في (هيئة الركن العامة
الكبرى) كما كانت تدعى حينذاك ، وبعد قضاء مدة تجربته وهي سنة ونصف
نقل الى هيئة الركن العامة برتبة رئيس ، وطبقاً للانظمة السائدة في الجيش
كان عليه ان يعود الى الوحدات ، وقد عاد اليها واشغل منصب آمر سرية
في كتيبة المشاة الـ (١٧١) في مدينة (كولمار) بالالزاس .

وقد استمرت خدمته بعد ذلك وفقاً لاسس الجيش الموضوعة بدقة والتي
طبقها الجيش الالماني منذ سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤) .

— نهاية الجيش القديم

لا شك في ان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) مادة بحث على جانب عظيم من المتعة للمؤرخ ولرجل الحرب الممتحن ، اما القارئ الاعتيادي فلا يستمتع بها في الوقت الحاضر الا قليلا . لهذا السبب سنقتصر هنا على إيراد الحقائق الرئيسية التي تتعلق بأعمال فون رونشتد خلال هذه الحرب .

كان فون رونشتد برتبة رئيس عند اندلاع ثار الحرب العالمية الاولى ، منتسباً الى هيئة ركن الفرقة الاحتياطية الثانية والعشرين ، التي كانت تعمل في الجبهة الغربية ، وكان منصبه هذا يعادل منصب (ضابط الركن الاول قسم الحركات) في الجيش البريطاني ، وقد لعبت هذه الفرقة دوراً هاماً في معركة (المارن) ، وذلك بقضائها على محاولة قام بها الجيش الافرنسي من باريس لتطويق الجناح الأيمن للجيش الالماني ، وكانت هذه الفرقة هي التي استطاعت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ ان تكون على اقرب مسافة من العاصمة الفرنسية بحيث كانت تستطيع مشاهدة برج (ايفل) من بعيد .

كان رونشتد خلال تلك الايام المليئة بالحركات الفعالة ، المحور المحرك لهذه الفرقة حسب المعلومات التي أدلى بها شهود العيان كافة ، كما كان مصدر الهدوء والاتقان في قيادتها ، وهذه امور لا يمكن تقويمها بثمن ، على الأخص بعد ان أصيب قائد الفرقة بجراح خطيرة .

وعندما بدأت حرب الخنادق في الغرب عُيِّن رونشتد في الحكومة العامة في (انتويرب) ، وفي ربيع سنة (١٩١٥) جرى تعيينه مرة أخرى بمنصب ضابط ركن لفرقة اشتركت بعد ذلك في الجبهة الشرقية بالهجوم على (نيرو) ، وبانتهاء الحركات هناك أرسل فون رونشتد الى الحكومة البولندية العامة في (وارشو) التي كان الحاكم العام فيها حينذاك الجنرال (فون بسلر) وفي سنة (١٩١٦) تخلى عن منصبه في الجبهة الشرقية وعُين رئيساً لهيئة ركن فيلق في (الكربات) في هنغاريا .

وكان القائد الذي يتولى قيادة الفيلق المذكور حينذاك غير محبوب ، فعندما قدم رونشتد نفسه لأول مرة لهيئة الركن شعر ببرود من جانب ضباط الركن الآخرين . وفي إحدى الأماسي قال له احد الملازمين المرحين : « حقاً ايها الرئيس الاول ! انك طيب تماماً » . فأجابه رونشتد قائلاً : « ولم ؟ هل فكرت انني خلاف ذلك ؟ » ، فاستطرد الملازم مجيباً : « حسناً ! لقد أسرف القائد في إطرائك ، وكنا نخشى ان من يحظى بمثل هذا المديح منه لا بد وان يكون مثله صعب المراس فظاً » .

وفي منصبه هذا تسنى له معرفة الجيش القديم للنمسا والمجر على حقيقته ، كما برزت خلال ذلك موهبة رونشتد العظيمة التي يفتقر اليها الالمان الآخرون ، تلك الموهبة هي تجاوبه الروحي مع مرؤوسيه وحكمته في قيادته القطعات التي تعمل بأمره ، وسأشير الى هذه الموهبة مراراً عندما سأقتطع بالبحث الى الحرب العالمية الثانية .

وفي خريف سنة (١٩١٧) عُين رئيساً لهيئة ركن الفيلق الثالث والخمسين في الجبهة الشرقية ، وكان هذا الفيلق في ذلك الوقت قد أحرز نجاحاً في التقدم حتى بحيرة (بيبس) .

وفي المدة الباقية من الحرب أشغل الرئيس الاول الركن رونشتد منصب

رئيس هيئة ركن الفيلق الخامس عشر في الجبهة الغربية ، وبقي في هذا المنصب حتى نهاية الحرب .

ولرونشتد وجهات نظر شخصية قيمة حول إدارة الحرب الألمانية في الحرب العالمية الاولى : منها انه اعتبر ان خسارة المانيا لمعركة المارن في سنة (١٩١٤) كان نتيجة لتخفيف الجناح الأيمن للجيش الألماني خلافاً لخطة (شليفن) التعرضية الاولى ، كما ان هيئة ركن القيادة للجيش لم تقم بواجباتها في قيادته بحزم نظراً لأن مقرها كان بعيداً في الخلف ، كما ان القسيادة العنيدة لجيش الجناح الأيمن (فون كلوكه) سببت جعل هذا الجناح برمته في موقف حرج يصعب انقاذه منه .

وضعت معاهدة (فرساي) في سنة (١٩١٩) نهاية لتقاليد الجيش الجرمانى البروسي العريقة ، وكانت هذه التقاليد قد بنيت على الخدمة العسكرية العامة ومرتبطة بقسم ولاء لأرض الآباء والملكية المطلقة . انه كان جيشاً ملكياً ثم جيشاً امبراطورياً بعد ذلك ، مما أدى الى اتصال طبيعي بين الضباط وشخص العامل الحاكم . ومن سنة (١٨٧١) الى سنة (١٩١٤) عاشت المانيا وجيشها في سلم أمدته ثلاث واربعون سنة .

لقد كان واضحاً ان ضباط هذا الجيش كانوا قد انصهروا في بوتقة واحدة ضمن نسيج الجيش الداخلى ، وجرى تدريبهم على أفكار منسجمة . لقد كان لذلك بطبيعة الحال محاذير ، ولكن كان له ايضاً مزايا عظيمة .

تمتد جذور هذه الوحدة في الأفكار الى تقاليد أعرق في القدم كثيراً من عام (١٨٧٠ - ١٨٧١) ، فان بروسيا وبافاريا وروتنبرغ وسكسونيا وبادن وهيس كلها كانت دويلات المانية مستقلة ذوات سيادة وحكم ملكي قبل سنة (١٨٧٠) . وكانت جيوشها تتدرب وفقاً لتقاليدھا الخاصة واتجاهاتھا الفكرية ، وبامعان النظر في تطور المانيا التاريخي والسياسي نرى أن بروسيا

أخذت تتعاضد تدريجياً ، ولكن الروح والمميزات الخاصة بالدويلات الألمانية التي كانت سائدة في سنة (١٨٧١) بقيت حتى سنة (١٩١٤) واضحة ومحافظاً عليها ، وكان الجيش الألماني من سنة (١٨٧١) حتى سنة (١٩١٤) المرأة العاكسة للنظام الألماني الامبراطوري البسماركي .

وكانت ألمانيا وجيشها دعاء وحدة (فدرالية) تجمع الدويلات الألمانية في وحدة مشتركة مع احتفاظ هذه الدويلات الاعضاء بمميزاتهما ، ولكن في الواقع كانت دولة مؤلفة من عدة دويلات لضم الشمل وجمع القوى لتنفيذ المخططات المرسومة .

وكانت لهذه الدويلات المختلفة وعلى الاخص بافاريا كثير من الحقوق الخاصة والصلاحيات المستقلة المتوغلة في الشؤون الادارية ، وفضلاً عن ذلك فان الجيش البافاري الملكي لم ينضو الى قيادة القيصر الا في التعبئة العامة ، اذ بقي جيشاً منفصلاً ضمن اطار الجيوش الموحدة . وعلى كل حال منها اختلفت التقاليد بين جيوش ألمانيا ، فقد كان هناك بين ضباط الجيوش المختلفة اتسجام في النزعة الملكية والمخططات العامة ، وكانت هذه التقاليد الخاصة بالجيوش الألمانية المختلفة قديمة قدم تقاليد الجيوش الأوروبية الاخرى ، اما مصدرها فكان القرن السابع عشر عندما كانت فرنسا النموذج الذي تحتديبه الشعوب الاخرى كافة . لقد كان الجيش الافرنسي بقيادة لويس الرابع عشر مثلاً تجاريه الدول الألمانية ، فالمصطلحات الفنية العسكرية اشتقت عن الافرنسية على نطاق واسع . ان من المهم ابراز هذه الحقائق ، لان رونشتد المنحدر من اسرة نبئت قروناً عديدة في تربة مشبعة بالمثل التي تمت بصلة الى الحكم الملكي المطلق ، لذلك كان من الطبيعي ان يعارض رونشتد الاشتراكية الوطنية (النازية) باعتبار ان ذلك عالم بعيد عنه بعداً عظيماً .

لقد وضعت معاهدة (فرساي) سنة ١٩١٩ نهاية للرايخ الألماني القديم ،

فكان على الملك ان يعتزل وان يطوح بعرشه ، كما كان على المانيا بعد حقبة طويلة من تاريخها الملكي ان تختار لنفسها النظام الجمهوري ، وبنتيجة ذلك فان الاسس التي كان الجيش يرتكز عليها زلزلت تحت اقدامه الى حد بعيد واخذت بالزوال ، فأثر الكثيرون من الضباط التقاعد بعد ان عصفت الايام بما اتخذوه لهم مثلاً وشعاراً ، لذا لم تخلق (فرسايل) الجمهورية الحديثة فحسب بل خلفت القوات المسلحة الالمانية الحديثة ايضاً .

لقد اعطي شعب يسكن قلب اوربا ويتألف من (٦٨) مليوناً الحق في الاحتفاظ بجيش قوامه حوالي اربعة آلاف ضابط وستة وتسعين ألفاً من ضباط الصف والجنود فقط ، ناهيك حرمانه من الاسلحة كافة حتى المدفعية الثقيلة . كما ان وجود ثمانى عشرة كتيبة خيالة في ملاكه قلل من قيمته الحربية ، لأن هذا الصنف في سنة (١٩١٩) فقد الكثير من اهميته : للتطورات الفنية العسكرية الحديثة التي ازدهرت حينذاك ، ولعل خلق وحدات غير متكاملة كان اقل سوءاً بالنسبة لهذا الجيش المستحدث الصغير من الغاء الخدمة الاجبارية التي ارتكز عليها الجيش الالمانى منذ ما يزيد على المائة عام . وضعت (فرسايل) اسس جيش ممتن كان على الضابط الذي يخدم فيه ان يتعهد بالخدمة لمدة (٢٥) سنة ، وكان على ضابط الصف والجندي ان يتعهد بالخدمة لمدة اثني عشرة سنة . وكان هذا النظام غريباً عن الالمان ، لذلك احتاج هذا الجيش الصغير الى بضع سنوات كي يراه الالمان شيئاً .

لقد اختلفت الدوائر الالمانية في تفسير كنه هذا الجيش ، فالتى كانت في اقصى اليمين زعمت انه جيش أحمر ، والتى كانت في اقصى اليسار زعمت انه جيش الف ليكون اداة مناوئة للحركات الشعبية .

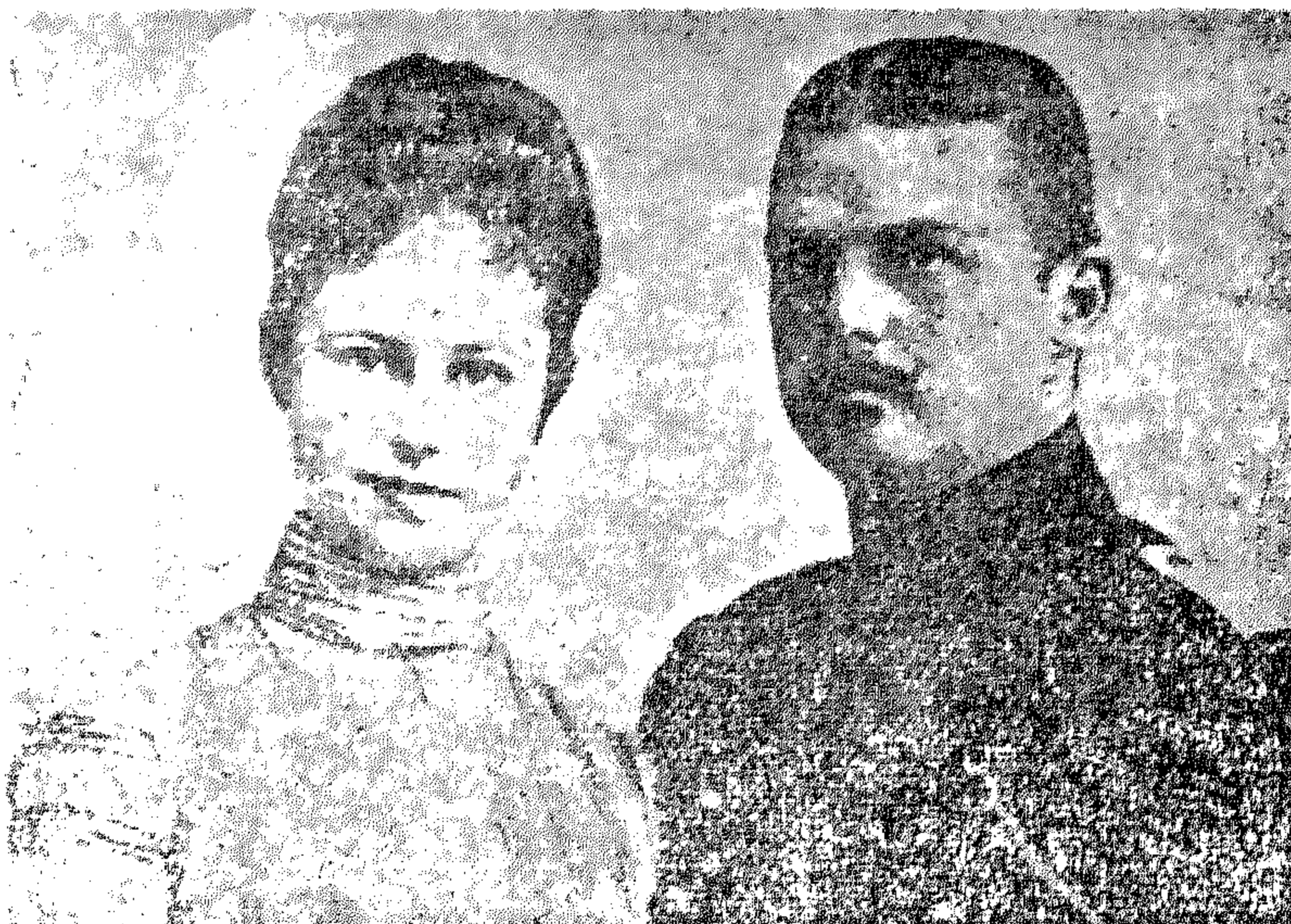
لذلك لم تكن الامور مهيأة للقوات المسلحة الالمانية في سنها الاولى ،

لكن القائد المبرز (رين هارت) من (ورتنبيرغ) كان ذا الفضل في تمهيد الطريق امام هذا الجيش خلال الفترة الحرجة التي اعقبت الحرب ، غير ان (فون سيكت) يستحق من الاطراء ما يفوق ذلك ، اذ افلح في تقوية هذه القوة المتواضعة للجمهورية الحديثة بصمت ، فقد قام بتدريبه تدريباً يمكن اعتباره نموذجياً بالنسبة لزمانه . ان التوتر الداخلي الذي ساد المانيا بعد سنة (١٩١٩) وتطاحن الاحزاب وتضارب الآراء ، كل اولئك دفع فون (سيكت) الى ابعاد الجيش الالماني عن معترك السياسة ، فلم يقحمه تياراً سياسياً مما استطاع الى ذلك سبيلاً .

وكان الضباط الالمان يمتازون بانهم غير سياسيين ؛ فقد لقنوا بحذق طوال أجيال عديدة ومنذ نعومة أظفارهم الابتعاد عن شق الاتجاهات السياسية ، وهذا هو السبب الرئيسي لبقائهم غير مؤثرين في كل ما نبت في المانيا من اتجاهات سياسية جديدة .

لقد نددوا بالجيش القديم في مناسبات كثيرة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها لانه لم يؤثر في الاتجاهات السياسية ، وأخيراً أصبح لزاماً على الضابط أن يكثرث بالحياة السياسية لبلاده باعتباره مواطناً ومرشداً وقائداً للجنود الشباب ، فاقضى الامر قيام الحكومة بالاشراف العام على تعليم هؤلاء الضباط الذين هم أداتها أيضاً التفكير السياسي دون أن يؤدي ذلك الى انهك في العمل الايجابي في الاحزاب خارج الخدمة ، لان انهالكهم في الاعمال الايجابية للاحزاب يؤدي الى نتائج وخيمة ، اذ يصبح الجيش ممزقاً بالاتجاهات السياسية ، ولن يكون ذلك جهازاً فعالاً يمكن الدولة من الاعتماد عليه بل سيكون جهازاً ضعيفاً مفككاً .

كان رونشتد موغلاً في تلك الافكار القديمة التي هجرت وعفى عليها الزمن ، لذلك كان بفطرته على طرفي نقيض مع كل شيء (سياسي) . أما



رونشدد وزوجه

(سيكت) فقد انطلق حينذاك لابعاد الجيش عن السياسة ، وعمل جاهداً أن يجعل القوات المسلحة الألمانية فوق الأحزاب ، ولكن من الضروري في الجمهورية وجود بضعة أفراد في القمة تكون معنية بالقضايا السياسية ، إذ لا مناص من أن تكون هناك حلقة ارتباط بين الجيش الصغير وحكومة الرايخ وبرلمانها ، فأدى ذلك الى وجود بضعة ضباط في وزارة القوات المسلحة الألمانية ، كان عليهم أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة والأحزاب ولكنهم كانوا أفراداً يعدون على الأصابع

وقد ظل الجيش وضباطه على العموم بعيدين عن السياسة حتى خلال فترة الجمهورية الممتدة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣) .

هذه الطريقة لم تكن رديئة لانها أمنت للجمهورية جيشاً يمكن التعويل عليه ، ومن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) كانت القوات المسلحة الألمانية في أغلب الأحيان هي القوة السائدة الوحيدة لحكومة الرايخ ، وبقي الضباط ذوو النزعات القديمة والذهنية المشبعة بأفكار الحكم الفردي المطلق موالين للجمهورية خلال تلك الفترة، وبرهنوا على ذلك أكثر من مرة عندما حدثت بعض الاختلافات الداخلية .

لم يحتفظ رونشتد مطلقاً بمنصب يزج به في الشؤون السياسية لمدة طويلة ، فمن سنة (١٩١٩) حتى سنة (١٩٣٣) اشغل مناصب عسكرية محضة سواء كان ذلك في هيئة الأركان العامة أو في الوحدات .

لن يكون قارئ هذا الكتاب مكتئباً بالسر الطويل لأعمال رونشتد خلال هذه الفترة، فقد أردت أن أوضح بكل بساطة خلق رونشتد واتجاهه الفكري العام لا أن اصنف ثبثاً مشحوناً بتواريخ الحوادث ؟

ويكفي أن تعلم انه بين سنة (١٩١٩) - (١٩٣٣) اشغل تقريباً مناصب

هيئة الركن العامة كافة الموجودة حينذاك ، وعلى الاكثر مناصب رئاسة هيئات الركن . مثال ذلك فرقة الخيالة الثالثة في المنطقة العسكرية الثانية (فرقة المشاة الثانية) والفيلق الثاني ، كما اشغل مناصب قيادة الوحدات الفعالة (آمر وحدة) فكان آمراً لكتيبة المشاة الثامنة عشرة التي كانت من قطعات فرقة الخيالة الثانية حينذاك . ثم قائداً لفرقة الخيالة الثانية ، وكانت هذه الفرقة في المنطقة العسكرية الثالثة (فرقة المشاة الثالثة) في عاصمة الرايخ برلين .

وبعد ذلك أي في زمان هتلر ، أصبح قائداً للفيلق الاول في برلين ، وهو الفيلق المؤلف من فرقة المشاة الرابعة وفرقة الخيالة الثانية .

وفي سنة (١٩٣٢) أعلنت حكومة فون (باين) وفون (شغلر) حالة الطوارئ ، فاضطر رونشتد مكرهاً حينذاك الى التدخل في الشؤون الادارية لبضعة أيام بسبب المنصب الذي كان يشغله في برلين حينذاك ، وقد اقدم على انجاز واجبه وسيطر على الموقف بحكمة ودراية في مجال غريب عنه .

واكبت هذه الحقبة من سنة (١٩١٩) الى سنة (١٩٣٣) الحركة الجديدة التي بدأت في النمو ، الا وهي اشتراكية هتلر الوطنية (النازي) ...

وحري بنا أن نثير الانتباه الى حقيقة : هي أن رونشتد لم يكن قد انسجم راضياً في خدمة هذه القوات الالمانية المسلحة التي تختلف اختلافاً كلياً عن تنظيم الجيش القديم فحسب ، بل كان له ميل خاص نحو هذا الجيش المتواضع في عدده وعُده حينذاك . لقد كان هذا الجيش مؤلفاً من وحدات مبتورة ، غير انها كانت تمتاز بتطوع افرادها لمدة طويلة ووقف حياتهم للخدمة العسكرية ، ولم يكديتم تشكيل هذا الجيش حتى تماسك ، كما ساد الانسجام التام بين ضباطه القليلين الذين تم انتقاؤهم من خيرة العناصر بعد

سنة (١٩١٨) ، كما كان يسود وحدات الجيش المعنويات العالية التي تمتاز
بها أحدث القطعات العسكرية واحسنها تدريباً . وهكذا تحقق لرونشتد
ما ينسجم وعقيدته الراسخة من بقاءه جندياً محضاً تاركاً السياسة
لأهلها .



— في الجيش الجديد

من المهم قبل ان نعالج بالبحث الجيش الجديد المزمع انشاؤه ، ان نمنع النظر في بعض المشاكل التي ظهرت نتيجة لتطور الاشتراكية الوطنية ومجيء هتلر الى الحكم .

كان هتلر نفسه كاثوليكياً من النمسا ، قصير القامة ، غير معروف ، وقد قدم لأول مرة من (فيينا) الى (ميونيخ) عام (١٩١٢) دون ان يشير قدومه اليها اي انتباه ، وقد عاش هناك عيشة متواضعة . ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٤) ، تطوع هتلر النمساوي في جيش بافاريا الممكي (الالمانى) لا في جيش النمسا والمجر الامبراطوري القديم ، فالتحق بكتيبة الاحتياط المشاة التاسعة عشرة البافارية ، وخدم طيلة الحرب جندياً في الخطوط الأمامية . وكان — كما تحدث بعض رفقاؤه القدامى — جندياً بسيطاً يتحلى بالشجاعة ويتطوع في كل دورية ، وكان يهوى الجندي على الرغم من أن مهنته السابقة كانت معمارية فنية ، ومن الغريب على كل حال فشله في الوصول الى رتبة ضابط صف خلال أربع سني الحرب برغم شجاعته الشخصية . وأخيراً عين برتبة جندي اول على ملاك هيئة مقر الكتيبة الاحتياطية السادسة عشرة ، غير أنه لم يمنح قط رتبة ضابط صف ، إلا أنه كوفىء بوسام الصليب الحديدي من الصنف الأول والثاني وشريط الاصابة بالجروح . إنه من الممتع ان نعلم

ان رفقاءه في السلاح الذين عايشوه في الملاجيء والخنادق يذكرون قصصاً ممتعة عن تلبسه بشيطان السياسة في كثير من الاحيان ، وطالما سخر منه رفقاؤه البافاريون الأفحاح ، لأنهم كانوا غير قادرين على تفهم أي شيء من افكاره السياسية المضطربة في نظرهم ، إذ لم يكونوا من هواة الأحاديث السياسية ، ولربما نتج عن تحدته بالسياسة امتناع أمره عن ترقية الى رتبة ضابط صف مع أن أمره كان يقدر غاية التقدير شجاعته عند مواجهة الأخطار .

ونستمع عنه ثانية في سنتي (١٩١٨-١٩١٩) في (ميونيخ) جندياً مسرّحاً من الجيش بلا منصب وغير معروف في زمن حكم دكتاتورية (ايسنر) الشيوعية ، التي حكمت بالقوة مدة قليلة وسارت على النهج البلشفي ، وهنا كانت نقطة الانطلاق لهتلر في سيره نحو السياسة ، حيث ارتقى في احضانها من ذلك التاريخ بكل جوارحه معارضاً الشيوعية والبلشفية بعاطفته وقلبه .

وليس من أغراض هذا الكتاب التطرق الى وصف تطور الاشتراكية الوطنية (النازية) ، غير أنه من الضروري الإشارة بإيجاز الى كنه الدوافع التي سادت المانيا والتي كان على رونشتد ورفقائه الكثيرين ان يواجهوا مصاعبها .

أفلح هتلر في إيجاد حزب سياسي صغير في (ميونيخ) ، تصدى لتحمل واجب مزج القومية بالاشتراكية ، وذلك بالقضاء على بعض الامتيازات الاجتماعية التي يتمتع بها مؤيدو القومية ومحاولة كسب الطبقة العاملة وجعلها بجانب الدولة . ولقد كان في الظروف السائدة حينذاك العوامل اللازمة لنجاح هذه المبادئ ، فقد عاش الالمان برغبتهم واختيارهم في عالم من نسيج الخيال ، منغمسين في اوهام دعاية الحكم الامبراطوري المطلق السابق دون ان يكون لهم إلمام بالأسس السياسية الصحيحة . وبعد ان خسرت المانيا الحرب ، وجدت

نفسها مضطرة الى استبدال الحكم المطلق الفردي الذي توارثته أجيالاً طويلة بحكم جمهوري ديمقراطي غامض المفهوم بالنسبة اليهم حينذاك. ولانقسام الرايخ الى احزاب عديدة متطاحنة ، ولوجود تيارات داخلية مختلفة الأهداف ، كل ذلك أنذر بتفكك الرايخ بفعل هذه العوامل الداخلية والخارجية ، بالإضافة الى اشتداد وطأة الأزمة الصناعية يوماً بعد يوم ، وظهور مشكلة التضخم النقدي وما اصاب المانيا من انهيار اقتصادي خلال سنة (١٩١٩ - ١٩٢٣) ، كل ذلك سبب حدوث انتفاضات في أرجاء المانيا كافة تقريباً تطل بوجهها الدميم مصحوبة بأزيز المدافع الرشاشة تغذيها العناصر الراديكالية .

أضف الى ما تقدم أن الشعب خدع بمعاهدة (فرساي) عام (١٩١٩) ، لأنه كان قد وُعد سابقاً بقدر محدود من الحرية بشروط معينة استناداً الى نقاط الرئيس الأمريكي (ولسن) الأربعة عشر الشهيرة ، وقد انطلقت دعاية حكومة الرايخ لتوطيد ثقة الالمان بالحرية الموعودة ، ولكن تبين فجأة بان (ولسن) لم يكن ناجحاً في وضع نياتة موضع التنفيذ في معاهدة (فرساي) ؛ ونتيجة لذلك تبدت مرارة الخيبة الشديدة من معاهدة (فرساي) في كثير من الدوائر ، ومن المعروف حق المعرفة أن رئيس الرايخ الشريف المنصف قد أصيب شخصياً حينذاك بخيبة أمل عظيمة ، وهكذا اصبح من العسير على الجمهورية الجديدة ان تواجه هذا الموقف مواجهة قوية ، فكان ذلك سبباً في جذب الملايين من الشيوعيين في المانيا ومن غيرهم من الوطنيين حينذاك الى الراديكالية ، ولكن تصرف كل منهم وفقاً لطريقته الخاصة .

كان هتار وسط تيارات الأفكار الاجتماعية الجديدة هذه ، يعمل جاهداً للامساك بنقاط ارتكاز جديدة داخل حزبه من سنة الى اخرى ، وعلى الرغم من بعض الانتكاسات في بعض الانتخابات ، فانه يمكن القول بصورة عامة :

إنه تقدم من نجاح الى آخر باستمرار ؛ وبأدىء بدء انتشرت الاشتراكية الوطنية في (ميونيخ) ولم تلبث بعد ذلك ان امتدت شمالاً فسيطرت على (نورمبرغ) وشمال بافاريا .

وبصمودها الى جبال (ثيورنجرمان) حصلت على مواطني قدم في (ثورنجا) ، وبعد ذلك تمكنت من الاستيلاء على مناطق المانيا الغربية والشمالية والشرقية كافة ببطء شديد وبصعوبة .

وبقيت المانيا الشمالية المعروفة بالادراك السليم الواقعي وبخصال مميزة اخرى واقفة موقفاً سلبياً وغير واثقة بهذا الاتجاه مدة طويلة ، ومهما يكن من امر فان هتلر النمساوي أدرك غريزياً بأنه ينبغي كسب بروسيا فيما اذا أراد الحصول على ألمانيا برمتها ، وفي ذلك الزمان وصف (برلين) بأنها الرأس ووصف (ميونيخ) بأنها القلب . وقد استمر في الحصول على نقاط ارتكاز اخرى من اجل القضية التي يعمل لها : بالحسنى مرة وبالعنف مرات حتى حلول عام (١٩٣٣) ، كما اكتسب الى جانبه تأييد الطبقة العاملة الذي لا تقل أهميته عن كسبه السابق ، وكثيراً ما يبدو ان النسيان قد اسدل أستاره على ما كان يقابل به هتلر في ذلك الزمان من هتاف حماسي .

ولربما لم يقدر الظهور للاشتراكية الوطنية لو أن المانيا كانت قد احتفظت بقدر معقول من الحرية ، وحصلت على سلطة ديمقراطية ، اذاً لبقى هتلر مغموراً سواء كان قد ولد قبل أو بعد ثلاثين عاماً .

ويحذر بنا الآن أن نلقي نظرة واقعية على مدار بحثنا بكامله .

ليس هناك من يدافع عن الظواهر السيئة او غير العملية لنظام هتلر ، ولكن من الخطأ ان نتصور ان النظام المذكور عار عن بعض المزايا .

كانت الاكثريّة من العمال وعدد كبير من المزارعين والطلاب والفنانين قد آمنوا بهتلر إيماناً مطلقاً ، والحقيقة ان الالمان جنوا ثماراً كثيرة من الناحية الاجتماعية الهامة ، تلك الثمار التي يسعى العالم اليوم جاهدأ للوصول اليها ، وهكذا نرى ان هذا النظام لم يكن شراً كله !!

وفي سنة (١٩٣٣) عندما منح الرئيس هندنبرغ ذو المكانة المرموقة والماضي المجيد تأييده هتلر ، لم يدهش العالم لما غمر الجماهير الالمانية من سرور بذلك ، وساد حينذاك الالمان اعتقاد صادر عن يقين ، بأن كل شيء في المانيا قد اصبح يسير نحو الكمال في أحسن ما يمكن من الظروف .

لو ان الجمهورية حينذاك كانت قد توجست خطراً من الاشتراكية الوطنية لكان من واجبها اتخاذ التدابير الدستورية للقضاء عليها في الوقت المناسب ، وقد كان لها في الفصل (٤٨) من دستور الرايخ ما يكفل ذلك ، اذ الوسائل اللازمة كانت جاهزة .

هذه الوسائل تتألف من جيش جدير بالثقة ، ومن شرطة قوية ، الا ان مفهوم المبدأ السائد حينذاك كان يحتم على الديمقراطية ان تمنح الحرية للأحزاب كافة .

وهكذا افسح المجال لهذه الحركة ان تستمر من دون مقاومة .

أصبح الوقت في سنة (١٩٣٣) متأخراً جداً عن مقاومتها ، ولم يعد هناك اي شك في ان الاكثريّة الساحقة من الالمان قد اعتنقت وآمنت بمبادئ حزب هتلر ، وفي هذه المرحلة كان على حكومة الرايخ بطبيعة الحال أن تكف عن استخدام الجيش والشرطة اذا ارادت ان تتجنب قيام مقاومة شديدة ضدها .

ان خير ايضاح يمكن اعطاؤه للاتجاه الذي كان سائداً حينذاك ، هو انه

لم تبذل أية محاولة للمحافظة على الجمهورية ، فليس بمقدور جيش صغير قوامه مائة ألف رجل مقاومة حركة كهذه انتشرت في شعب يبلغ ثمانية وستين مليوناً من الناس . ولو ان الجيش الألماني الذي يخضع للسياسيين قوامه حزب هتلر ، لكان من المحتمل ان يهاجم من الاهلين ويوصم قاداته : بأنهم يقاومون (ارادة الشعب) ، ولو أعرضت الحكومة عن التدخل الفعلي وأعرضت عن استخدام الشرطة ، فمن المؤكد أن الجيش لم يكن يتطوع للدفاع عن كيان الجمهورية من تلقاء نفسه بدون أوامر حكومية للدفاع عن هذا الكيان .

كان الشعور السائد في سني (١٩٣٠ - ١٩٣٢) أن انقلاباً شاملاً على وشك أن يقوم به العسكريون ، إذ أن طبيعة تلك الأيام كانت توحى بأنها ستتمخض عن عمل إيجابي يقوم به القادة العسكريون ، غير أن الحكومة لم يكن يخامرها احساس أكيد بأن هناك خطراً يهددها ، وهكذا نجح هتلر في الوصول الى الحكم بعد نضال سياسي شاق يعتبر في الواقع نصراً لرجل ابتداءً بلا شيء في سنة (١٩١٩) .

عين اللواء الركن المشاة فون رونشتد قائداً عاماً لجحفل الجيش الأول في برلين سنة (١٩٣٢) ، وكان جحفل جيشه مؤلفاً من فرق المشاة : الأولى والثانية والثالثة والرابعة وفرقتي الحبال الأولى والثانية .

واستمرّ رونشتد في اشغال منصبه الرفيع هذا حتى سنة (١٩٣٩) أي أكثر من ست سنوات مع أن المتبع قبل ذلك هو إشغال هذا المنصب لمدة سنتين فقط ، وهذا يبدي لنا التقدير الرفيع الذي كان يوليه إياه رؤساؤه ؛ غير أن هذا المنصب ألقى على عاتقه واجباً خاصاً ، فقد كانت برلين عاصمة للرايخ تلتقي فيها الطليعة من شخصيات السياسة والعلم والصناعة والفنون ، كما كان يقيم فيها السفراء والمبعوثون السياسيون كافة .

كان القائد العام للجيش حينذاك هو الفريق (بارون فون فرتش) وهو جندي بارز ، غير أنه كان أعزب غير معيل .

أما رئيس أركان الجيش ، فقد كان الجنرال (بيك) ذا المقدرة الفائقة ، غير أن هذا الجندي القدير بحكم منصبه رئيساً لأركان الجيش كان شخصاً غير مسؤول مسؤولية القائد العام ، وإضافة إلى ذلك كان يعيش لواجبه العسكري فقط كما كان معتزلاً وفاقداً زوجه ، كل أولئك جعله غير مهيمن هيمنة ذات أثر على الدوائر العسكرية ، لذلك كان على رونشتد خلال ست سنوات أن يستقبل في داره السياسيين والعسكريين ، وبهذه الصورة اتصل بعدد كبير من الدبلوماسيين الأجانب والسفراء المبعوثين السياسيين والبعثات العسكرية ، وأصبح نائبه الذكر في كثير من الأقطار . ومن سنة (١٩٣٢) حتى (١٩٣٨) التمس رونشتد مراراً وبالحاح تسريحه من الخدمة ، ولكن رغبته هذه كانت تقابل بالرفض دائماً .

وأخيراً وفي نهاية سنة (١٩٣٨) حصلت الموافقة على مطلبه الذي طال اشتياقه إليه ، فجرت ترقيته إلى رتبة فريق وأحيل إلى التقاعد ، فعاد إلى حياته الخاصة في (كاسل) حيث أمل أن يقضي ما تبقى له من العمر في شقة مستأجرة ذات طابق واحد ، ولكن لم يكتب لهذه الرغبة أن تتحقق .

وهنا أرى من المناسب وصف الموقف العسكري من سنة (١٩٣٣) إلى سنة (١٩٣٨) . لقد أشغلت هذه السنوات في عملية بناء الجيش ، وكان رونشتد باعتباره جندياً مجرباً من أولئك القادة الذين حذروا من محاولة إقامة صرح الجيش بسرعة بالوسائل السحرية خلال بضع سنين .

وما من شك أن في الأماكن زيادة عدد الجيش من مائة ألف إلى ستائة ألف خلال أربع سنوات ، ولكن لن يكون ذلك إلا بالمظاهر الخارجية وبالحساب العددي فقط ، أما إيجاد مجموعة من الضباط المتأزين بالصلابة

وتجانس الأفكار والكفاءة ، وإيجاد جيش يتطور من كافة الوجوه ، فلا يمكن تحقيقه في بضع سنوات . لقد كان واجب كل ضابط على الرغم من شعوره الباطني بعدم الارتياح لسرعة تكوين الجيش أن يعمل كلما في وسعه للمساهمة في بناء هذا الجيش .

وكان على القائد العام فون رونشتد قائد الفيلق الأول المنتشر في منطقة واسعة أن يفتش قطعاته سنة تلو سنة ، وبظهور هذا الجيش الجديد الى حيز الوجود منبثقا من القوات المسلحة الألمانية ، تمت فرق المشاة الأربع وفرقتا الخيالة التي كانت تؤلف فيلق رونشتد فأضحت بضعة فيالق ، وبذلك ازدادت واجبات قائدها العام بسرعة ؛ وفضلا عن واجباته هذه كان هناك جولات الركن والمناورات والتأرين . وفيما يلي ندرج تواريخ الحوادث الرئيسية :

- ١ - سنة (١٩٣٥) : إعادة الخدمة العسكرية العامة (لمدة سنة واحدة) وهي الخدمة الاجبارية في الجيش .
- ٢ - سنة (١٩٣٦) : إعادة السيطرة العسكرية على منطقة (الراين) وتمديد الخدمة الاجبارية في وحدات الجيش من سنة الى سنتين .
- ٣ - سنة (١٩٣٨) : ضم النمسا الى الرايخ .
- ٤ - سنة (١٩٣٨) : الحركة الى ارض (السوديت) .
- ٥ - سنة (١٩٣٩) : فتح محمية (بوهيميا) وضم (بمل) الى الرايخ التي كانت المانيا قد تنازلت عنها سنة (١٩١٩)

هذه الحوادث التي كان يسبقها عادة تحذيرات من كبار القادة لا سيما (بيك) وهي تؤتي ثمارها يانعة مقرونة بالمظاهر الخلابه لالمانيا دون ان تخلف نتائج سيئة ، وبذلك بدأ هتلر مصيبا والقادة العسكريون مخطئين ، لأن شيئا من تحذيراتهم لم يتحقق ! كان القائد العام ورئيس أركان الجيش

والقادة الأقدمون في موقف صعب ، لأنهم أصبحوا يوماً بعد آخر يوصمون بالتشاؤم ، وهكذا نما التوتر بين قادة الجيش من جهة وبين قادة النازي من جهة أخرى ، هذا التوتر الذي كانت بذوره موجودة من قبل الذي بين القادة العسكريين وزعماء النازيين .

وكان الجيش الجديد يضم عدداً كبيراً من الضباط الشباب الميالين بكل عواطفهم الى أفكار هتلر ، وهكذا نشب صراع مستمر بين القديم والجديد ، ذلك الصراع الذي لم يكبح جماحه في الجيش سوى التدريب وسيطرة التقاليد والضبط ، ولكن الزيادة السريعة في عدد الضباط من اربعة آلاف الى آلاف كثيرة ، سببت انخراط عدد عظيم من الضباط غير الأكفاء من الاحتياط ومن الذين أدخلوا الجيش لسد النقص ومنهم عن كان قد أخذ الى الحياة المدنية متقاعداً طيلة المدة السابقة ، ونتيجة لذلك بدأ الجيش بشكل يختلف تماماً عما كان عليه في سنة (١٩٣٥) . ومن سنة (١٩٣٣) الى سنة (١٩٣٨) لم يحدث شيء يؤدي الى الحرب فكل الحركات التي دعوها بالغزوات ، كانت أغلبها حركات لم تسل فيها الدماء ، والحقيقة ان هذه الحركات كانت تقابل بحماس عظيم من السكان ، لان التيارات الخفية في مناطق الغزو تركت أثرها العميق فيها دائماً .

ولهذا السبب أطلق الناس على هذه الحملات اسم : معارك الأزهار ، لأن القطعات الالمانية كانت تستقبل بالأزهار والموسيقى والحماس ، ولا نستثني من ذلك سوى احتلال منطقة (الجك) في (بوهيميا) .

ولا نشك من ان هتلر كان يفكر بأن غزواته الاخرى ستلاقي نفس النتائج بنفس السهولة !

ساهم زونشتد في غزو منطقة (السوديت) فقط في خريف سنة (١٩٣٨)

حيث زج بالجيش الثاني الذي كان بقياته ضد جبهة الجلك الرئيسية ، أي ضد التحصينات المتينة جداً في (تروبو وجاكرندورف) .

كان رئيس أركان الجيش بين (١٩٣٢ - ١٩٣٣) هو الجنرال (فون هامرشتين) قد استقال من منصبه ، وعلى اثر استقالته التمس فون رونشتد من فون (هندنبرغ) ان يسرحه من الخدمة ، ولكنه بقي في الخدمة استجابة لرجاء رئيس الرايخ الوقور الشهير ، حيث قال له هندنبرغ : ينبغي الا تتركني وحدي الآن .

وفضلاً عن ذلك ، كان رونشتد ذا علاقات طيبة مع الجنرال فون (شخلر) ، فعندما تولى (شخلر) منصب رئاسة وزارة الرايخ لمدة قصيرة ، طلب من رونشتد الا يترك الخدمة لأن الوطن محتاج الى الرجال القديرين كافة . كانت محاولة (روم) لإحداث الانقلاب في سنة (١٩٣٤) فحصاً لقوة الحرب الداخلية ، لكن امدافه كانت غامضة شأنها شأن الاهداف الاخرى . وقد اراد (روم) من حركته ادخال الاتجاهات الجديدة الى الحزب بوساطة منظمة ذوي القمصان القصيرة السمرء ، وبذلك وقف موقف المعارض الصارم لعناصر الجيش المحافظة ، ولا سيما قادة الجيش القدماء الذين كان رونشتد احدهم . كان غرض (روم) تنظيم هذا الجيش الذي كان مستقلاً في ميوله وافكاره الانقلابية وذلك بتوسيع جيش ال - (S. A.) (القمصان القصيرة السمرء) ... فأصبح بمثابة جيش آخر ينافس الجيش الحقيقي ، وكثيراً ما حدثت مشاحنات ومشاجرات بين افراد المنظمة الجديدة وبين افراد الجيش ، لأن الجيش شعر بأن وجود هذه المنظمة ينال من كرامته بتمثيله دور الجيش ، اذ كان الجيش يعتبر نفسه الأداة الوحيدة للسياسة والوريث التقليدي لحمل شعلة الجندي بين الشعب الالماني ، وقد حاول هتلر تخفيف هذا التوتر بتشبهاته ، ولكنه لم يفلح .

وعندما حاول هتلر ان يكبح جماح (روم) بالقوة ، وجد عواطف الجيش الى جانبه ، ولقد وجدت بين الوثائق التي صودرت من منظمة (S. A.) (القمصان القصيرة السمراء) قوائم بأسماء الضباط الأقدمين الذين كانوا سيبعدون عن الجيش لو قدر لحركة انقلاب المنظمة المذكورة النجاح .

لقد أمل (روم) ان ينال تأييد الضباط الشباب ، ولا شك في وجود عدد قليل من الضباط الذين اعتنقوا فلسفة الحزب ، غير ان الأغلبية الساحقة من الضباط الأحداث كانت تستهدي ايضاً هدى اتجاهات الجيش التقليدية .

وكانت سنة (١٩٣٤) امتحاناً لقوة الترابط الداخلي للجيش ، ذلك الترابط الذي بقي بعد هذا التاريخ سليماً .

وقد برهن ذلك ايضاً على الرغم من الظواهر الخارجية للفترة الجديدة ، ان التقاليد والتدريب والاتجاه والضبط اي صناعة الجندية في أحسن صورها في الجيش النظامي ، كانت لا تزال قوية . وينبغي ألا يغرب عن البال ان رئيس الرايخ حينذاك كان (هندنبيرغ) المعجوز ، وكان قد انتخبه الالمان مرتين قبل سنة (١٩٣٣) وفقاً للدستور الالماني ، وكان وقتئذ رغم شيخوخته رمزاً لطوائف كثيرة من الناس ، فليس غريباً ان يعدّه رجال الجيش الرئيس العسكري الحقيقي لهم . إن مقام مارشال الحرب العالمية الأولى الشيخ ذي الماضي المجيد أعلى من مقامه رئيساً للرايخ ، وعندما قضى (هندبرغ) نحبه اختفى في نظر الكثيرين آخر رمز عسكري . وعند ذاك أصبح هتلر نفسه قائداً للقوات الالمانية المسلحة الموحدة ، وأقسمت القوات العسكرية قسم الولاء لشخصه !

ان التوتر في علاقات قادة الجيش برجال الحزب كانت نتيجة لاختلاف وجهات النظر ، ونظراً لتوالي انتصارات هتلر الخارجية اضعى موقف القادة العسكريين يزداد حراجة يوماً بعد آخر ، لأن هذه الانتصارات الظاهرية

جعلت هتلر يبدو مصيباً دائماً في قراراته ، وان القادة وهيئات اركانهم كانوا مخطئين دائماً في قراراتهم ، كما ان جماهير الشعب كانت تشاهد الانتصارات الفورية دون ان تدرك عواقبها .

لقد كان التكوين الداخلي للجيش بصورة عامة من (١٩٣٥ - ١٩٣٩) يختلف عما كان عليه التكوين الداخلي للقوات الالمانية المسلحة التي شكلت بعد الحرب العالمية الاولى .

لقد ضعفت قابلية الجيش نظراً لنموه السريع ، ولم يعد ضباطه وحدة متجانسة كما كانوا ايام القوات الالمانية المسلحة الصغيرة .

وكانت الفترة بين (١٩٣٣ - ١٩٣٩) فترة انقلابية مشحونة بالتوتر الداخلي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والشعبية كافة . أخذ الجيش يساق الى اعتناق المبادئ النازية ، ولا عجب في ذلك ، لأن الجيش جزء من الشعب ؛ وفي عام (١٩٣٨) ظهرت مذكرة رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) الشهيرة ، فقد كان القائد العام للجيش الفريق فون (براوشتش) ورئيس اركان الجيش اللواء (بيك) قد تتبعوا سياسة هتلر بقلق متزايد ، فكانا يخشيان ان تؤدي هذه السياسة الى حرب لا مفر منها ضد حلفاء اقوياء . ولم يتسن لهما انتقاد هذه السياسة او الصمود تجاه تياراتها باعتبارهما من رجال الجيش شأنهما في ذلك شأن رجال الجيش في الممالك الأخرى ، لأن من واجب الجندي تنفيذ اوامر السياسيين في كافة الظروف والأحوال ، ولأن السياسيين هم الذين يمتلكون زمام القيادة .

غير أنها شعروا في قرارة أنفسهم بأن من حقها ومن واجبها أن يلفتا نظر هتلر الى وجهات نظريهما ، كما كانا مرتابين ايضاً في صحة بعض الاتجاهات العسكرية البحتة ، ففي غضون ثلاث سنوات (١٩٣٥ - ١٩٣٨) جرى توسيع

الجيش ، فأصبح أضعاف ما كان عليه سابقاً ، اذ ليس في وسع اي جيش ان يتسع بمثل هذه السرعة من غير ان يفرط بصلابة تكوينه الداخلي ؛ كما لم يكن التسليح المادي سليماً كما كان يتراءى ، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى . كل ذلك ادى الى تقديم (بيك) لمذكرته في سنة (١٩٣٨) مدفوعاً بالعقلية الواسعة التي يتصف بها .

اعد اللواء (بيك) هذه المذكرة وقدمها للقائد العام للجيش ، فاستدعى القائد العام قادة الجيش الأقدمين ومن ابرزهم فون رونشتد للاجتماع في مؤتمر عام ، وعند حضورهم تلا اللواء (بيك) عليهم مذكرته التي اعددها ، فلم يعترض أي قائد على ما جاء فيها ، لذلك قدمها (براوشتش) الى (هتلر) شخصياً .

نظر هتلر الى هذه المذكرة من أسوأ جوانبها ، فخيل اليه انه يرى فيها برهاناً آخر على تردد القادة وهيئة ركنهم ، فرفضها بخشونة ، وأحال رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) على التقاعد .

مثل هذه الحوادث ادت الى تصدع العلاقات الشخصية بين رئيس الدولة (هتلر) وبين قادته العسكريين الاقدمين ، كما ان هذه العلاقات بينهم وبينه استمرت الى تدهورها واقصفت بطابع البرودة المستمرة حتى قبل ان تبدأ الحرب .

ويبدو ان هتلر لم يكن سيد الموقف دائماً كما كان يظهر نفسه للعالم ، ففي كثير من المواقف كان يصغي بانتباه وتأمل الى نصائح الهواة الذين اقحموا أنفسهم في امور ليست من اختصاصهم ، وكثيراً ما بدل وجهات نظره نتيجة لتوجيهات هؤلاء الهواة ، ولم يكن هتلر حريصاً على ان يبدو سيد الموقف وصاحب الرأي الحاسم الا امام الناس ، ومن المحتمل جداً ان يكون

الجيش ، فأصبح أضعاف ما كان عليه سابقاً ، اذ ليس في وسع اي جيش ان يتسع بمثل هذه السرعة من غير ان يفرض بصلابة تكوينه الداخلي ؛ كما لم يكن التسليح المادي سليماً كما كان يتراءى ، ولم تكن المواد الاحتياطية كافية لحرب كبرى . كل ذلك أدّى الى تقديم (بيك) لمذكرته في سنة (١٩٣٨) مدفوعاً بالعقلية الواسعة التي يتصف بها .

أعدّ اللواء (بيك) هذه المذكرة وقدمها للقائد العام للجيش ، فاستدعى القائد العام قادة الجيش الأقدمين ومن أبرزهم فون رونشتد للاجتماع في مؤتمر عام ، وعند حضورهم تلا اللواء (بيك) عليهم مذكرته التي أعدها ، فلم يعترض اي قائد على ما جاء فيها ، لذلك قدمها (براوشتش) الى (هتلر) شخصياً .

نظر هتلر الى هذه المذكرة من أسوأ جوانبها ، فخيل اليه انه يرى فيها برهاناً آخر على تردد القادة وهيئة ركنهم ، فرفضها بخشونة ، وأحال رئيس اركان الجيش اللواء (بيك) على التقاعد .

مثل هذه الحوادث أدّت الى تصدّع العلاقات الشخصية بين رئيس الدولة (هتلر) وبين قادته العسكريين الأقدمين ، كما ان هذه العلاقات بينهم وبينه استمرت في تدهورها واتصفت بطابع البرودة المستمرة حتى قبل ان تبدأ الحرب .

ويبدو ان هتلر لم يكن سيد الموقف دائماً كما كان يُظهر نفسه للعالم ، ففي كثير من المواقف كان يصغي بانتباه وتأمل الى نصائح الهواة الذين أقحموا انفسهم في امور ليست من اختصاصهم ، وكثيراً ما بدل وجهات نظره نتيجة لتوجيهات هؤلاء الهواة ؛ ولم يكن هتلر حريصاً على ان يبدو سيد الموقف وصاحب الرأي الحاسم الا امام الناس ، ومن المحتمل جداً ان يكون هتلر في هذه القضية بالذات فريسة لتأثير مختلف الأشخاص الذين كانوا حاضرين لبذل

مثل هذه النصائح ، اذ وجدوا في المذكرة فرصة طيبة لالقاء بذور الشك في ثقة هتلر بالجيش .

اننا نعلم بأن اللواء رونشتد الذي كان قائداً لجحفل الجيش الاول في برلين لمدة ست سنوات ، اخذ يلحّ بعد هذه الحادثة لإحالة على التقاعد ، بعد ان حاول مراراً قبل ذلك فلم يفلح . وأخيراً حصلت الموافقة ، فرقي الى رتبة فريق ، ومنح لقباً فخرياً هو (قائد كتيبة المشاة الثامنة عشرة) تكريماً له ، وهي الكتيبة التي كان أمرها يوم كان عقيداً في سنة (١٩٢٥ - ١٩٢٦) ، ثم أحيل على التقاعد . وبعد ذلك وخلال الحرب لم يرقد ابدأ بزة لواء او مشير مفضلاً عليها رداء بسيطاً هو رداء آمر كتيبة مشاة موضوعاً على كتفها رتبة المشير ورقم الكتيبة الثامنة عشرة ، وقد حدث كثيراً ان أخطأ الضباط الشباب تميزه ، فظنوه عقيداً غير عارفين أن من يقف أمامهم هو المشير فون رونشتد ، وقد واجه المشير مثل هذه المواقف بروح مرحة طيبة . واستدعي رونشتد ثانية للخدمة بعد ان قضى فترة تقاعد قصيرة في (كاسل) ، سنة (١٩٣٩) وذلك عند إعلان التعبئة العامة ، واسند اليه منصب القائد العام لجحفل جيش الجنوب في حملة بولندا .



_____ الحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَّةُ

ذكرنا ان المسؤولين من قادة الجيش الالماني وعلى رأسهم المشير (براوشتش) واللواء (بيك) الكفو البعيد النظر ، قد اصدروا مذكرة انذارية في عام (١٩٣٨) مدعومة بأسباب عسكرية وسياسية . وكانت الناحية العسكرية تحذر من نتائج (سرعة) تسليح الجيش الالماني في غضون بضعة سنوات ، خلافاً لما ألفوه من الاساليب التدريبية والتعامل الدقيقة للجيش الالماني القديم ، وبذلك توسع الجيش اكثر من طاقته وعلى غير هدى وبصيرة على حساب كفاءته ومقدرته ...

اما من الناحية السياسية ، فقد ادرك هؤلاء القادة ان العالم لن يقف مكتوف الأيدي لمدة طويلة أمام سياسة المانيا الراهنة ، وان الامر سيؤدي الى حرب لا مفر منها .

ومع ذلك فقد آمن عدد قليل من قادة الجيش بسياسة هتلر هذه ، كما آمن بها الضباط الاحداث الذين استقبلوا هذا التوسع في الجيش بترحيب قلبي ، دون ان يفكروا في نتائج ذلك التوسع المغلوط عند الحرب .

وربما يكون غريباً ان يوجد بين الضباط من لا يسره توسع الجيش ، ولكن الجيل القديم ومنهم رونشتد لم يسره ذلك ، فأصبح هذا الجيل القديم

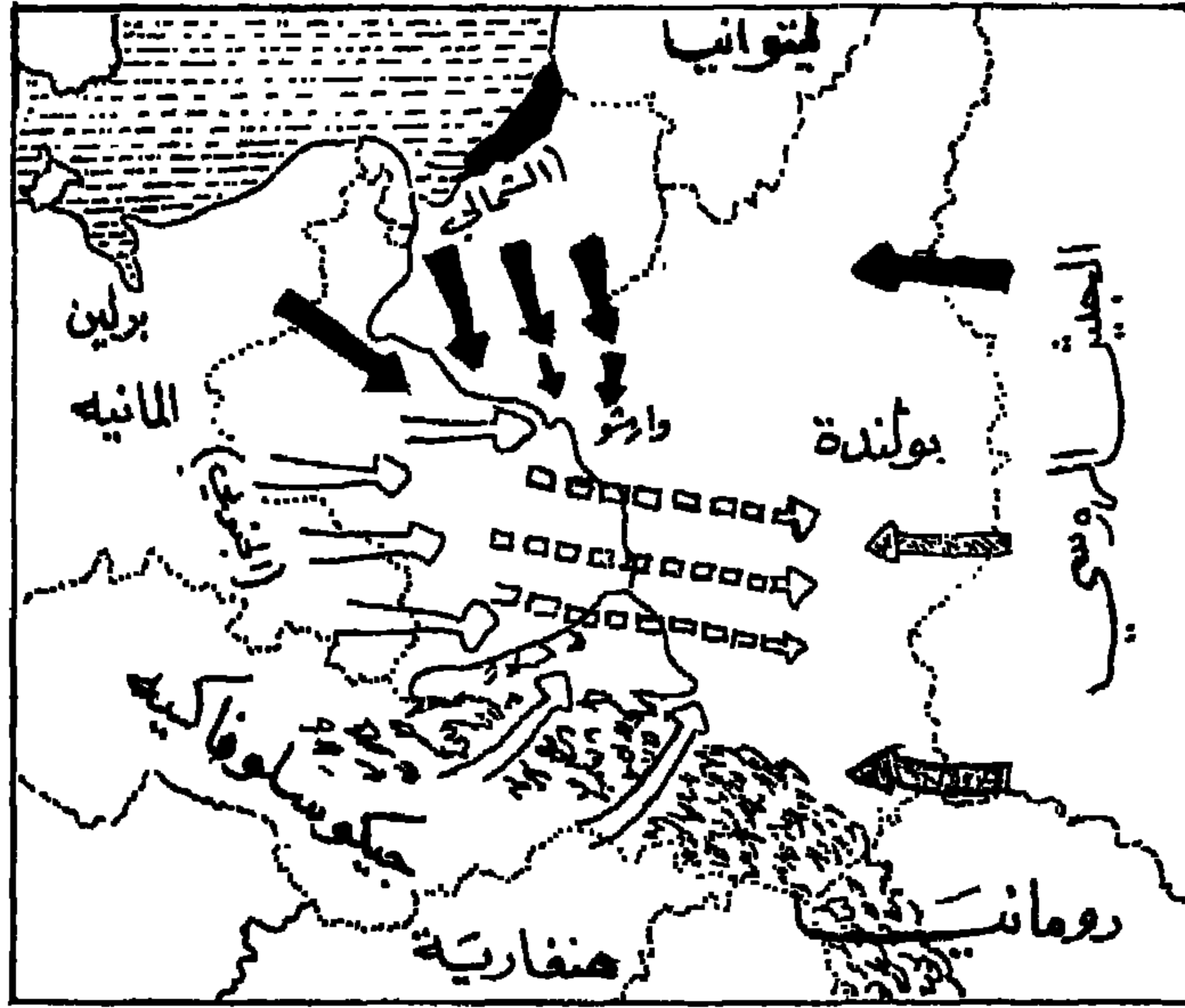
في موقف حرج في ظل الحكومة الجديدة الانقلابية التي حظيت بتأييد ستين في المائة من البالغين وجمهور الشباب . وقد اعتبر هتلر ومن ورائه الشباب ان الجيل القديم ليس الا عائقاً للتقدم ، فوصفهم بأنهم مناوئون للعمل وانهم طراز قديم ! كما تعاونت الأقدار على اظهار مذكرة القادة التحذيرية بأنها غير مستندة الى اساس قويم ، وحسب هتلر دليلاً على ذلك ان يلوح بانتصاراته الكثيرة : كاحتلال (السودان) التي يسكنها الالمان بدون مقاومة ، واهم من ذلك مؤتمر (ميونيخ) حيث لم يلتق هتلر فيه معارضة من بريطانيا او فرنسا او ايطاليا .

وكانت الحركة الى (جيكونسولوفاكيا) في ربيع (١٩٣٩) خاتمة لهذه الأحداث ، وربما يتبادر الى الازهان : لماذا لم يعمل الجيش على التخلص من هتلر ؟ ولكن كيف يستطيع التخلص منه جيش ارتبط بقسم الاخلاص لرجل يحظى بتأييد خمسة وسبعين بالمائة من الناس ؟ هذا الرجل الذي كان مهيماً - بالاضافة الى هذا التأييد - على القوة الجوية الالمانية التي كانت قد اوجدها من العدم ، ومستحوذاً على منظمتي الـ (ايس . أي) و (الـ ايس . ايس) وقوات الشرطة المسلحة القوية .


كيف استطاع القادة العسكريون احداث انقلاب حينذاك ، وهذا الرجل في ذروة سلطانه مهيماً بيدتين من حديد على مختلف القوى الشعبية والحكومية ؟ وحسبه ان يذكر الالمان بأعماله التي انجزها دون ان تستنفد قطرة من الدماء !

كيف يستطيع قادة الجيش التخلص من قائدهم الأعلى الذي عرفته الدوائر السياسية الخارجية في العالم كله بأنه الموجه الوحيد لكل ما أنجزته المانيا حينذاك - تلك الأعمال التي رضخت لنتائجها تلك الدوائر ؟

ولم يحدث في التاريخ الا نادراً قيام قادة الجيش بتنحية الحكومة القائمة



الحملة البولندية (١٩٣٩)



 الروس جيش الشمال (بولك) جيش الجنوب (رونشتد)

لمجرد أنهم لا يقرّون السياسة التي تلتهمها تلك الحكومة ، ولا سيا قيادة الجيش البروسي الألماني الذين اتصفوا منذ أجيال طويلة بالطاعة المطلقة من غير تردد أو جدال .

كان من نتيجة ذلك قيام صراع في نفوس القادة بين التمسك بواجباتهم العسكرية والاخلاص للدولة القائمة من جهة ، وبين التخلي عن نظام الحكم القائم من جهة أخرى .

آمن الألمان بهتلر ايماناً عميقاً ، ففي البلاد التي يسيطر عليها النظام الدكتاتوري - يوجه الشعب اتجاهها خاصاً حسب خطة دقيقة ، بحيث لو ثار القادة العسكريون في ذلك الوقت لوصمهم الناس بأنهم رجعيون ينافثون كل تقدم في البلاد .

لقد كان على رونشتد أن يختار الاتجاه الصحيح من اتجاهين متضادين أحدهما مر : الرضوخ للنظام السائد في ألمانيا مع ما فيه من عيوب ، أو محاولة قلب هذا النظام خلافاً لما اعتاده من تقاليد الضبط المتين .

وربما يعتبر رضوخ القادة العسكريين الألمان لنظام هتلر خطأ كما يعتقد الكثيرون ، ولكن ينبغي أن نفكر في الصعوبات القائمة حينذاك تجاه الخارجين على نظام الحكم القائم . ولن نحاول في الفصول القادمة عند البحث عن اتجاهات وأعمال رونشتد أن نستقصي فن الحرب بالتفصيل بل سنذكر الحوادث العسكرية الرئيسة بإجمال ، ومن يرد استقصاء الحوادث الإضافية عن السوق (الاستراتيجية) والتعبية فأمامه مادة غزيرة ، إذ صنفنا حول ذلك بحوث مستفيضة لمؤرخين عسكريين معروفين وطبعت بالتدريج خلال الحرب وبعدها لم يشغل رونشتد منصباً رئيسياً في القوات الألمانية ، إذ لم يكن ضمن هيئات ركن هتلر ، ولم ينتسب إلى ركن القوات المسلحة ، ولا إلى هيئة ركن مقر الجيش . لقد كان في المرتبة الثالثة أي قائداً عاماً لمجفل جيش

مرة وقائداً عاماً في الغرب مرة أخرى... لقد كان يتلقى أوامره من سلطة أعلى .

فما هي الأفكار التي كانت تدور في خلد رونشتد حول ذلك كله ؟
هذا ما سنتطرق اليه في هذا الكتاب .

لقد كان من حسن الحظ أن يتحلى رونشتد بحاسة سوقية (استراتيجية) سليمة ، فلم يكن ليشغل نفسه قط بالتفاصيل العسكرية ، وكمثال على ذلك ، فإنه كان يفضل خريطة حركات مقياسها ١/١٠٠٠٠٠٠ على خريطة حركات مقياسها ١/٣٠٠٠٠٠ وأقل رغبة في خريطة مقياسها ١/١٠٠٠٠٠٠ .

ومن المهم أن أنوه بأن خطط رونشتد السوقية (الاستراتيجية) الكبرى وضحت عمداً في هذا الكتاب بلغة سهلة مبسطة ، اذ لم أكتب هذا الكتاب الا للقراء الاعتياديين لا العسكريين المتهنين او للخبراء من طلاب العلوم العسكرية .

ولم يكن قادة القوات المسلحة الألمانية في خريف (١٩٣٩) يعلمون شيئاً عن الأسرار السياسية ، أو ربما علموا عنها شيئاً قليلاً ، لأنه لم يكن من عادة الحكومة أن تزود القادة بما لديها من معلومات عن مقاصدها السياسية . ولقد أشيع أن بولندا الحديثة نبذت سياسة (بلسودسكي) التي كانت مبالاة الى صداقة الألمان ، وأن بولندا اتخذت اتجاهاً معادياً للألمان ، كما قيل ان بولندا لم تبد أي اشارة الى ميلها لحل مرض لمشكلة الألمان القاطنين ضمن حدودها، وأخيراً أشيع ان بولندا نفضت يديها من كل حل مقبول لمشكلة (الممر) هذا الممر الذي خلقته في سنة (١٩١٩) معاهدة (فرسايل) ، وهو عبارة عن قطاع من الأرض عرضه نحو ستين ميلاً الى الغرب من نهر (الفستولا) السفلى ممتد نحو بحر البلطيق ، وكان قد اقتطع من ألمانيا وأعطي الى بولندا ، وهكذا عزلت مقاطعة بروسيا الشرقية عن بقية الرايخ الألماني ، فلم يكن

بالاستطاعة الوصول من ألمانيا الى مقاطعة بروسيا الشرقية الا بسكة حديدية مسيطر عليها سيطرة دقيقة ، وقد سبق تقديم مقترحات عديدة لايجاد حل يرضي كلا من ألمانيا وبولندا حسماً لهذه المشكلة ، كالاقتراح الرامي الى انشاء خطوط محايضة ضيقة تحاذي الطرق تحت الادارة المشتركة ، وانشاء طرق للسيارات تقاطع الطرق الأصلية من بولندا شمالاً الى الميناء البولندي (جينا) ومن الراينخ الألماني الى بروسيا الشرقية .

ولم يحظ رجال الجيش بمعلومات أكثر تفصيلاً من ذلك ، وبقيت الأسرار الحقيقية للحملة البولندية سرّاً عليهم ، أما من الناحية العسكرية ، فقد كانت القوات الألمانية تتجه تدريجياً نحو الحدود البولندية ، وأمرت بإنشاء التحصينات العسكرية هناك .

كان الاعتقاد السائد بين صفوف الشعب الألماني كله و صفوف الجيش عام (١٩١٤) ، أن الحرب فرضت عليهم فرضاً ، خلافاً لما حدث عام (١٩٣٩) ، حيث لم يكن الشعب ولا الجيش متحمساً لهذه الحرب مندفعاً اليه ! وقد أدرك كثير من مختلف طبقات الشعب الألماني الخطر المتوقع من الحرب الوشيكة الوقوع ، كما تبينوا أن حملة بولندا ستؤدي الى حرب حقيقية لا الى معارك أزهار خالية من القتال الحقيقي - كما حدث سابقاً - والذين يلقون نظرة سريعة على خريطة أوروبا لعام (١٩٣٩) يدركون حتماً أن بولندا قد اندحرت سوقياً قبل أن يطلق الألمان طلقة واحدة ، وقبل أن يجتاز جندي من الألمان حدودها .

لقد أدى تخطيط حدودها الى تطويقها من جهاتها الثلاث بألمانيا كأن ذراعين قويتين قد حطمتاها ا ففي الشمال تقع بروسيا الشرقية ، ومن الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية تستطيع القطعات الألمانية أن تندفع جنوباً نحو (وارشو) و (بريست ليتوفيسك) ، ومن جهة أخرى كانت الحدود البولندية

— الجيكوسلوفاكية تغري بشن هجوم يتجه نحو الشمال مستهدفاً (كراكاو ولبرك) ! ولست بحاجة الى معلومات عسكرية لتعرف بنظرة واحدة موقف بولندا اليائس !

كان بمقدور ألمانيا دائماً أن تستثمر هذا التفوق السوقي (الاستراتيجي) استثماراً كاملاً واذا كانت الأحاطة السوقية لم تؤت ثمارها كاملة ، فلأن شبكة الطرق لم تكن في شرق (سلوفاكيا) كافية ، فمرقلت تقدم القطعات الجسيمة .

وفضلاً عن ذلك فإن المنطقة الجنوبية الشرقية لبروسيا الشرقية ، لم تسمح لأسباب فنية بتحشد^(١) سريع لقطعات جسيمة ، كما ان التحصينات البولندية الجيدة في خط (نيرو) شمالاً وجبال (الكربات) جنوباً يشكلان مانعين يستفاد منها في تأخير تقدم الجيش الألماني .

كان البولنديون في موقف بائس جداً ، ففي الغرب من بلادهم اي في شرق (الفستولا) تقع منابع تموينهم وصناعاتهم المهمة ، وفوق ذلك كانت المقاطعة الألمانية السابقة (بوزان) تحتوي على مصادر ثروة بولندا ، فلو استطاع الالمان إرغام البولنديين على الانسحاب من هذه المنطقة ، لانتهدت الحرب ، لأنه لم يكن هناك صناعات حربية مهمة شرقي (الفستولا) ، واكثر من هذا فإن سقوط آبار النفط القليلة الكاثنة في (غاليسيا) من منطقة (الكربات) بيد الالمان يؤدي الى حدوث عجز البولنديين في مادة النفط الحيوية .

لهذه الاسباب المنطقية اضطر البولنديون الى الاحتفاظ بأكثر جيشهم في الأراضي الحيوية المحيطة بمنطقة (بوزان) ، هذه المقاطعة الداخلة بين حدود

(١) التحشد : مبدأ من مبادئ الحرب ، وهو جمع اكبر قوة مادية ومعنوية في المكاتب والزمان المناسبين .

(العرب)

المانيا الى عمق بعيد ، فلم يبق لديهم الا قطعات ضعيفة لحماية كلا الجناحين الطولين المكشوفين حتى (نير و) و (الكربات) ، وهكذا نجد ان الموقف العسكري لسنة (١٩٣٩) كان في صالح الالمان . كما كان الموقف العسكري ملائماً لهم ايضاً في جيكونسولوفاكيا عام (١٨٣٩ - ١٩٣٩) نظراً لطول حدودها المطوّقة بها ، حيث اضطر (الجيك) ايضاً الى الدفاع عن القسم الأهم من بلادهم والكائن على الحدود حول مدينة (براغ) . لقد كانت القيادة البولندية من جراء ذلك في محنة ، وكثيراً ما تطرق الفريق رونشتد حينذاك الى هذا الموقف العصيب للبولنديين . وكان يحمل بحق فكرة عالية عن الجيش البولندي ، لأن البولنديين شجعان محنكون ذوو مراس صعب ، ولهم جيش بندق للقيام بأصعب الأعباء .

ولكن تجهيز وتسليح الجيش البولندي لم يكن حديثاً ، وكان لديهم وحدات مدرعة من طراز قديم فقط ، وقوتهم الجوية ضعيفة ، وطائراتهم قديمة ايضاً . ان الجيش البولندي كان يمتاز بروحه المعنوية ، ويتحلى بمزايا القتال ، وبمقدرته على إنجاز الحركات الليلية بكل كفاءة ، وكان يحتاز بطريقته الخاصة فترة انتقال للحاكة أساليب الجيش الروسي ، وكان الضباط البولنديون يمثلون طبقة باسلة منسجمة فيما بينها ، وكانوا يحظون بتقدير عظيم من الجيش الالماني ؛ وأحسن ما في الجيش البولندي فرسانهم الممتازون بتقاليدهم القديمة ، هؤلاء الفرسان الذين جعلوا بعض الفرق الالمانية أثناء الحملة البولندية تحسب لهم ألف حساب ، والذين امتازوا بشجاعتهم العظيمة .

لقد كان معروفاً حينذاك ، بأن البولنديين قد أعدوا عدّتهم واتخذوا تدابيرهم الدفاعية ضد روسيا دون ان يحاولوا إخفاء هذا الاتجاه ، الا ان تحصيناتهم المستحضرة لم تكن كافية لحماية الحدود البولندية الشاسعة ، لذلك اضطرت القيادة البولندية العليا الى حماية مناطق ذات الأهمية القصوى بالتحصينات المنشأة بالسمنت والحديد ، وكانت تحصينات (سيلزيا العليا)

من أحدث وأقوى هذه التحصينات - تلك التحصينات التي في استطاعتها الصمود بنجاح ضد القصف من الجو ومن المدفعية الثقيلة ، وكانت التحصينات الواقعة شمالاً في (نيرو) على الحدود الجنوبية لبروسيا الشرقية في الدرجة الثانية من تحصينات سيليزيا العليا وعلى الأخص تلك التحصينات الواقعة قرب (أوستاو) ، ولم يكن على طول الحدود الشاسعة الأخرى غير عوائق معزولة من السميت ، وكانت هذه العوائق كثيرة في منطقة (بوزنان) . وفي بولندا نجد تشابهاً بين تحصيناتها هذه وتحصينات الحدود في جيكونسولفاكيا عام (١٩٣٨) إلى (١٩٣٩) . كانت خطة الحركات الألمانية خطة بسيطة : يحتل جحفل الجيش الشمالي المؤلف من الجيشين الثالث والرابع مع القطعات الآلية وفرقة الخيالة الأولى موضعاً في الشمال ، ويتقدم على محور (بوزنان) - (وارشو) - (برست ليتوفسك) بقيادة الفريق فون (بوك) للاحاطة بالجيش البولندي ، ومن جهة أخرى يقوم جحفل الجيش الجنوبي باجتياز الحدود على محور (تاترا العليا) (الكربات - بوشن - برسلو - كلوكو) ويتقدم إلى الشرق والشمال الشرقي لاحاطة الجيش البولندي من الأمام والجنوب ، وقد استطاع القائد العام للجيش فون (براوشتش) ورئيس هيئة الأركان العامة (هلدنر) تأمين التعاون التام بين جحفلي هذين الجيشين . كان جحفل الجيش الجنوبي بقيادة فون (رونشتد) أقوى الجيشين ، لأنه كان مؤلفاً من ثلاثة جيوش ومن القسم الأعظم للوحدات الآلية ، وكان الجيش الرابع عشر بقيادة اللواء (ليست) الذي من قطعاته فيلق فون (كليست) المدرع في جناحه الأمين ، وكان واجب هذا الجيش التقدم من سيليزيا العليا خلال مناجم الفحم باتجاه الشرق نحو (كراكو) و (برزي مسل) و (لمبرك) ، وكان عليه ان يطوق الجناح البولندي الجنوبي الكائن على جانبي جبال (تاترا العليا) التي يبلغ ارتفاع قممها أكثر من (٨٠٠٠) قدم من الجنوب مخترقاً (الكربات) بفشارز قوية عززت أخيراً بثلاث فرق جبلية ، وفي المركز كان جيش فون (ريشناو) العاشر قوياً جداً . هذه القطعات الرئيسية كانت تضم القسم الأكبر من القطعات المدرعة والفرق الآلية ،

وواجبها الهجوم نحو (سيليزيا) على محور (راندوم) العام ؛ وفي اليسار كان جيش اللواء (بلاسكوويتس) الثامن أضعف هذه الجيوش ، وكان عليه ان يشرع في الهجوم من منطقة قريبة من (كلوكو) باتجاه (لوتس) وأهم من ذلك كان عليه حماية الجناح الشمالي لمعقل جيش (رونشتد) في (وانا) و (بزورا) حيث كان القسم الأعظم من الجيش البولندي محتشداً في المنطقة المحيطة بمدينة (بوزنان) والى الشمال منها .

خصصت القوة الجوية الألمانية الاسطول الجوي الرابع بقيادة (لوهر) لاسناد الهجوم في منطقة (رونشتد) ، وأضيف اليها تشكيلات الصاعقة الجوية بقيادة اللواء فون (ريخ توفن) لغرض الاسناد القريب للفيلق المدرع .

لقد كانت الجبهة واسعة جداً ، تمتد من (تاترا العليا) - (تروباو) - (اويلن) - (برسلاو) - (كلوكو) ، اي حوالي (٢٧٥) ميلاً اذا اعتبرناها خطاً مستقيماً من بدايتها الى نهايتها ، وكان رونشتد هو القائد العام لهذه الجبهة ، اذ استدعي لقيادته بعد ان أحيل على التقاعد عام (١٩٣٩) كان الجيش يرى في رونشتد جندياً يتحلى بخلق رفيع نادر وبموهبة خاصة تعينه على تفهم الحركات السوفية (الاستراتيجية) ومعرفة الاتجاهات الصحيحة ، أما رئيس هيئة ركن قيادته ، فكان اللواء النشيط الكفؤ الفعال فون (مانشتاين) ، لذلك كان على رأس مقر قيادته خيرة الضباط . أما أفراد هيئة الركن الآخرون فكانوا قلبي التجربة والقابلية ، لأن هذه الهيئة شكلت لأول مرة عند اعلان التعبئة العامة في بداية الحرب ، وقد التحق بها كثير من الضباط وضباط الصف الاحتياط الذين جاءوا من اعمالهم المدنية ، وكانت الخدمة في مقر رئيس كهذا امراً غير مألوف لديهم ، ولكن كفاءة مقره تحسنت تدريجياً بالممارسة وبمرور الزمن ، وقد جرى اسكان مقر قيادته لأول مرة في مركز تدريب واقسع في (سيليزيا) ثم نقل بعد ذلك الى (نيس) ، وقد اصبح الدير الكاثوليكي للصليب المقدس دائرة للمقر، فشاركنا

الرهبان في حديقة الدير ومرافقه ، وقد قضى رئيس الدير الالمى الحكيم ليالي عديدة يتحدث الى رونسند ويتبادل معه وجهات النظر دون كلفة . كانت المفروض أن يبدأ اجتياز الحدود يوم ٢٦ آب (اغسطس) عام (١٩٣٩) ، وكان على مفارز الاستطلاع ان تتخذ تشكيلات القتال المتقدمة للامام ليلة ٢٦/٢٥ آب .

صدرت كافة الاوامر ، واصبحت الجيوش متهيئة للحركة ليلة ٢٥ آب للوصول الى اهدافها .

لم تكن الروح المعنوية السائدة في هذه الجيوش عالية مندفعة ، كما لم يظهر على البولنديين اضطراب كبير ، ولكن برز للعيان السؤال التالي : ما الذي سيحدث بعد هذا .

في الساعات الأولى من مساء يوم ٢٥ آب ، وصل اليينا امر غريب صادر من هتار ، بلغه اليينا القائد العام للجيش ، مفاده ان على الجيش الشرقي ان يتوقف حالا ، ومن الواضح ان السياسيين كانوا يبحثون عن مخرج لاجتناب الحرب في اللحظات الاخيرة ، وكان هذا الأمر يحتاج الى اقصى سرعة لتنفيذه ، والا فستجتاز قطعائنا الامامية الحدود ، حيث تشتبك بالقتال !

لقد كان إيقاف التقدم الوشيك لقطعائنا الامامية على جبهة طولها (٢٧٥) ميلا قبل اختراق الحدود عملاً معجزاً حقاً ، ولكنه أنجز من جانب القيادة العامة وأمري القطعات والقطعائات بشكل بلغ حد الكمال . كانت ليلة وضوءة بنور القمر ، ازدحمت بها الطرق بين (تاترا العليا) و (كلوكو) بأرغال فرق المشاة والفرق المدرعة المتقدمة لقطعائنا الامامية لجحفل جيش الجنوب ، وكان هناك كتيبة آلية تتحرك متوغلة نحو الشرق على طريق يمتد من (سيلين) في جيكونسوفاكيا جنوب (تاترا العليا) لغرض اجتياز جبال (الكربات) باتجاه الشرق ، فتعذر الاتصال بهذه

الكتيبة ، لأنها كانت بعيدة جداً عن مقر القيادة ، ولرداءة المواصلات في (جيكونسلافيا) الشرقية ، اضطر رونشتد الى ايفاد ضابط بطائرة المانية صغيرة يستخدمها ضباط الركن الأقدمون من نوع (ستورك) مجتازاً الجيش الرابع عشر للوصول الى هذه الكتيبة، فتمكن هذا الضابط من تمييز الكتيبة في ضوء القمر وهي متحركة على الطريق شرق (سيلين) ، وهبط بالقرب من مقرها ، ثم بلبغها امر توقف الحركة .

توقف المحرك الجبار للجيش عن الحركة ، غير ان دوريات صغيرة آلياً اجتازت الحدود هنا وهناك ، فأمكن سماعها قبل ان تشتبك في القتال . لم يكن رونشتد يعرف دواعي صدور أمر توقف الجيش عن الحركة، لعدم وصول أي معلومات عن الموقف السياسي اليه ، غير أن الأشاعات السائدة حينذاك كانت تزعم بأن موسليني او الدول الغربية عرضوا اقتراحات للتسوية السلمية بين الطرفين. لقد سبق لهتلر أن أصدر أمراً بالتوقف عن التقدم في عام (١٩٣٨) قبل الحركة الى (السودان) . وعندما وصل أمر التوقف عن التقدم هذه المرة، ساد هيئة الركن ارتياح عظيم ، ونال على اثر ذلك فون رونشتد بضع زجاجات من شراب (التوكي) الذي استحضر من (نيس) لتكريم هذه المناسبة السعيدة بالاشتراك مع رئيس الدير .

هذه هي حقيقة الروح المعنوية السائدة في تلك الساعة، ولكن أمر التوقف عن التقدم لم يدم طويلاً ، فقد صدرت أوامر جازمة للشروع بالتقدم لاختراق الحدود والشروع في الحرب ، ففي يوم ١ أيلول (سبتمبر) سنة (١٩٣٩) اجتاز جحفا الجيشين الحدود البولندية من الشمال والغرب والجنوب، فاندلعت بران الحرب

كانت مقاومة البولنديين شديدة لا سيما في المنطقة الصناعية من سيليزيا العليا، استفادوا من التحصينات الدفاعية القوية هناك ، فكانت خسائر الجيش

الرابع عشر المهاجم لتلك المنطقة كبيرة لا يستهان بها. اما في المناطق الأخرى على امتداد خط الحدود الطويلة ، فقد تجنب البولنديون القتال في بادئ الأمر ، ولم تشتد مقاومتهم الا بعد مرور يومين او ثلاثة على بدء القتال ، فنشبت سلسلة من المعارك السياراة المتقلبة بين الشدة تارة والسهولة أخرى : هذه المعارك التي يتعذر سرد تفاصيلها في هذا الكتاب .

قاتل البولنديون بشجاعة كما كان المؤمل منهم ، وأهم من ذلك امتازت ألية خيالهم الباسلة بمباغنة قطعائنا ليلًا وكأنهم جيش من الأشباح . نشأت أزمة وقتية عندما حاول القسم الأعظم من قطعائهم التراجع من جوار (بوزنان) متجهين نحو (وارشو) ، حيث هددهم جمعفل جيش الشمال فحاولوا التملص متجهين نحو الجنوب عبر (بزورا) ، ولكن عندما شرع الجيش الثامن الذي كان من قوات رونشتد بالهجوم متجهين نحو الشرق ، ظهر البولنديون على طوار نهر (بزورا) باتجاه جناح الجيش الثامن ، فهددوا بذلك هذا الجيش تهديدًا خطيرًا لبضعة ايام ، مما أدى الى ارسال بعض الفرق من الجيش العاشر الذي كان في المركز بصورة وقتية شمالاً لغرض إسناد الجيش الثامن . قام رونشتد ورئيس هيئة ركنه باجراءات فعالة ، فقد طارا الى مقر الجيش الثامن في (لوتس) وأصدرا الأوامر اللازمة ، وقد نشأت الأزمة هذه على الجناح الأيسر للجيش الثامن لسبب قلة الاستطلاع . حقا لقد كان هذا الخطر ناجما عن قلة عناصر الاستطلاع المخصصة لهذا الجيش ، اذ لم يكن لديه غير كتيبة آلية واحدة ، خصصت للجناح الأيمن بدلاً عن تخصيصها لأقصى الجناح الأيسر؛ وأكثر من هذا فقد كانت الاستطلاعات التعبوية ناقصة ، تلك التي أجرتها الخيالة ، ذلك الصنف الذي احتفظ دائماً بفائدته في المناطق الشرقية . حدث رونشتد الذي كانت له معلومات دقيقة عن المناطق الشرقية أكثر من مرة ، على ضرورة نقل وحدات استطلاع الفرق التي كانت في الجبهة الغربية الى الجبهة الشرقية ، فقد كانت الفرق الألمانية في الغرب في موقف مستكن مستندة الى مواضعها في التحصينات

الغربية ، ولم يكن لوحداث استطلاعها أي وجه لاستخدام مفيد .

أما الاستطلاع الجوي فقد كان ناجحاً ، نظراً للسيادة الجوية التي كانت في جانبنا نتيجة لكثرة الطائرات الألمانية ، غير أن الطيارين لم يتمكنوا دائماً أن يحددوا بالضبط ماهية الموقف على الأرض .

كان ايلول (سبتمبر) عام (١٩٣٩) شهراً معتدلاً الجو ، سماءه مشرقة ؛ وعلى السبل الرملية كانت سيول جارفة من اللاجئين يتحركون ومعهم خيولهم ومواشيهم وعرباتهم كما هو مألوف في كل مكان في الشرق ، كما كانت القطعات البولندية أيضاً تتراجع باتجاه الشرق ، في حين أن قطعات أخرى من البولنديين تلمصت بعيداً مرة أخرى من الشمال باتجاه الجنوب ، فكان هناك خليط هائل من القطعات والأهليين ، ولكن لم يكن ليرى من الجو شيء عدا سحباً كثيفة من الغبار تلبعث من كافة الجهات وعلى كافة الطرق ، ولولا هذه السحب من الغبار الكثيف ، لكان في الامكان تمييز ما كان يتحرك تحتها .

وفوق ذلك فان البولنديين شأنهم شأن الأمم الشرقية الاخرى - مغرمون بالاستفادة من السري ليلاً للتنقل والقتال . لقد امتاز البولنديون على القطعات الألمانية عام (١٩٣٩) بالحركات الليلية ، مما اضطر القطعات الألمانية لأول مرة الى العمل ليلاً .

توصل القائد العام لجحفل جيش الجنوب بعد ذلك الى قرار سوقي هام ، فقد كان على الجيش البولندي بتأثير ضغط جحفل جيش الشمال الانسحاب من (برومبيرك) و (بوزنان) لأجل الخلاص من حركة الأحاطة المزدوجة ، وقد ساء الغموض لبضعة أيام في القيادة الألمانية العليا ، فكان هناك احتمالان: الاول أن البولنديين لا يزالون غرب (وارشو) ، والثاني أنهم أصبحوا وراء هذه المنطقة باتجاه الشرق والشمال الشرقي بحالة تراجع عبر نهر (البك) .

رجعت القيادة الالمانية العليا الاحتمال الثاني ، فطلبت من جحفل جيش الجنوب التقدم من رومانيا في الجنوب الشرقي عبر نهر (الفستولا) باتجاه (لوبلن) لقطع خط تراجع البولنديين بين نهري (البك) و (الفستولا) .

ولكن رونشتد ورئيس هيئة ركنه قدراً الموقف بشكل يختلف عما قدرته القيادة الالمانية العليا ، فاستنتج ان العدو لا يزال يقاتل بالقسم الاعظم من قواقه في غرب (وارشو) ، واستناداً على ذلك غيراً اتجاه الجيش الثامن واتجاه القسم الأعظم من الجيش العاشر الآلي بكل سرعة شمالاً نحو (وارشو) ، فتعمل بذلك رونشتد مسؤولية تنفيذ هذا القرار المصيب على الرغم من مخالفته لرأي القيادة الالمانية العليا ، فنقلت قوات الجيشين العاشر والرابع عشر ، كما نقلت كافة المدفعية الآلية الثقيلة بسرعة إلى اتجاه (وارشو) لتطويق هذا الموضع المدافع عنه بشدة ، والمحاط بالمواقع البولندية المستعصية والحصون والقلاع ، ولجعل عملية عبور نهر الفستولا اكثر صعوبة ، وقد أمكن إزاحة القسم الأعظم من الجيش البولندي الذي كان محيطاً بـ (وارشو) بالتعاون مع جحفل جيش الشمال الذي كان يتقدم من ناحية الشمال .

ولقد قصفت دفاعات (وارشو) بشدة من الجو وبالمدفعية من الارض بالإضافة الى هجوم المشاة والدروع عليها ، فاضطر القائد البولندي الشهم على الاستسلام مع جيشه وحصونه ، وبذلك حققت حرب الصاعقة في بولندا اهدافها بالنسبة لأبواق الدعاية فقط ، وإن لم تكن الحرب منتبهة بعد بالنسبة للقطعات الالمانية المقاتلة ، فقد تحدثت الدعاية عن حرب استغرقت ثمانية عشر يوماً ، ولكن مجرى الحوادث عند التطبيق لم يكن كذلك . مما لا شك فيه ان القسم الأعظم من الجيش البولندي قد انهار ، ولكن القوات الالمانية لا تزال تصطدم بقطعات قوية من الجيش البولندي على الضفة الشرقية لنهر (الفستولا) ، وقد حاولت تلك القطعات البولندية التملص بالعبور بين نهري (البك) و (الفستولا) الى رومانيا .

تطور الموقف بسرعة هائلة من بعد ذلك ، فقد توصل هتلر الى اتفاق مع روسيا لاقتسام بولندا ، ورتبت الامور من البداية على أساس إعطاء كافة المنطقة الكائنة شرق الفستولا للروس ، فعبرت القطعات الروسية ودروعها الحدود البولندية الروسية على جبهة واسعة بين (مينسك) و (بودوليسك) وتقدمت ببطء نحو الغرب ، فكان نتيجة ذلك اصطدام جحفل جيش الجنوب اثناء تقدمه بقطعات بولندية كانت تحاول يائسة الوصول الى رومانيا المحايدة في الجنوب الشرقي لتكون بنجاة من قبضي القطعات الالمانية والروسية ، كما اتجه كثير من الشعب البولندي من الشرق الى الغرب خوفاً من الروس .

يمكن ان نتصور كيف كان الموقف غامضاً حينما كان هناك قتال محلي مستمر في شرق (غاليسيا) وحول (لوبلن) وبصورة خاصة ليلاً ، بعد انقضاء الثمانية عشر يوماً ، فقد كان البولنديون يستفيدون من الظلام ومن غابات شرقي بولندا .

وفي منطقة (كروديك) من (غاليسيا) وحول (لمبرك) ، حدثت اشتباكات تميزت بالضراوة والعنف ، خاصة في المستنقعات والغابات المجاورة لهذه المنطقة ، فقد ظهر البولنديون في جبهة ومؤخرة القطعات الالمانية محاولين شق طريقهم خلالها. وسط هذا الموقف المرتبك شرقي (الفستولا) و (السان) ، حصل اصطدام بسيط له مغزى بين وحدات البنادق من الفرقة الجبلية الاولى وبين وحدات روسية مدرعة ، فقد أخطأ الملازم الالماني الذي كان يحتل ربيطة في تمييز الدبابات الروسية المتقدمة من الشرق ، فأمر بفتح النار حيث أصيبت الدبابة الروسية الامامية ، كما قتل كلا الضابطين الالماني والروسي في نفس الوقت .

ومع ان الحملة البولندية كانت منتهية بالنسبة لأغراض الدعاية ، الا ان الموقف بالنسبة لقطعات رونسشتد في (غاليسيا) تطور بشكل غريب يوماً بعد آخر ، فقد كان على كافة القطعات الالمانية ان تنسحب الى غرب (الفستولا) و (السان)

وفقاً للاتفاقية الألمانية الروسية لتسليم هذه المنطقة للاتحاد السوفياتي ، غير ان القطعات الألمانية كانت مشتبكة اثناء انسحابها باشتباكات صغرى مع الجيش البولندي ؛ ومهما يكن من الامر ، فان الروس تركوا الالمان لمعالجة هذه المقاومات ، وتقدموا ببطء باتجاه الغرب ، وقد ظهرت للعيان من ذلك الوقت صعوبة التغلب على الريبة والشك المغروسين الى غور بعيد في الجيش الاحمر .

وهكذا وجدت وحدات من الجيش الرابع عشر نفسها في موقف حرج اثناء انسحابها عبر (السان) خلال منطقة (التاينو) الشهيرة برمالها وبندرة طرقها وبغاباتها ومستنقعات ضفافها الضحلة نتيجة للهجمات البولندية عليها ، ولنجدة هذه الوحدات وصلت تشكيلات المانية اخرى الى الشرق . بعد ذلك تبدل قرار تقسيم بولندا الاول ، فأصبح خط التقسيم الجديد هو خط (سان) - (بك) ، ومعنى ذلك انسحاب القطعات الروسية باتجاه الشرق ثانية وتقدم التشكيلات الألمانية عبر (الفستولا) الى (البك الاسفل) مرة اخرى ، ومن ذلك تظهر أية صعوبات وخسائر عانتها القطعات بسبب تعيين الخط الفاصل بالطرق السياسية .

لم تلتها الحرب البولندية فعلاً الا في منتصف شهر تشرين الاول (اكتوبر) ، وحتى بعد ذلك الوقت تكبدت القطعات الألمانية خسائر كبيرة في الارواح .

كانت هيئة ركن رونسشتد خلال هذه الفترة تسكن بيتاً ريفياً في جنوب غربي (وارشو) يعود الى عائلة (باتوكي) البولندية ، وفي هذا المكان تلقى رونسشتد أمراً بتعيينه قائداً عاماً للجبهة الشرقية ، وان يبقى في بولندا مع هيئة ركنه لحماية البلاد بصفته حاكماً عسكرياً لها .

لم يكن هذا الأمر يتفق مع رغبته بأي وجه ، إذ كان قد تقرر إحداث منصب الحاكم المدني العام لبولندا ، فعين حاكم نازي للبلاد والتحق بمنصبه .

سبق ان حدثت اختلافات حادة بين وجهات نظر رونشتد وبين رجالات الحزب النازي ، كما حدثت مثل هذه الاختلافات خلال الحرب البولندية ، لذلك لم يدخر رونشتد وسعاً للتخلي عن منصبه كحاكم عسكري والابتعاد عن بولندا؛ وقد تحققت رغبة رونشتد هذه في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ، إذ أصدر هتلر نفسه امراً يقضي بنقل رونشتد وهيئة ركنه الى الغرب لاستلام قيادة جمفيل الجيش (أ) هناك ، وتعيين الجنرال (بلاسكوويتس) حاكماً عسكرياً جديداً لبولندا ؛ فسلمت هيئة ركن رونشتد مقاليد البلاد الى الحاكم الجديد ، وانتقلت الى (لوتز) . وفي نهاية تشرين الاول نقلت هيئة ركن رونشتد غرباً الى (كوبلنز) على نهر (الراين) واستلم رونشتد وسام الصليب الحديدي من درجة (صليب الفارس) .

أثبتت تجارب الحرب البولندية ، ان قسماً من مشاة الالمان لم يكونوا ثابتين تحت النار ، ولم يبلغ مستواهم مستوى وحدات المشاة الالمانية الشهيرة في سنة (١٩١٤) ؛ وقد اهتم بذلك كثير من آمري الوحدات وأبدوا تدمرهم من ان بعض قطعاتهم يهاجون بقلوب خائفة ، ومن المؤكد ان مستوى بعض الفرق كان أرفع من ذلك ، ولكن حتى هذه الفرق من المشاة كان بعضها دون الحد المرضي .

لم يكن سبب ذلك ناجماً عن جنس المشاة الالمان ، بل سببه التوسع في إنشاء التشكيلات بسرعة فائقة جداً ، فلم يحظ الجيش نتيجة ذلك بالانسجام الداخلي المتين ؛ وكان السبب المباشر لإنهاء الحرب بسرعة ونجاح ، يعود الى كفاءة القوة الجوية والدروع . لقد أرسل الى هتلر تقرير حول عدم كفاءة فرق المانية معينة أثار استياءه ، لأنه كان مقتنعاً بأن مشاته متميزة من كافة الوجوه كالمشاة التي خدم فيها بنفسه جندياً عام (١٩١٤) ، ولكن الواقع لم يكن كذلك !

ان دراسة الحرب البولندية بالنسبة لرجال الجيش ممتعة ومفيدة من الناحية

الثقافية ، فقد كانت حرباً سيارة اكتنفتها مواقف متبدلة باستمرار بين الدفاع والهجوم والتطويق والتملص والهجوم المقابل . وكان فيها مواقف جديدة ومفاجئة وتبدل سريع في النتائج ، ولم يتيسر خلالها أي راحة لهيئات الركن وللقطعات خلال النهار ، كما لم يتيسر بكل تأكيد خلال الليل !

لقد كانت حملة تتفق بصورة خاصة والخطط السوقية والتعبوية لرونشتد – أي أنها كانت حرباً ذات تبدلات سريعة ، وقد كان رئيس هيئة ركنه اللواء القدير فون (مانشتاين) مخلوقاً بصورة خاصة لمثل هذه الحملة . وقد أسر كلا جحفي الجيشين حوالي (٦٩٠٠٠٠) بولندي .

أسر في بداية الحملة لواء بولندي فحلّ ضيفاً على مقر رونشتد لمدة يومين ، فرثى هذا اللواء سياسة حكومته ، وبكلمات مُرة عبّر عما يكتنه : « ان عدداً كبيراً من الضباط البولنديين كانوا يؤملون ان يضطلع الجيشان الألماني والبولندي معاً بمهمة الدفاع ضد الخطر الروسي » . ! .

ان عدم معرفة ما سيقع من الأحداث المتعاقبة ، جعلنا نعتبر حينذاك ما قاله هذا اللواء الشهم مجاملة ليس إلا ... وربما تسنى له – باعتباره بولندياً ان يبصر مجاهل المستقبل البعيد .



_____ حَرْبُ الصَّاعِقَةِ فِي الْغَرْبِ عَام ١٩٤٠

كان مقر رونسند الجديد في المدينة الألمانية القديمة (كوبلنز) على نهر (الراين) ، وكانت دوائر المقر في ابنية قديمة سكنها من قبل مقر الفيلق البروسي الثامن وفيها تكاد تلمس بوضوح تقاليد قرن كامل ، وقد اسكن معظم الضباط في فندق (ريزن فيرستن هوف) .

ظل الموقف السيامي مجهولاً في الواقع ، لأن قادة الجيش والفيالق لم يطلعوا الا على قليل من المقاصد والأهداف ، لذلك اثرت اشاعة غير مدبرة فيهم تأثيراً عظيماً .

لا يكاد يُفرق أحد بين الدعايات والوقائع الصحيحة . ان المعلومات الناقصة عن الموقف السياسي لم تؤثر على رونسند وقادة الجيش الاقدمين ، كما كان محتملاً ان يكون تأثيرها على قادة جيوش الاقطار الغربية .

لقد تعلم الجندي البروسي الألماني اكثر من اي جندي آخر بفعل تقاليد قرنين طويلين ، الا يشغل نفسه بالامور السياسية ، لهذا السبب كانت ميلهم لاستجلاء الخفايا في ذلك الوقت ضعيفاً .

ولم تكن اسباب احجام قوات انكلترا وفرنسا عن الاشتراك فعلاً في الحرب واضحة ، في الوقت الذي كان معظم الجيش الالماني ودروعه وقواته الجوية متحركة نحو الشرق الى بولندا .

ولقد كان التوتر السياسي موجوداً منذ ربيع عام (١٩٣٩) ، وفي يوم ١ أيلول اندلعت نيران الحرب البولندية - الالمانية ، وعندما حاول موسليني التوسط يوم ٢ أيلول - ذلك التوسط الذي يمكن ان توافق عليه فرنسا والمانيا - في ذلك الوقت ، اصدر السفير البريطاني في برلين قراراً نجم عنه حدوث حالة الحرب .

ربطت فرنسا مصيرها ببريطانيا ، وبقي لغز يصعب حله ، وهو : لماذا لم تضع الدولتان القويتان بريطانيا وفرنسا حداً للحرب بكاملهما ، وذلك بغزو المانيا الغربية في ايلول (١٩٣٩) ؟ أكانت هناك اسباب سياسية ؟ هل كان هناك امل في اجراء تسوية بعد الحرب البولندية ؟ هل ان الاتفاق الروسي الالماني حول بولندا قد اخاف تلك الدولتين .

اما ما اطلق عليه (بالجدار الغربي) فلم يكن الا خدعة من خدع الدعايات الالمانية ، ومن الصعب تصديق ان حقيقة سر هذا الجدار بقيت خافية على خدمة الاستخبارات الغربية ، فقد كان سمك الخرسانة المسلحة لكثير من حصونه غير كافية للصمود تجاه القصف الثقيل ، كما لم تقيس ساحة نار كافية لبعض المانعات^(١) ، وفي بداية الأمر لم يكن فيه غير قليل من عراقيل الاسلاك الشائكة ، وكان تسليح الجدار بالمدفعية والرشاشات الثقيلة ضعيفاً ، كما كانت شبكة الطرق والسكك الحديدية الضرورية لمثل هذه التحصينات في دور الانشاء ، وكثيراً ما

(١) المانعات : جمع مانعة ، وهي موقع محصن يمنع العدو من التقدم لتحصينه بالصلب والسمنت ، ولوجود اسلحة ثقيلة فيه .

(العرب)

بذلت الجهود الشاقة في انشاء التحصينات لعدم تيسر الطرق ، ثم انشئت من بعد ذلك الطرق .

ان اي عسكري يعلم ضرورة انشاء الطرق والسكك الحديدية ومحلات الاسكان اولاً ، ثم انشاء التحصينات الدائمة من بعد ذلك .

ولقد ضحك رونشتد عندما فتش (الجدار الغربي) لأول مرة ، وبالإضافة الى ذلك كانت وسائل المخابرة ناقصة وغير متصلة بالمطارات وبمواضع اسلحة مقاومة الطائرات ، ولكن الدعاية أظهرت ان (الجدار الغربي) اقوى من خط (ماجينو) القديم نوعاً ما ، فقد ادعوا ان هذا الجدار كرقعة الشطرنج من حيث قدرته على الدفاع عنه في حين ان خط (ماجينو) لم يكن الا خطأ محصناً قديماً ، ولكن حقيقة اسلوب الدفاع بالعمق عن (الجدار الغربي) هي انه لم يكن جاهزاً في الحقيقة ، خلافاً لخط (ماجينو) الذي انشئ بدقة وعناية ، فكان فعلاً اقوى من (الجدار الغربي) ، ومن المؤكد ان الفرق بين قوتيهما كان كبيراً جداً .

ومن الطبيعي ان نفترض اشتراك عدد كبير من الجواسيس في اقامة (الجدار الغربي) ، ولا بد ان فرنسا وبريطانيا عرفتاه من قبله الدعاية عن هذا الجدار ومبالغتها في وصف قوته !

يضاف الى ذلك عامل موقف القوات الالمانية في ايلول وتشرين الثاني عام (١٩٣٩) ، فقد كان خمسة وسبعون بالمائة من الجيش الالماني والقوة الجوية الالمانية في الشرق تقاتل بعيداً حتى نهر (البك) ، ولم يبق في الغرب غير ربع القوات الالمانية بدون اي قوة مدرعة ، وفضلاً عن هذا ، لم يبق في المانيا وفي المطارات الغربية غير وحدات ضعيفة من القوة الجوية ، وقد استخدمت هذه الفرق الالمانية القليلة لستر الحدود تجاه هولندا وبلجيكا وفرنسا ، فاحتل كل منها قواطع واسعة فلم يكن هناك دفاع بالمعنى الصحيح ، بل حماية محلية

ليس الا ، كما لم يحصل في تلك المناطق قتال جوي اذ اكتفى الفريقان بمجرد المراقبة فقط ؛ وكانت هناك حالة حرب ولكن بغير قتال ، اذ لم تطلق غير طلقات طائشة هنا وهناك ، كما حدثت اكثر الخسائر من الغارات الجوية او من انفجار الالغام ليلاً ، والحق ان علاقات ودية تقريباً نشأت بين القطعات السائرة الامامية القصوى للطرفين ، كما آمن الطرفان بضرورة اجتناب الاعمال الايجابية كأنما عقدت بين القطعات المتقابلة اتفاقية الرجال الشرفاء ، دون ان يخل احد الطرفين بهذا الاتفاق .

وقبيل انتهاء الحرب البولندية في ايلول ، سحبت الفرق الالمانية الفائزة عن الحاجة الى الغرب ، وبعد انتهاء هذه الحرب اندفعت القوات الالمانية الى (الراين) ، فلم يبق في الشرق سوى تشكيلات ضعيفة ، ومع هذا لم يقع حق ذلك الوقت اي شيء يذكر في الغرب . كانت اسهم هتلر لا تزال مرتفعة ، وكان الشعب القلق واثقاً بأن هتلر على صواب دائماً وبأن هيئة الركن العامة على خطأ دائماً . ولقد تبين ان القائد العام للجيش المشير (براوشتش) كان مقتنعاً حينذاك بالاكْتفاء بمراقبة الحدود الغربية بقوات ضعيفة فقط ريثما يجد السياسيون في اللحظة الأخيرة حلاً ما للسلم ، لهذا جعل ترتيباته العسكرية دفاعية هناك ، ونظم الجيش الالمانى وفقاً لذلك . وعندما علم هتلر بخطته هذه حدث اصطدام عنيف بينه وبين مقر الجيش ، واصدر امره بأن يُرتب الجيش الالمانى في الغرب بشكل يجعله قادراً على الهجوم عند الحاجة ، لذلك وجد رونشتد الموقف في الغرب عندما وصل الى (كوبلنز) في نهاية خريف (١٩٣٩) غامضاً جداً .

كانت الجبهة الغربية مقسمة بين ثلاثة جحافل جيوش : جحفل الجيش (ب) بقيادة فون (بوك) ويضم الجيوش الثامن عشر والسادس والرابع مع القسم الاكبر من الفيلق الآلي ، وقد رتب هذا الجحفل بالعمق اعتباراً من الراين الاسفل والى الشرق ، وكانت فرقته الامامية على الحدود الشرقية لهولندا وبلجيكا

وجناحه الجنوبي في منطقة (ايفل) ، وكانت هذا الجحفل اقوى بكثير من الجحافل الاخرى ، وعلى قواته انعقدت الآمال الكبار .

وجحفل الجيش (آ) ، وهو مؤلف من الجيش الثاني عشر بقيادة (ليست) والجيش السادس عشر بقيادة (بش) فقط وبدون قطعات آلية ، وكان هذا الجحفل قريباً من الجنوب ، ولذلك ربض في مركز الجبهة الغربية ، وكانت فرقه الامامية على حدود (فرنسا) و (لوكسمبرك) وجناحه الأيمن يمتد الى الجنوب الغربي من (بروم) تقريباً ، وجناحه الايسر قرب (نيرزك) في (لاسار) ...

وجحفل الجيش (ج) بقيادة فون (ليب) وقد ستر يحيشه الحدود الالمانية من (نيرزك) ممتداً الى (ساربروكن) والى الحدود الجنوبية من (بلاتينا) البافارية ومن ثم الى الشرق من (الراين) الأعلى بين (كارلس روها) و (بازل) الى الشمال . فكان هذا الجحفل بمثابة حلقة اتصال بين الجحفلين (أ) و (ب) . وكانت الخطة الهجومية الالمانية المزمع تطبيقها عند الحاجة في نهاية عام (١٩٣٩) كما يلي :

يتقدم جحفل الجيش (ب) القوي الى جنوب هولندا وبلجيكا باتجاه مضيق (دوفر) .

ولقد حدث عام (١٩١٤) أن كانت أهداف المانيا شبيهة بذلك ، وعندما وضع رئيس هيئة الأركان السابق الكونت (شليفن) خطته ، تلك الخطة التي لم تنفذ وفقاً لأفكاره ، إذ أراد ان يطوق بجناح قوي من الجيش دفاعات فرنسا القوية الشهيرة في الشمال ، ليمهد الطريق لحركة التفاف قوية ضد الجيش الفرنسي من اتجاه بلجيكا .

لم يعلم رونسند فيما اذا كانت خطة (١٩٣٩) توارد خواطر لخطة عام (١٩١٤) أم هناك أسباب مبررة لاعادة خطة (شليفن) على شكل أوسع ، ومهما يكن

الأمر فقد أُلقي على الجحفل (ب) الواجب الرئيس في تطبيق هذه الخطة .

وكان الواجب المخصص لرونشتد أبسط من ذلك كثيراً ، فقد كان على جحفل الجيش (آ) القيام بواجب ثانوي هو التقدم الى (الموز) الوسطى فقط بين (جفت) و (سيدان) على أن يستر الجناح الأيسر لجحفل الجيش الشمالي بعد ذلك ، ومن ثم فكل شيء يتوقف على تطورات الموقف .

أما جحفل الجيش (ج) فقد كان عليه أن يشترك في القتال فيما بعد ، إذ يخترق خط (ماجينو) من الشمال والشرق ويحتل الازاس واللورين .

عمل مقر رونشتد اعتباراً من كانون أول (١٩٣٩) مستنداً الى المبدأ التالي:

لو صدر أمر بالتقدم غرباً لاقتضى تبديل الخطة الراهنة . يتميز رئيس هيئة ركن فون رونشتد اللواء البارز فون (مانشتاين) بروح الابداع ، فهو الذي دأب على التفكير في مختلف المسالك المتوقعة ، فكان فضل ظهور خطة العمل بشكلها النهائي يعود اليه وحده . وقد أقر رونشتد فكرة رئيس هيئة ركنه بلحة خاطفة واحدة ، تلك اللحة التي كانت من خصائصه ، وعكف بعد ذلك مع رئيس هيئة ركنه على إيضاح الخطة الجديدة للقيادة العليا بعد أن استنفدت تلك الخطة شهوراً طويلة لا كمالها .

إن مسؤولية نتائج الخطة المقترحة تقع على عاتق القائد الأعلى وحده ، أي على فون رونشتد بالنسبة للتقاليد العسكرية .

لقد تساءل رونشتد ورئيس هيئة ركنه : عما اذا كان هجوم جحفل الجيش الشمالي في هولندا يؤدي الى انتصار حاسم بأسرع ما يمكن ، وكان كل من هولندا وبلجيكا قد أقام موانع قوية للغاية ضد الآليات ، وكان من أهم تلك الموانع القنوات ومناطق المستنقعات في هولندا التي تعرقل تقدم الدروع عرقلة خطيرة ، ولم تقتصر هولندا وبلجيكا على دفاعات الحدود القوية والتحصينات الداخلية ،

بـل كان لديها خطوط التحصينات التي نظمت بالعمق ؛ ولأن حالة الحرب موجودة منذ أمد طويل ، فمن المفروض أن الجيشين الهولندي والبلجيكي قد حصلوا على الوقت الكافي لانجاز الاستعدادات الدفاعية .

هنا اقترح (رونشتد) استناداً الى اقتراح (مانشتاين) وضع فيلق مدرع بأمرة جحفل الجيش (أ) ، كما اقترح بعد ذلك توسيع أهداف الجحفل (أ) أكثر من السابق نحو الغرب ، أي لا يقتصر هذا الجحفل على التقدم الى (الموز) الوسطى فحسب ، بل عليه أن يعبر هذا النهر ويستمر في تقدمه باتجاه الغرب ، وبذلك إما أن يستطيع جحفل الجيش (أ) حماية الجناح الجنوبي لجحفل (بوك) وإما أن يقوم بمساندة جحفل الجيش (ب) غرب (الموز) مندفعاً الى الشمال باتجاه (بروكسل) ، وقد حصلت موافقة مقر هيئة ركن الجيش على هذه المقترحات . وعلمت خدمة الاستخبارات الألمانية في الأشهر الأولى من سنة (١٩٤٠) بعقد مؤتمر في (بروكسل) بين ضباط ركن من فرنسا وبلجيكا وهولندا . ولم يكن ذلك غريباً لأنه من جملة التدابير الوقائية ، ولكن الغريب في الأمر أن أشياء معينة مما دار في المؤتمر المذكور أصبحت معروفة ، وبذلك أصبحت هيئة ركن القيادة الألمانية العليا على علم بأن قطعات الجيش البريطاني التي جرى إنزالها في أوروبا وجيشاً فرنسياً قوياً سيتقدمان عبر الحدود الفرنسية الشمالية مباشرة باتجاه (بروكسل) لغرض اجتناب موقف مشابه لما حدث سنة (١٩١٤) ، ولتأمين إسناد مؤثر للجيش البلجيكي الهولندي فيما لو اجتاز الألمان الحدود .

أيدت هذه المعلومات اقتراح اللواء فون (مانشتاين) حول تبديل الهيكل العام لخطة الحركات التي وضعها ، فقد أصبح واضحاً الآن بأن هجوم الحلفاء الغربيين الأربعة وهم فرنسا وانكلترا وهولندا وبلجيكا ، من داخل بلجيكا سيؤدي الى اصطدام قواتهم مع الهجوم الرئيس الذي سيثبته جحفل الجيش (ب) مما يفضي الى تعذر الحصول على نتيجة سريعة ، بل سيؤدي الأمر الى قتال مديد

في مناطق محصنة في هولندا وبلجيكا .

إن اللفتة البارعة في التعديل الجديد لخطة رونشتد ومانشتاين هي في نقل مركز الثقل للجيش الى المركز ، أي الى جحفل الجيش (أ) .

وعلى ذلك فإن الاندفاع الحاسم سيكون مباغتة تامة لخطة (نامور - سيدان) والى الغرب ، وسيؤدي الى استمرار الاندفاع الى الأمام حتى ساحل القنال الانكليزي بين (دانكرك) و (أبفيل) ، وبعد ذلك في حالة سحب القوات الفرنسية - الانكليزية الى المناطق المحيطة بـ (بروكسل) فإن هذا الاندفاع السريع لجحفل الجيش (أ) قد يؤثر على جناح وخلف تلك القوات من الاتجاه المذكور ، وربما نجح في قطع خط انسحاب الجيش البريطاني الى موانئ القنال وقطع خط رجعة الجيش الفرنسي الى فرنسا . كانت القضية كلها تنحصر في جعل العدو يتصور احتمال وجود القوات الالمانية الرئيسية في الشمال . وبعد كثير من الاختلافات في وجهات النظر بين هتلر والقيادة الالمانية العليا ، أقر هتلر هذه الخطة التي قدمت اليه ، وهكذا ظهرت الى الوجود الخطة النهائية للحركات والتي كتب لها أن تنفذ يوم ١٠ مايس عام (١٩٤٠) .

وضع الجناح الأيسر لجحفل الجيش (ب) أي الجيش الرابع فون (كلوكا) بأمره جحفل جيش رونشتد دون أن يبدل القاطع المخصص له ، وهكذا أصبحت بأمره رونشتد ثلاثة جيوش : الرابع والثاني عشر والسادس عشر ، كما أصبح بأمره القسم الأعظم من قطعات الفيلق المدرع والآلي الالمانى ، وكان اللواء فون (كليست) يقود هذا السلاح المدرع الحاسم الذي دعى حينذاك باسم : الجحفل المدرع ، بينما كان (كودريان) قد استلم الوحدات الأمامية من الجيش الآلي ؛ وهكذا أصبحت بأمره فون (كليست) تسع فرق مدرعة وآلية نقلت الى مركز المنطقة المحتلة من الجيشين السادس عشر والثامن عشر ، وكان عمق هذه الوحدات كبيراً الى درجة أن وحداتها الخلفية احتلت مواضعها الى

مسافات بعيدة شرق (الراين) ، وبالإضافة الى هذه الوحدات كان هناك الفيلق الخامس عشر المدرع المؤلف من الفرقة الخامسة المدرعة والفرقة السابعة المدرعة (رومل) والذي جعل بأمره الجيش الرابع مباشرة .

من ذلك يتضح أن القوات التي أصبحت تحت قيادة رونشتد مؤلفة من عدد هائل من المشاة وإحدى عشرة فرقة مدرعة وآلية ، وقد كان واجباً شاقاً أمر تعبئة مثل هذه الكتلة الضخمة من القطعات في فسحة ضيقة نسبياً بين (الراين) والحدود الغربية ، وإدانة ^(١) هذه القطعات ، وأصعب من ذلك أمر تحريكها الى اهدافها .

هذا هو الموقف التقريبي في مايس عام (١٩٤٠) ، وفي يوم ٩ مايس وصلت معلومات الى رونشتد من مقر القيادة العامة عن قرب إنزال قطعات بريطانية في سواحل بلجيكا وهولندا .

لقد تمكنت القطعات الألمانية خلال ستة أشهر ، وهي الفترة بين انتهاء الحرب البولندية وبين ابتداء الحرب في الغرب أن تحصل على ثمرات تجارب الحرب البولندية نتيجة للتدريب المتواصل على ضوء تلك التجارب ، ففي تلك الشهور التي لم يعكر صفوها قتال ارتفع مستوى كفاءة قسم من الجيش الألماني لأول مرة بصورة محسوسة .

ضلت إحدى طائرات القوة الجوية الألمانية طريقها في بداية سنة (١٩٤٠) ، فاضطرت الى الهبوط في منطقة الحلفاء وهي تحمل ضابطين المانيين ، وكان هذان الضابطان يحملان تفاصيل بعض اقسام خطة الحركات الألمانية ، فاستطاعا

(١) الادامة : تموين القطعات بالأرذاق والعتاد والسلاح والرجال، وتصليح آلياتهم وتجهيزاتهم وأسلحتهم وموادهم .

تمزيق بعض اوراق هذه الخطط بعد اضطرارهما الى الهبوط . لقد اهتمت القوة الجوية الالمانية بذلك كثيراً ، ولكن هتلر كان اهتمامه أقل من ذلك ، فقد تصوّر ان الحلفاء قد يعتبرون هذا النزول الاضطراري خدعة مدبرة لتضليلهم ، فضلاً عن هذا فان ما لديهم من المعلومات يقتصر على الخطة القديمة لا الخطة الجديدة التي وضعها رونشتد ومانشتاين ، لهذا لم تلحق هذه الحادثة ضرراً ما بالالمان .

وقد حدث عمل آخر غير متقن في الفترة بين تشرين الثاني عام (١٩٣٩) ومايس عام (١٩٤٠) ، فقد تبدلت الاوامر الصادرة بالتقدم الى الحدود والانسحاب منها ما لا يقل عن احدى عشرة مرة ، وحق القراء الذين لا معلومات عسكرية لديهم يستطيعون ادراك مدى التنظيم والضبط الضروريين لحركة مثل هذه القطعات الكبيرة الى الامام مرات عديدة وسحبها الى الخلف ثانية .

لقد سبق لهتلر ان استخدم مرة مثل هذه الأساليب بمقياس صغير في خريف سنة (١٩٣٨) قبل التقدم نحو (السوديت) ، كما استخدمها مرة اخرى في نهاية آب (١٩٣٩) قبل ابتداء الحرب البولندية ، وكان قد طبّق ذلك لأغراض سياسية ، وقد اصبح مألوفاً ان تعزى اسباب تبديل الاوامر الى الاحوال الجوية ، فكان الجيش يستلم اوامر تنص على التخلي عن كافة التدابير المتخذة نظراً لسوء الاحوال الجوية ، اي ان الثلج والمطر في جبال غربي (الراين) تمنع القيام بتلك الاعمال . لقد كانت تلك الايام من الايام المزعجة لرجال الأنواء الجوية ، ومهما يكن الامر فان رونشتد وكثيراً من الضباط كانوا لا يعتقدون بانهم سيقومون بهجوم جدي في اي حال من الاحوال .

وقدّم هتلر في ٦ تشرين الاول (١٩٣٩) للعالم فرصة لانتهاء الحرب بخطابه الذي ألقاه في (الرايخشتاغ) ، لذلك فقد تداعت ثقة الجيش من شهر الى آخر

بإمكان حدوث (تعرض^(١)) ما من القوات الألمانية ضد الحلفاء ، وقد قام مساعد هتلر اللواء (شيدل) خلال الشتاء بزيارات متعاقبة للمقرات والوحدات ليطلع بنفسه على تأثير جو الشتاء على الطرق والأنهار .

وكان شتاء سنة (١٩٣٩ - ١٩٤٠) شتاء قاسياً ، وكانت الجسور المهمة عبر (الراين) و (الموزل) مهددة بخطر فيضان الثلوج ، كما كانت الطرق المتعرجة في منطقة الجبال بين الحدود و (الراين) متجمدة ، وكانت العجلات الآلية تتزحلق ، أما المدفعية المسحوبة بالخيول فكان باستطاعتها التقدم ببطء . لقد تنبأ رونشتد بعقم أية حملة في الشتاء ، لأن مثل هذه الحملة تكون خاضعة لعوامل ليست في الحسبان .

وأخيراً ينبغي الإشارة الى نقل فون (مانشتاين) الألماني من منصب رئيس هيئة الركن لقيادة فون رونشتد وتبديله باللواء فون (سودنستين) نتيجة لما حصل من احتكاك وكرامية له باعتباره صاحب خطة الحركات الجديدة والحريص على تطبيقها والمنافع عنها . لم يفلح رونشتد في محاولة إلغاء هذا النقل ، وقد رُفِّع (مانشتاين) الى رتبة لواء وأسندت اليه قيادة فيلق ، ولكنه كان فيلق مشاة !!

ربما كان مانشتاين قد برز باندفاعه وإبداعه في أفكاره فجعله ذلك غير محبوب ، ومع أن القائد العام وهيئة ركنه أسفوا بطبيعة الحال لفراق مانشتاين ، فقد قنعوا برئيس الركن الجديد الهاديء الماهر فون (سودنستين) .

لقد أبرزت الخطوط الرئيسية فقط للخطة السوقية ، فقد كان واجب جعفل جيش رونشتد يحيوشه الثلاثة والجيش المدرع الاندفاع الى الأمام عبر خط

(١) التعرض : مبدأ من مبادئ الحرب ، ومعناه الهجوم بأوسع معانيه .
(العرب)

(نامور - سيدات) والوصول الى ساحل القنال الفرنسية بين (دانكرك) و (أبيفيل) بأسرع ما يمكن لقطع كافة خطوط رجعة البريطانيين والفرنسيين المتقدمين نحو بلجيكا دون ان يشغل نفسه بالتفكير في جناحي جحفل جيشه .

إن نظرة واحدة الى خريطة فرنسا ، تظهر أن كل ميل يقطعه جحفل الجيش نحو الغرب يؤدي الى اطالة الجناح الجنوبي لجحفل جيش رونشتد ، اي يؤدي الى ان يتعرض لتهديد خطير ، وهكذا امتد جناحه الجنوبي من (سار لويس) ماراً (سيدان) -- (لا اون) والى (أبيفيل) وذلك عند وصول قطعات جناحه الايسر الى (أبيفيل) ، وبذلك اصبح طول الجناح حوالي (٢٢٠) ميلاً اذا قيس كخط مستقيم بصرف النظر عن الانحناءات ، ولكن في الحقيقة كانت هذه الجبهة المكشوفة التي تمتد جنوباً اطول بكثير من ذلك ، وقد كانت القيادة تنوي تقوية هذا الجناح الطويل تدريجياً بتغيير اتجاه الاحتياطات التي كانت تتقدم في الخلف . يتضح من ذلك انه كلما توغل الجيش الرابع والجيش المدرع في تقدمه غرباً ، اشتدت الحاجة لاستدارة الجيشين الثاني عشر والسادس عشر نحو الجنوب لحماية الخط المشار اليه اعلاه ، ولا سيما ذلك الجزء الكائن على (الايسن) و (السون) .

علم رونشتد بوجود احتياطات فرنسية قوية حول (باريس) و (شالون - سير مارن - وفردان) ، ولا بد انها باقية هناك ، ولم يكن يجهل المهارة الفائقة المتوارثة لهيئة الركن الفرنسية ، كما كان يعلم ايضاً بأن شبكة الطرق وخطوط السكك الحديدية الممتازة تساعد على نقل قوات قوية بسرعة ، وكان يحمل رأياً عالياً عن اللواء الفرنسي (غامليان) ، فقد اعتاد ان يقول ضاحكاً : « من المؤكد ان صغيري (غامليان) يعرف ما يصنع » .

لقد اتبح لرونشتد ان يعرف اللواء (غامليان) في لندن سنة (١٩٣٦) عندما كان هناك ممثلاً للجيش الالماني في مراسم تشييع جنازة الملك جورج الخامس .

وكان اهم ما يشغل تفكير رونشتد هو احتمال نجاح الفرنسيين في هجوم مقابل قوي يشنونه من الجنوب باتجاه جناح جيشه الايسر العميق ، وقد اهتم ايضاً بـ (الموز) بالدرجة الثانية كما ادخل في حسابه استفادة الفرنسيين المحتملة من اشهر الحرب الطويلة بين ايلول عام (١٩٣٩) ومايس عام (١٩٤٠) فحصنوا منطقة (الموز) من (سيدان) الى (نامور) تكملة لتحصينات خط (ماجينو) ، مستغلين كل وسيلة ممكنة لانجاز ذلك ، ولا بد انهم احتلوا هذه المنطقة بقوات كافية .

كان على الجيوش الالمانية التابعة لجحفل الجيش (آ) ان تتغلب على دفاعات الحدود اولاً ، وان تطهر المنطقة من العقبات الكثيرة المضادة للدبابات ، ثم تتقدم مخترقة بلجيكا الجنوبية ذات الجبال والغابات ، الى ان تصل في اندفاعها الى نهر (الموز) ؛ وقد افترض ان المقاومة ستنبعث من قطعات الحدود ومن القطعات السيارة الخفيفة ابتداء من الحدود وفي داخل البلاد ، ولذلك قد تستغرق مقدمات الجيش المدرع وجيوش المشاة الثلاثة يومين او ثلاثة ايام قبل ان تصل الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان) ، وعلى هذا فلدى الفرنسيين وقت كاف لاحتلال هذه المنطقة بسهولة .

تكثر في وادي (الموز) ووادي (سي مواز) الضفاف الحادة والغابات ، كما ان هذين النهرين متعرجان كثيراً ، لذلك يتطلب التغلب على عقباتهما كفاحاً طويلاً مريراً حتى ولو اقتصر الامر على الوصول الى الخط المحصن في (الموز) .

لقد كان اهتمام رونشتد بهاتين الناحيتين المهمتين في محله ، وسيكشف لنا الشرح التالي حدوث المعجزات . اخترق الحدود جحفل جيشي (أ) و (ب) على طول حدود هولندا وبلجيكا ولو كسمبرغ وفرنسا ، بينما ظل جحفل الجيش (ج) متحفزاً ؛ وكانت بلاغات الجيش وأبواق الدعاية قد ركزت اهتمامها بجحفل الجيش (ب) كي تلفت اليه الأنظار لا سيما في الايام الاولى من الحركات

لفرض الخدعة . اما جحفل جيش رونشتد فلم يُذكر عمداً ولم يشر اليه إلا بإشارات عابرة ، وذلك ليتسنى له تحمل العبء العظيم الملقى على عاتقه ، فيتقدم بكل قوة مندفعاً نحو الغرب ، وسيجري تعقيب مجرى الحركات لهذه الحملة بصورة عامة .

أمكن الوصول الى استنتاج على جانب عظيم من الأهمية قبيل البدء بالحركات ، فقد توقع رونشتد وقادة جيوشه كما ذكرنا سابقاً انجاز تحصين خط (الموز) تحصيناً ممتازاً واحتلاله بقطعات كافية ، وقد ظهرت في كافة التصاوير الجوية تحصينات واسعة حول (شالفيل) و (ميزيرس) ، كما أمكن ملاحظة وجود قطعات كبيرة شرق (الموز) من التصاوير الجوية ايضاً .

وكان في هيئة ركن رونشتد ضابط مهندس بارز من صنف هندسة الحملة هو (الرائد) الرئيس الاول (فون سكوفا) احد منتسبي صنف الهندسة النمساوية سابقاً ، وقد استطاع هذا الضابط بعد دراسة التصاوير الجوية ان يدرك بأن هذه التحصينات ناقصة ، اذ لم تنشأ غير أساساتها فقط ، فساعد هذا الاستنتاج الذي عرف قبيل تقدم جحفل (كليست) المدرع على نجاح تقدم هذا الجحفل كثيراً .

ولم تصادف جيوش المشاة الثلاثة والجيش المدرع التي اجتازت الحدود البلجيكية - اللوكسمبرغية - الفرنسية بين منطقة (ايفل) و (ميرزك) صعوبات كبيرة ، فسرعان ما أزيلت او نسفت حواجز الطرق وموانع ضد الدبابات الكثيرة ، واستمر المشاة والدروع على التقدم بسرعة ، لأنهم تحاشوا كافة انواع الموانع والعراقيل خلال تقدمهم .

وكانت كثير من الدفاعات الصغرى خالية من القطعات ، وأمكن كسر شوكة مقاومات العدو الضعيفة بسرعة حيثما وجدت في الايام الاولى ، ولم يحدث ابدأ قتال على الحدود او حدث قتال لا يستحق الذكر

كانت المقاومة على الحدود البلجيكية بطبيعة الحال أشد عنفاً ، حيث تبدأ
المواضع الأمامية لخط (ماجينو) هناك . لم تشغل قطعات (لوكسمبرغ) خط
دفاعها على الحدود ، بل ان شرطة هذا القطر ساعدت في تنظيم سابلة الأرتال
الالمانية المتقدمة مساعدة فعلية .

وفي ١٠ مايس و١١ منه بدأت المقاومة تشتد لأول مرة في نقاط خاصة ،
وقد ابتدأت المقاومات بقيام فرقة البندقيات (أردنس) البلجيكية بالاشتراك
مع فرقة خيالة فرنسية بصورة مفاجئة بمقاومة خطيرة في منطقة ملائمة للتعويق ،
ولكن لم يكن هناك اي جدوى لأية شجاعة في العالم إزاء كتل هائلة من الدروع
والمشاة كانت تتقدم على جميع الطرق والسبل بالاضافة الى تقدمها عبر الأراضي
خارج الطرق ، وكان لدى كل فرقة خرائط مفصلة مؤشر عليها محاور التقدم
بالوان مختلفة ، وقد تركت طرق تموين خاصة مفتوحة لمرور التقويات ، وجرى
سلفاً تثبيت هذه الطرق والسبل على الخرائط حتى نهر (أليز) ، ولمعرفة حقيقة
الموقف يمكن تصوّر كتل ضخمة متماسكة تسير جنباً الى جنب يمتد عمقها حتى
(الراين) .

كان شغل رونشتد الشاغل هو التفكير في كيفية تنظيم حركة هذا العدد
الهائل من المشاة والدروع . لقد كان شيئاً ممتازاً في سنة (١٩٤٠) عدم قيام
الفرنسيين والقوة الجوية الفرنسية والانكليزية بالهجوم على هذه التشكيلات
الضخمة بأي درجة من درجات الفعالية الجوية المؤثرة ، ولو حدث ذلك لكانت
النتائج خطيرة جداً .

وبينا كان على كل من الجيشين الرابع والثاني عشر وجيش فون (كليست)
المدرع الاتجاه غرباً نحو (نامور - سيدان) ، كان من واجب الجيش السادس
عشر الاستدارة جنوباً نحو خط (سيدان - سيريك) لكي يستر جناح جعفيل
رونشتد الجنوبي الممتد ويديم التماس بجناح جعفيل الجيش (ج) الأيمن في جنوب

(ميرزك) ، وعندما وصل الجيش السادس عشر الذي كان يقوم بالاستدارة الى خط (ماجينو) استلم الأوامر لتقدمه الى هذا الموضع المحصن الى مسافة لا تتجاوز مدى نيران العدو لغرض تقليل الخسائر ، وكانت على هذا الجيش بعد ذلك ان يحفر مواضع دفاعية له ... كانت جميع هذه الخطط قد أنجزت نظرياً على الخرائط سلفاً ونفذت فيما بعد بكل دقة دون ان يعترض تنفيذها عقبات محسوسة .

وفي يوم ٩ مايس تقدم فون رونشتد مع ضابط ركنه الشخصي من مقره في (كوبلنز) الى الأمام حيث وصل الى بقعة شجراء قريبة من (بيت بيكر) الواقعة على بعد اثني عشر ميلاً فقط عن مركز جبهة جحفل الجيش ، وهناك تلتبّع رونشتد تقدم جيوشه بانتباه دقيق .

وعندما وصلت الوحدات المدرعة الأمامية الى (الموز) ، نقل رونشتد مقره من (بيت بيرك) الى (باستون) لكي يكون على اقرب ما يمكن من قطعاته في هذه اللحظة الحاسمة ؛ ولا شك ان المقاومة في شمال بلجيكا اشتدت ، فحدث هناك قتال شديد في بعض النقاط ، ولكن ذلك لم يؤدّ الى توقف الجيوش ؛ وكما قدّر في الخطط ، فان وحدات الاستطلاع وصلت الى (الموز) بين (نامور) و (سيدان) خلال بضعة ايام .

زار هتلر رونشتد في مقره الكائن في (باستون) ليطلع بنفسه على الموقف ، وفي هذه المناسبة لم يتطرق احد الى امور معينة ، وقد تقدم رونشتد ورفقته ضابطان الى (الموز) بسين (مزيرس) و (سيدان) لكي يطلع على الموقف بنفسه ، فوجد هندسة حملة القطعات المدرعة قد شرعت باقامة وسائل العبور ، وعلى الضفة الغربية كان يمكن مشاهدة بضع مانعات ، وكانت النار ضعيفة وغير دقيقة ، ولم يظهر وجود المدفعية الفرنسية في الحركات ، إذ لم يسمع غير أصوات نيران الرشاشات فقط .

وكانت الفرق المدرعة للتشكيلات الامامية بقيادة اثلواء (كودريان) قد بدأت بالعبور في ذلك الوقت على جبهة واسعة ، وحدث في منطقة (شارل فيل) - (مزييرس) قتال شديد لمدة قصيرة ، كما حصل مثل ذلك ايضاً في منطقة (سيدان) ، ولكن الدروع نجحت في اجتياز النهر دون خسائر كبيرة في الجبهة الطويلة الوسطى ...

لقد حدثت المعجزة الاولى التي لم يستطع رونشند تفسيرها : تلك المعجزة هي عبور نهر (الموز) بين (شارل فيل) و (سيدان) خلال أربع وعشرين ساعة بخسائر طفيفة .

وكان القتال بالنسبة للجيش الرابع في الشمال اشد عنفاً بكثير ، فهناك اضطرت الفرقتان المدرعتان الخامسة والسابعة وجانب من فرق المشاة الى القتال بشدة عند العبور بالقرب من (دنياننت) و (جيغت) ، كما حاول العدو القيام بالهجمات المقابلة ، ومهما يكن الامر ، فقد امكن في النهاية عبور النهر ايضاً بين (نامور) و (جيغت) ، والتأخير الوحيد الذي حدث كان سببه عراقيل كتل السابرة في الضفة الغربية لاعمال العدو ، ولم يكن على نهر الـ (سي مواز) ذي الضفاف الحادة سوى بضعة جسور سبق تخريب اكثرها ، وهنا تكدست الارتال الآلية غير المحدودة كما تكدست معها ارتال المشاة السائرة على الاقدام من فرق المشاة .

وقد اوفد رونشند ضابطاً في طائرة لاكتشاف اسباب التأخير ولكي ينظم التقدم بعد ذلك بواسطة شرطة السيطرة على السابرة .

ولم تكد الفرق المدرعة وفرق المشاة الامامية تنتهي من عبور (الموز) متجهة نحو الغرب ، حتى نقل رونشند مقره الى الامام حيث استقر في (شارل فيل) ، وتقدمت خلف الجيوش قوات كبيرة اخرى كانت احتياطاً بأمره مقر

ركن الجيش ، الا ان تفاصيل حركة وادامة هذه الفرق الكثيرة بقيت تحت مسؤولية رونشتد .

لقد ذكرت سابقاً بأن رونشتد يحمل رأياً عالياً جداً عن القيادة الفرنسية العليا ، لذلك كان هو ورئيس هيئة اركانه يتوقعان الآن تعرضاً مقابلاً كبيراً مباغتاً تقوم به قوات فرنسية من منطقة (فردان) و (شالون) - (سير) - (مارن) متجهة نحو الشمال الى (سيدان) و (مزيرس) ضد الجناح الايسر الذي لم يزل يمتد باستمرار وهو جناح الجيوش التي كانت تندفع للامام باتجاه الغرب . لقد كان في استطاعة تعرض مثل هذا السيطرة على الجسور الحيوية الوحيدة على (الموز) والاخلال بتموين القطعات المقاتلة باتجاه الغرب اخلافاً خطيراً . كما افترض رونشتد بالاضافة الى ذلك بأن العدو سيقوم بهجمات قوية نحو الشرق باتجاه (لونك وي) و (مونت ميدي) تشنه قطعات قوية من الجنوب بحماية خط (ماجينو) ؛ والواقع ان اياماً قليلة قاسية مرت بنا ، وفي اغلب الاحيان كان القتال متقلباً بين الشدة والسهولة .

وكان قصف المدافع ولا سيما في الليل يرتفع في بعض الايام بشدة الى درجة لا يستهان بها ، مما حدا بالقائد العام الى ان يخبر عنها الجيش السادس عشر برأيه تلفوئياً في عدة مناسبات . وفي جنوب (سيدان) في اعالي (ستوين) نشبت معركة دروع سيارة بين القوات المدرعة الالمانية والفرنسية ، وقد اضطرت الفرقة الفرنسية المدرعة الى التراجع مرة اخرى نحو الجنوب ، بينما استمرت الدروع الالمانية على التقدم نحو الغرب ، وطالما هاجم الجيش الرابع وجحفل فون (كليست) المدرع بنجاح بعد ذلك واحياناً بقتال عنيف شاقين طريقهما نحو (فلنسينس - سانت كوينتن) . ولكن بقيت هناك حاجة لاستدارة قطعات قوية من الجيش الثاني عشر واحتياطات الجيش نحو الجنوب لستر الجناح الجنوبي الذي لم يزل يمتد ويمتد ، فكان ممتداً من (سيدان) متجهاً نحو الغرب الى (الايسن) وبعد ذلك الى (السوم) .

بقي رونشتد وهيئة ركنه في (شارل فيل) منذ ذلك اليوم ، ولا شك ان في بقائه هناك محذوراً ، لان الاتصال الشخصي بجهة الهجوم يصبح سهلاً لو ان المقر عقب الجيش المدرع الى (سانت كوتتين) ، ولكن ينبغي ان نتذكر بأن الجناح الايسر كان حينذاك جنوب (لوكسمبرغ) ، وكان هناك الجبهة الجنوبية المهددة التي ينبغي السيطرة عليها والتي امتدت اخيراً حتى (ابيفيل) حيث رتب هناك جيشان قويان للدفاع ، ولذلك عندما زار هتلر (شارل فيل) لأول مرة اتفق تماماً بأن رونشتد يجب ان يكرس اكبر انتباهه لجناحه الجنوبي الطويل المهدد اكثر مما يكرسه للجيش الرابع والجيش المدرعة المندفعة نحو الغرب ، فقد كانت القوات الاخيرة بأمره قادة مجربين وفعالين فون (كلوك) و (كودريان) وفون (كليست) ، وكان لدى هؤلاء القادة اوامر جازمة للوصول الى الساحل بين (دانكرك) و (ابيفيل) ، ولم يكونوا بحاجة الى توجيهات محددهم ، كما كان امر وصولهم الى الساحل مفروغاً منه تماماً ومؤكداً ، في حين ان القيادة الالمانية لم تزل غير واثقة من قيام الفرنسيين بمباغطة تعرضية او عدمه .

ولم تقع المباغطة الفرنسية المتوقعة ، فظهر اخيراً ان قلق القيادة حول الجناح الجنوبي الطويل لم يكن في محله ، اذ لم يحدث شيء خطير في هذه الناحية ، وقد بقي الفرنسيون مدافعين تجاه الجيشين الثاني عشر والسادس عشر دفاعاً مستكيناً ، وكانت هذه هي المعجزة الثانية ، وهي المعجزة التي سماها هتلر بعد ذلك باسم المعجزة التامة ، ويقصد بهذه المعجزة الصفحة الاولى من الحملة بكاملها .

ولا شك من وجود اسباب كافية لدى قيادة الحلفاء العليا لاخلاء (الموز) بهذه السرعة ، وعدم محاولتهم القيام بأي حركة من اتجاه فرنسا ، ولكن رونشتد لم يكن عالماً بهذه الاسباب في عام (١٩٤٠) فقد كان يفترض دائماً أسوأ الاحتمالات من جانب العدو بالنسبة للامان ، فاذا ما تطورت الامور من بعد ذلك خلافاً لما افترضه من احتمالات ، فنور على نور .

ولا تحتاج الحركات التي حدثت بعد تنفيذ القسم الأول من الحملة إلا الى شرح موجز ، ففي يوم ٢٠ مايس وصلت تشكيلات قوية مدرعة من جيش فون (كليست) مصب نهر (السوم) بالقرب من (أبيفيل) بعد أن مرت بـ (سانت كوتتين) و (أميانس) ، وقد وصلت فرق المشاة بمسيرات قسرية الى هناك لتستلم المناطق المحتلة من القطعات المدرعة وتحتل مواضع دفاعية في جنوب هذا النهر .

ونشأ موقف حرج قرب (آراس) ، فقد حاولت قطعات فرنسية التملص من (إيلسل) خلال (آراس) الى (أميانس) ومن الاتجاه المضاد جلبت قطعات من باريس لتندفع الى الأمام باتجاه (آراس) ، وبذلك أصبحت وحدات القطعات الألمانية مشتبكة بقتال عنيف حول (آراس) وأصبح هناك احتمال قوي بقطع خط رجعة هذه القطعات ، ولكن كان هناك كتل ضخمة لا يستهان بها من القطعات الألمانية قادمة من الشرق باتجاه (آراس) ، لذلك لم تستمر مقاومة الفرنسيين غير وقت قصير .

واستمر المشاة على مسير يومي بلغ حتى حد خمسة وعشرين ميلاً ، وقد وصل معدل مسير بعض الفرق التي كانت في الامام متجهة نحو (أميانس) (وأبيفيل) خمسة وثلاثين ميلاً أو أكثر من ذلك في بعض الأيام .

وقد رافق المشاة المحملون في السيارات الدبابات دوماً ، وحافظوا في سرعة حركتهم على معدل سرعة حركة الدبابات ... بل تجاوزوا الدبابات في بعض الأحيان ؛ ولأجل إيضاح الموقف ينبغي أن نشير الى أن جحفل الجيش (ب) استدار نحو الغرب بعد خروجه من شمال بلجيكا ، وقد شق هذا الجحفل طريقه خلال القنوات والمواضع الدفاعية والتحصينات في جنوب هولندا وبلجيكا بعد اشتباكه بالقطعات الهولندية والبلجيكية والفرنسية والبريطانية وكسر شوكة المقاومة العنيفة .

لقد كان واضحاً تماماً ، بأن الهولنديين سيستسلمون يوم ١٤/مايس ، وأن

البلجيكيين سيستسلمون يوم ٢٨/مايس ، لأن موقفها كان يائساً للغاية .

وهكذا اقتربت الأجنحة الداخلية للجحفل (أ) و (ب) من بعضها بصورة مستمرة ، ونسقا حركاتها .

وبين هذين الجحفلين كانت تقاتل تشكيلات فرنسية لا يستهان بها ، ومفارز بلجيكية وهولندية والجيش البريطاني بأسره ، وكانت القوات الألمانية تضغط على تلك القوات باستمرار فيؤدي هذا الضغط الى تجمعها في منطقة (اوستند - دانكرك - ليل - بروكسل) ، وقد حدث قتال عنيف في هذه المنطقة خاصة حول تحصينات (موبوك) و (كوندي) و (ليل) .

وكان الجحفل (ج) لا يزال في مواضعه القديمة ينتظر أمر قيامه بالهجوم ، وقد حدث قتال محلي في نقاط عديدة من الجبهة الدفاعية الواسعة على (اليسن) و (السوم) وعلى الأخص بالقرب من (فوز يرسى) وجنوب (لاؤون) ، ولكن بقي الطرفان في حالة دفاعية في أغلب هذه الجبهة .

وصلت قطعات رونشتد الى (بولون) يوم ٢٢/مايس و (كاليه) يوم ٢٣/منه ، لهذا فان وصول القطعات الألمانية الى مضيق (دوفر) بين (أبيفيل) و (كاليه) خلال أربعة عشر يوماً حيث وصلت اليها دروع (كودريان) و (كليست) يعتبر معجزة عسكرية .

دعنا نستعرض نتيجة الصفحة الأولى لحملة الغرب بصورة مختصرة قبل أن نبدأ في إمعان النظر في قضية (دانكرك) الممتعة .

كانت منافذ الخلاص قد سُدَّت بوجه القطعات البريطانية والفرنسية في منطقتي (ارتواز) و (فلاندرس) خلال الأيام من ٢٥/مايس الى حوالي ٤/حزيران إذ طوقت القطعات البريطانية والفرنسية من جميع الجهات تقريباً . سقطت

(دانكر ك) يوم ٤/حزيران وتمكن الجيش البريطاني من التملص عبر القنال عائداً الى انكلترا تاركاً وراءه بطبيعة الحال القسم الأعظم من تجهيزاته الثقيلة ، وقد بلغ عدد الأسرى حوالي المليون من الفرنسيين والبريطانيين والهولنديين والبلجيكيين ، ويعود سبب ارتفاع هذا الرقم بصورة رئيسية الى استسلام هولندا وبلجيكا ، وقد غنم الالمان كميات هائلة من المواد الحربية .

قاتلت جميع قطعات الحلفاء بشجاعة ، وهذا ما يعترف به القادة الالمان برحابة صدر وعن طيبة خاطر ، وقد أظهر البريطانيون صلابة خاصة في هذه الحركة الدفاعية ، كما اظهروا ذلك خلال الحرب العالمية الأولى .

وبهذا تمّ إنجاز الصفحة الأولى من الحملة بنجاح ، من يوم ١٠/مايس الى يوم ٤/حزيران ، أي خلال حوالي (٢٥) يوماً فقط ، وقد أعطيت لقطعات رونشتد في هذه الصفحة الواجب الرئيس .

وقبل أن نتتبع مجرى حركات الجحفل (أ) في القسم الثاني من الحملة ينبغي لنا أن نمنع النظر في المعجزة الثالثة التي حدثت في (دانكر ك) ، فقد لعبت قطعات رونشتد المدرعة هنا دوراً حاسماً ايضاً .

ناقش المستر تشرشل واللواء (فولر) والرئيس (ليدل هارت) وكثير من الكتاب العسكريين المعروفين معركة (دانكر ك) ، كما كان للمؤلفين الالمان ما يقولونه ايضاً ! كيف وقف هتلر والفرق المدرعة الالمانية الضخمة التي طوقت (دانكر ك) من جهاتها الثلاث موقف المتفرج من الجيش البريطاني الذي كان يجري إركابه بمختلف وسائل الأركاب دون أن يقوموا بالهجوم عليه لأسر القسم الأعظم من هذا الجيش ؟

سيبقى هذا السؤال ممتعاً جداً للعالم ، ولكن دعنا نستعد الى الذاكرة تفاصيل هذه التجربة التي مرتت ، ودعنا نصف ما الذي فكّر فيه رونشتد وطبقه بنفسه .

أوضح هتلر سنة (١٩٢٣) في الجزء الأول من كتابه : (كفاحي) : « إنه معجب بالامبراطورية البريطانية ، وراغب في توطيد أركان نظام معها ! » . وفي سنة (١٩٣٧) أبدل اللغة الفرنسية كلغة رئيسية في المدارس العليا الألمانية باللغة الانكليزية ، وفي السنة نفسها صرح من مأواه الجبلي في حديث شخصي له مع اللواء فون (ريشناو) الذي كان موضع ثقته حينذاك : « بأنه يرى ان تحالف المانيا مع انكلترا اجدى عليها من تحالفها مع ايطاليا » .

ونضيف الى ما تقدم ما حدث في الناحية العسكرية لتأكيد شعور هتلر الطيب نحو بريطانيا ، تلك هي الفترة الطويلة التي مرت بين انتهاء الحملة البولندية وابتداء الحملة في الغرب يوم ١٠ / مايس (١٩٤٠) ، وكذلك حركة القطعات وإصدار الاوامر اليها بالتوقف ، وتكرار هذه الاوامر عدة مرات دون مبرر ، كما رفض هتلر في ذلك الوقت قصف المدن الانكليزية حتى في حالة قصف القوة الجوية البريطانية للمدن الألمانية !!!

لقد ساد بصورة واضحة اعتقاد بين رجال الجيش غير المحترفين للسياسة ، هو ان هتلر يرغب في اجتناب كل ما من شأنه اغاظة انكلترا . وعندما كانت فرق رونشتد المدرعة وقوات اخرى من جحفل جيش (بوك) المتقدمة من الشرق تقترب تدريجياً من (دانكرك) في نهاية مايس ، وكانت القطعات البريطانية حينذاك على الرغم من مقاومتها تتحمل ضغطاً شديداً يدفعها للتجمع القسري في منطقة هذه القلعة البحرية (دانكرك) التي طوّقت تماماً من البر ولم يعد مفتوحاً أمامها سوى مسلك القنال .

لقد ارتأى كافة القواد العسكريين ومن بينهم (رونشتد) و (كلوكا) و (كليست) و (كودريان) ، الهجوم على (دانكرك) لاجبار القوات البريطانية الموجودة في فرنسا على التسليم .

كان عدد من فرق فون (كليست) المدرعة قد شرعت بالاقتراب من الغرب حين صدر امر التوقف الذي أثار دهشة الجميع .

صدر هذا الأمر من مقر هيئة ركن الجيش الالماني تليفونيا الى رونشتد بناء على وصايا هتلر شخصياً ، وقد تأيدت هذه المخابرة التليفونية ببرقية ، فاحتج بطبيعة الحال كل من رونشتد ورئيس هيئة ركنه على هذا الأمر الذي يمكن اعتباره من الناحية العسكرية غامصاً كل الغموض ؛ ولكن هتلر أصر على تنفيذه رغم ذلك الاحتجاج .

لقد نص الامر على ألا تتجاوز الفرق المدرعة في تقدمها حدود مدى المدفعية المتوسطة ، على أن تستثنى من ذلك فعاليات الاستطلاع . لهذا أصدر رونشتد أمره بالتقدم ضمن مدى مدافع ذات عيار ١٠ سنتيمترات أي حوالي (٨-١٠) اميال من (دانكرك) ، فلم تندفع الى الامام باتجاه هذه القلعة سوى الدوريات المدرعة .

اجتاح القضب فون (كلوكا) وفون (كليست) و (كودريان) ، لأنهم لم يفهموا اي معنى لهذا الامر ، وقد شاهدوا كيف كان الجيش البريطاني مضيقاً عليه بشدة في منطقة (دانكرك) !!! وقد أيد الاستطلاع الجوي موقف القطعات البريطانية الخطير ، كما اكتشفت المحاولات الاولى للجيش البريطاني للتخلص عبر القنال مستعيناً بكافة انواع الوسائط . وقد افادت تقارير الاسطول الجوي الثالث بقيادة الجنرال (اسبرل) والذي كان يتعاون مع جحفل جيش رونشتد ، بأن كافة الطرق المحيطة (بدانكرك) مزدحمة بالسيارات والتجهيزات والمدخرات !!!

لم يكن لدى الدروع الالمانية - مع ذلك - في هذه الايام المثيرة سوى ان تقنع بالمراقبة والنظر ، بينما كان البريطانيون 'ينقلون ليلاً ونهاراً عبر القنال دون

تدخل نجد بأي وجه من الوجوه (١) .

لقد كان ذلك معجزة .

ثم هتار الاسباب التالية لتبرير اوامره هذه ، وهي :

١- الارض المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة لاستخدام الدروع نظراً لروابيها الكثيرة وتربتها المشبعة بالرطوبة .

٢- كان عدد الدروع قد تضاعف خلال مجرى الحركات في الحملة ، مما أثار الشكوك حول استطاعتها انجاز الصفحة الثانية باتجاه جنوبي فرنسا بكفاءة .

كان جواب رونشتد والقادة الآخرين على هذين السببين ما يلي :

١- صحيح ان المنطقة المحيطة بـ (دانكرك) غير ملائمة تماماً للدروع ، نظراً لتربتها المشبعة بالرطوبة ، ولكن هذه الدروع نفسها قد نجحت بالعمل في بلاد اكثر صعوبة من منطقة (دانكرك) بكثير خلال الحملة البولندية . ففي غرب (وارشو) تقع (بوستاكام بينوفيسكا) التي كانت صعبة جداً بالنسبة للدروع ، كما تمكنت الدروع اجتياز مستنقعات (نيرو) في الشمال وأهوار (غاليسيا) الشرقية بسهولة ... فلماذا إذاً تتعطل هذه الدروع نفسها في ظروف اسهل مما مر بها سابقاً هناك ؟ ...

٢- كان على جيفل جيش رونشتد ان يقدم تقريراً في كل مساء الى هيئة ركن المقر العام عن عدد الدروع المتيسرة ، لأن هتار اراد ان يكون على علم

(١) هذه هي حقيقة تمكين الجيش البريطاني من التملص عبر القنال الى الجزر البريطانية . أما البريطانيون فقد كتبوا العديد من المؤلفات يسبغون بها نعوت البطولة على جيشهم في التملص من (دانكرك) ، ولو أراد الالمان لما استطاع جندي بريطاني واحد من العبور سالماً .
(العرب)

بوقف هذه الدروع يومياً . وبطبيعة الحال كان عدد الدروع القادرة على العمل قد قلّ من جراء التقدم السريع وخسائر المعركة ، ولكن اغلب هذه الخسائر لم تكن خسائر نهائية ، لأنها ناشئة عن عطل فني وقتي يمكن غالباً اصلاحه خلال اربع وعشرين ساعة .

وعندما اقتربت الفرق المدرعة من (دانكرك) كانت دروعها قد ازدادت الى درجة لا يستهان بها .

ومن جهة اخرى كان هناك سبب آخر، فقد قيل : ان مشير الجو (كورنك) قد اقترح على هتلر ان يتم استسلام البريطانيين على يد القوة الجوية الالمانية لا على يد الجيش ، ويبدو ان هذا محتمل جداً ، لأن (كورنك) قد يكون اراد اكتساب الفخر لقوته الجوية ...

ولكن حقيقة الموقف إن الاسطولين الجويين الثاني (كسرلنك) والثالث (سبيرل) لم يكن لديها القنابل اللازمة لقصف البواخر كأهداف قصفاً مؤثراً اذ لم يتيسر لديهم غير عدد قليل من القنابل ذات الشظايا، فاضطروا الى استعمال القنابل المصممة ضد بنايات السمنت في بعض الأحيان ، فهي مناسبة للهجوم على تحصينات دائمة ولا جدوى فيها ضد السفن الصغيرة . ومع ذلك فلا بد ان يكون هتلر مطلعاً على هذه الحقيقة . ان العقيد (كولر) القدير جسداً ورئيس قسم الحركات للاسطول الجوي الثالث في ذلك الوقت اخبر بنفسه جحفل الجيش عن حقيقة موقف القنابل عند القوة الجوية ، فلا عجب اذا ساد رأي في هيئة ركن رونشتد بان اوامر هتلر تلك لم تكن مبنية على اسس عسكرية فحسب ، بل ان آمالاً سياسية سريعة لعبت دورها في اصدار تلك الاوامر ، ولا نستطيع ان نفترض هنا غير رغبة هتلر الشخصية في مساعدة بريطانيا .

يمتلك الجيش البريطاني الآن امراً صادراً عن جحفل الجيش (آ) فيه ما ينم

على أن رونشتد هو الذي أصدر أمر التوقف، ولقد شاع في وقت ما بأن الغرض من الوصايا التي صدرت إلى الفرق المدرعة لقطع الاشتباك هو لأجراء تصليحات في الدروع، وهذا صحيح؛ ولكنه كان قد صدر في وقت بعيد عن أيام (دانكر ك)، فقد صدر من بداية الحملة حين لم يكن هناك من يعرف بأن مثل هذا القرار سينفذ بالقرب من (دانكر ك) !!

ولم يكن رونشتد من أولئك الذين يعجزون عن إدراك قيمة مثل هذه الفرصة العسكرية النادرة، ولكن ينبغي ألا نتغاضى عن نظام الحكم في الدولة الاشتراكية الوطنية، إذ ليس في وسع أي قائد أن يتخذ مثل هذا القرار المشؤوم على مسؤوليته بدون موافقة هتلر، وقد يؤدي البحث التاريخي ودراسة كل حركة من الحركات يوماً ما إلى جلاء أكثر للغز (دانكر ك). كان رونشتد في ذلك الوقت مقتنعاً، بأن كلا العوامل العسكرية والسياسية قد اقنعت هتلر بأن يصدر قرار التوقف.

وكان هتلر أيضاً الفطنة العسكرية الكافية لإدراك موقف القطعات البريطانية اليائس، وقد يبدو هذا اللفز أكثر متعة على ضوء الملاحظات التي أبدتها هتلر بمناسبة زيارته لمقر رونشتد، ففي ذلك الوقت صرح بأنه راض كل الرضا عما تم من حركات بسرعة لا تصدق، ووصف الأعمال التي جرت بأنها معجزة خارقة وأضاف قائلاً: « انه قد يحصل على صلح مع إنكلترا وفرنسا في غضون ستة أسابيع، وبعد ذلك لخص وضع إنكلترا بصورة مختصرة، فوصفها بأنها قوة عالمية ينبغي أن تبقى في التاريخ بقاء الكنيسة الكاثوليكية، واستمر يقول: « انه لا يعلق أهمية خاصة على المستعمرات، إذ ليست لديه ملايين من الألمان ليعيشوا فيها، فما المستعمرات في نظره إلا مسألة اعتبار ليس إلا... »

حقاً لقد صرح يومذاك أنه ربما يعرض مشروع تحالف مع إنكلترا، كما أنه حاضر لمساعدة بريطانيا بقوته الجوية وبأسطوله في حالة حدوث مشاكل لهم في

العالم ... كما ادعى هتلر بأن المانيا ستكون القوة القائدة لأوروبا ، بينما تكون
إنسكلترا القوة السائدة في العالم وفي البحار . وقد عبر عن هذه الأفكار بشكل
من الرضا والافتناع جعلت رونشتد يقول بعد أن غادر هتلر : « إن كان لا
يطمع في شيء آخر ، فإننا سنحظى بالسلم ... » ..



— النصر في فرنسا

في الوقت الذي كان فيه القتال في (ارتواز) و (فلاندرس) يقترب من نهايته في بداية شهر حزيران ، بدأ التحشد العظيم للجيش الألماني بكامله في الغرب لحوض القسم الثاني من الحملة التي كانت تستهدف إنهاء الحرب في فرنسا ، وللوصول الى هذه النتيجة ، كان من الضروري قهر الجيش الفرنسي واحتلال فرنسا .

يمتد خط الدفاع الطويل باتجاه الجنوب كما يلي تقريباً : (آبيفيل) - (آميانس) - (سواسون) - (نهر ايسن) - (سيدان) - الحدود الألمانية التي تتاخم منطقة الألزاس واللورين حتى شمال (بازل) .

قسّمت هذه الجبهة الطويلة بكاملها الى ثلاثة قواطع :

نقل جحفل الجيش (ب) بقيادة (فون بوك) والقسم الأكبر من القوات المدرعة بقيادة (كليست) من (آبيفيل) الى جوار (لافير) .

وكان جحفل الجيش (أ) بقيادة (فون رونشتد) مع بضعة جيوش وفيلق (كودريان) المدرع يحتلون مناطق مجاورة لشرق جحفل الجيش (ب) من جوار (لافير) حتى قرب (مونتيميدي) .

وخصص جحفل الجيش (ج) بقيادة فون (ليب) للمنطقة الكائنة من

(مونتيميدي) وعلى امتداد خط (ماجينو) و (الراين) الأعلى حتى شمال (بازل) .

وكانت الغاية العامة الهجوم بحفلي الجيشين (أ) و (ب) والهجوم في الوقت ذاته بحفلي الجيش (ب) نحو الجنوب والغرب للوصول الى حدود فرنسا الجنوبية في (البرانيس) والبحر الابيض المتوسط ، وكان الهدف الرئيسي لحفلي الجيش (ب) هو القيام بهجوم تطويقي على باريس ومن ثم الاستمرار باتجاه (تورس) و (بوردو) ، وكان على حفلي جيش رونشتد ان يتقدم باتجاه خط (ديمون) وادي (الرون) الى (ليون) و (مارسيليا) ، ويكون هذا الخط محور تقدمه المركزي ، بينما كان على حفلي الجيش (ج) احتلال الازاس واللورين من الشمال والشرق .

لم يجر الزحف عمداً على طول هذه الجبهة الهائلة في نفس اليوم .

كان قد تقرر القيام بهجوم الحفلي (ب) يوم ٥ حزيران ، وبهجوم حفلي رونشتد يوم ٩ حزيران ، وحفلي (ج) يوم ١٤ حزيران ، وكان القتال شديداً على طول الجبهة كلها خلال الأيام القليلة الاولى ، فقد كان ضرورياً جداً اختراق خط (فينسان) الدفاعي الممتد من مصب (السوم) الى قرب (سيدان) والمؤلف من تحصينات خلف نهري (السوم) و (الايسن) ، ومن قلاع قديمة منعزلة ، كما كان ضرورياً التغلب على خط (ماجينو) و (الراين) الأعلى بين (سيدان) حتى الحدود السويسرية .

ولم يتمكن (بيك) من النجاح في عبور (السوم) الا بعد قتال شديد ، وكانت المعارك الأولية التي خاضها (ليب) ضد خط (ماجينو) قاسية ايضاً .

وعلى كل فقد تمّ قهر كافة تحصينات الميدان والتحصينات الدائمة خلال ثمان واربعين ساعة من قتال عنيف بمعاونة القوة الجوية .

وصادف جيش جحفل رونشتد مقارومات محلية عنيفة في أماكن كثيرة ولا سيما على الأيسن ، ولكنه نجح في اختراق جبهته كلها خلال وقت قصير نسبياً .

لقد تمّ انجاز القسم الثاني من الحملة بدون جهد يذكر بعد نجاح الجيوش الألمانية في انجاز عملية الاختراق في الغرب .

وكان الجيش الفرنسي مشتبكاً في صراع لا أمل له فيه ... لم يكن بإمكانه سحب جزء من قوات خط (ماجينو) ، لأن ذلك يؤدي الى ضعف الدفاع عن هذا الخط ؛ كما لم يتمكن من الاحتفاظ به ، لأن جحفل جيش رونشتد استولى على خط (ماجينو) بكامله من الجانب والخلف بإندفاعه نحو الغرب عبر (سيدان) .

من الممكن التطرق بإيجاز الى الخطوط الرئيسية لمجرى حركات الصفحة الأخيرة : وصلت قطعات رونشتد (ريمس) يوم ١١ حزيران ، ووصلت (شالون - سير - مارن) يوم ١٢ حزيران ، غير ان جحفل (كودريان) المدرع اندفع مخترقاً الجبهة المتداعية متجهاً نحو الجنوب الشرقي .

وافق رونشتد على استعمال ثلاث كلمات رمزية استعيرت من مصطلحات كرة القدم لتسهيل حركات حرب الصاعقة والاستغناء عن الأوامر التفصيلية ، مثال ذلك : كلمة (نصف الوقت) ، وأعطيت هذه الكلمات الى كودريان بالجهاز اللاسلكي فور وصول دروعه الى منطقة (لانكرس) .

وكانت الكلمة الاولى الرمزية تدل على « استدر شرقاً نحو (بلفورت) لمنع الفرنسيين من الانسحاب من الألزاس » .

وتدل الكلمة الثانية الرمزية على : « استمر في التقدم على خط مستقيم باتجاه

الجنوب نحو (ليون - مارسيليا) لتحطيم جبهة الألب الفرنسية من الخلف ،
المحتلة لغرض الدفاع ضد ايطاليا ، ...

وتدل الكلمة الثالثة الرمزية على : « استدر نحو الجنوب الغربي باتجاه
(بور دو) لتدمير تراجع الفرنسيين امام جحفل الجيش - ب - » .

وهكذا تمكن رونشتد ان يوجه القطعات المدرعة وفقاً لما يتطلبه الموقف
السوقي الرئيس بأقل ما يمكن من (استعمال الاسلحة) ، وعند وصول كودريان
الى (لانكرس) ، استلم بهذا الاسلوب أمراً للتقدم نحو الجنوب الى (ليون) .
أما نحو (بيسان كون) فلم يوجه غير مفارز مستقلة لسد منافذ (بير كاندي)
تجاه تراجع الفرنسيين من (بلفورت) . وصلت هذه القطعات الحدود السويسرية
وفي نفس اليوم احتل الفيلق المدرع بقيادة فون (كليست) مدينة (ديجون) .

يمكن إدراك درجة السرعة الهائلة والثقة العالية التي تميز بها هذا الزحف
بسرده القصة التالية :

كان قطار فخم سريع لا يزال يسير في تلك الأيام باتجاه (ليون) يحمل
ضباطاً فرنسيين مجازين بصحبته زوجاتهم ، فتوقف هذا القطار من جراء تقدم
وحدات الاستطلاع الألمانية تقدماً سريعاً وسط حيرة ودهشة المسافرين .

تمكنت جحافل الجيوش الثلاثة وهي تتقدم جنباً الى جنب على طول الجبهة
كلها من ان تصل (روين) يوم ٩ حزيران و (ديب) يوم ١٢ حزيران ،
و (ريمس) يوم ١١ حزيران ، و (شالون - سير - مارن) يوم ١٢ حزيران
و (الهافر) يوم ١٣ حزيران ، وباريس يوم ١٤ حزيران ، و (كولمار) و (فردون)
يوم ١٥ حزيران ، ولم تنجح محاولات الفرنسيين لجمع صفوف المقاومة على (اللوار)
لعدم تيسر الوقت اللازم لديهم لبناء جبهة جديدة .

وهكذا تضاءلت هذه الحملة تدريجياً ، فأصبحت اشتباكات معزولة عن

بأقي الجبهة ، ولكن بقيت هناك معارك صغرى في بضع نقاط . لقد أصبح الجيش الفرنسي قوة غير متماسكة تتهاوى يوماً بعد يوم ، وكثيراً ما فوجئت الأرتال الفرنسية الطويلة المتراجعة واللاجئون بتقدم الفرق المدرعة الألمانية على نفس الطرق دون أن يكثر بهم الألمان ... وعلى هذا الشكل انتهى القتال .

ودخلت إيطاليا الحرب يوم ١٠ حزيران ، وبعد استقالة وزارة (رينو) الفرنسية يوم ١٦ حزيران ، فتحمل مارشال فرنسا المشهور (بيتان) المسؤولية الشاقة في موقف يائس جداً ، وهو شاعر بتبعة هذه المسؤولية الجسيمة ، تلك المسؤولية هي عقد هدنة مع ألمانيا ، وقد تم عقدها يوم ٢٢ حزيران .

وتمكن الألمان خلال ذلك من عبور (اللوار) واحتلال (شاربوغ) و (ليانيس) و (نانيس) يوم ١٨ حزيران ، و (بريست) و (أبينال) و (تول) و (لونا فيل) و (استراسبورغ) يوم ١٩ حزيران ، واستولوا على (ليون) يوم ٢٠ حزيران ، وفي يوم ٢٢ حزيران انتهى القتال في (الألزاس) و (اللورين) .

وتوقفت كافة الأعمال العدائية في الدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الواحدة ظهراً من يوم ٢٥ حزيران .

وكان الإيطاليون قد حشدوا قواتهم في الألب على الحدود الفرنسية - الإيطالية للاندفاع إلى الأمام على محور (مونت بلانك - مينتورن) نحو (سافوى) حتى (الرون) ، ولكن هذه المحاولة فشلت تجاه التحصينات الفرنسية في أعالي الألب ، كما فشلت محاولاتهم في مواجهة الشجاعة البطولية لقطعات الألب الفرنسية الشهيرة وهي التي عرفت باسم : (الفيلق المختار) ، وقد اقترح الإيطاليون أنزال قطعات إيطالية من الجو خلف معاوير الألب لتسهيل هذا الهجوم ، ولكن القتال سنة ١٩٤٠ كان يتسم بمزايا قتال الفروسية الشريف لهذا رفض هذا القرار كل من القائد العام الألماني وزميله الإيطالي ، بحجة أن

تنفيذ غير شريف ويتنافى مع حرب الفروسية ، وان اصبحت امر تطبيقه فيما بعد من الأمور الاعتيادية في الحرب .

وتلقى رونشتد وصايا من مقر رئاسة أركان الجيش للتقدم بتشكيلات آلية وبالفرقة الجبلية الأولى من (الرون) متجهاً نحو الشرق الى الوديان الجبلية تجاه مؤخرة مغاوير الألب لكسر شوكة المقاومة الفرنسية في الألب ، ولكن عليه ألا يتقدم بسرعة فائقة .

وكانت لا تزال هناك اشتباكات صفري ، غير ان مغاوير الألب الشجعان ، تخلوا ايضاً عن هذه الجبهة العقيمة .

نقل كليست وتشكيلات آلية قوية من إمرة الجحفل (ب) الى إمرة جحفل جيش رونشتد الذي جمع تحت قيادته مرة أخرى قبيل انتهاء الحركات فيلق القطعات المدرعة بالاضافة الى جيوش المشاة ، وقد نقل مقر رونشتد الى (شالون - سير - مارن) أولاً ثم الى (اوكسير) في الايام الاخيرة من الحملة .

ابتدأت حرب الصاعقة هذه في الغرب يوم ١٠ مايس وانتهت يوم ٢٥ حزيران ، وقد اندحر الجيش الفرنسي لأن تحضيراته وتنظيمه كانا من الطراز القديم ، ولأن قيادة الحلفاء الغربيين كانت لا تزال مشبعة بأراء وتجارب اسلوبية ترجع الى الحرب العالمية الأولى ، ومع ذلك فان رونشتد وقطعاته اعترفوا كل الاعتراف بشجاعة خصومهم القدماء .

توالت في مقر رونشتد في (اوكسير) الحوادث التي تحيي آمال الجنود في قرب حلول ايام السلم . مثال ذلك: جرى عرض عسكري كبير في (الشانزليزية) بمدينة باريس ، وكان على رونشتد ان يوفد ضابط ركن من مقره وعدداً من رجاله لحضور هذا الاحتفال ، كما تلقى عدد من الفرق المدرعة في جنوب فرنسا

اوامر من المقر بالتحشد في باريس للاشتراك في هذا العرض !

كما وصلت وصايا من قائد الجيش العام في برلين حول إلغاء وتسريح عدد كبير من فرق المشاة التي شكلت حديثاً في بداية الحرب !

واخيراً استدعيت فرق عديدة آلية ومشاة من فرنسا الى المانيا !

أظهرت هذه الحقائق ان هتلر يؤمل حلول السلم !

كانت الكلمة الرمزية : (أسد البحر) تعني في الجيش الألماني غزو انكلترا ، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذه الخطة وبين الآمال في الصلح ؟ ان العارفين بهتلر يدركون أنه اراد إحداث تأثيرات خارجية بترديد هذه الخطة ، لأنه لو اراد حقاً تطبيق خطة (أسد البحر) لوجب ان تنجز الاستعدادات اللازمة قبل ابتداء الحملة بكاملها في الغرب .

ولم يبد ما يشير الى تطبيق هذه الخطة ، كما لم يتطرق هتلر بشيء عنها لرونشتد خلال الحرب في فرنسا . ومن الواضح انه لا يمكن زج جيشين عبر القنال الانكليزية بوسائط عبور مرجحة للغاية نتيجة للدوافع الآنية المحضة ولنغرض احداث تأثيرات خارجية فقط .

ولو اراد هتلر الهجوم على بريطانيا حقاً ، لما سمح بتملص الجيش البريطاني من (دانكرك) الى الجزر البريطانية في نهاية مايس ، ليجده بعدئذ هناك مدافعاً ! واخيراً لقد كانت هناك قطعات متيسرة للعبور الى انكلترا فوراً في نهاية مايس ، كما كانت تليسر فرق كثيرة جداً لاستخدامها في القسم الثاني من حملة فرنسا ، إذ لم تشترك في القتال من عشرة الى اثني عشرة فرقة من جحفل الجيش (آ) ، بل بقيت احتياطاً للجحفل تعقب قطعاته الأمامية . لذلك اعتقد رونشتد بأن الأوامر الصادرة حديثاً بشأن حركة : (أسد البحر) ليست غير خدعة سياسية ، وسنرى كيف تطورت هذه القضية .

صدر الامر الى رونشتد وهيئة ركن الجحفل (آ) لاتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ خطة : (أسد البحر) ، وقد نقلت هيئة الركن من (او كسير) الى فندق هنري الرابع في (سنت جرمان) قرب باريس .

مهدت الأوامر الصادرة من مقر هيئة ركن الجيش (براوشتش) و (هلدري) بالدرجة الأولى كما يلي :

الانزال في إنكلترا على جبهة واسعة بين (دوفر) ونهاية الجزيرة البريطانية الجنوبي ، وقدروا أن الساحل البلجيكي الفرنسي من (انتويرب) الى (بريست) يصلح أن يكون قاعدة لاستحضارات الانزال . كانت الأوامر تقضي بإنشاء رؤوس جسور كبيرة في البدء على الساحل البريطاني الجنوبي ، ومن ثم يجري الاندفاع الى الأمام باتجاه الشمال ، وقد تقرر أن يجري احتلال لندن بقوات ضعيفة ، بينما يستمر الهجوم الرئيسي غرباً تاركاً العاصمة .

وكانت منابع الأسطول الألماني أضعف شأنًا من تحمل أعباء مثل هذه الخطة . لقد كانت البحرية الألمانية صغيرة ولكنها كانت كفؤة ومبدعة ، إلا أنه لم يكن في استطاعتها أبداً مجاراة البحرية البريطانية بقوتها ، ولو نفذت هذه الخطة ، لكان من الواجب إغلاق القنال من (دوفر) الى (كاليه) ، وفي الغرب بين نهاية أرض الجزيرة البريطانية من جنوبها الغربي وبين (بريست) كي يتعذر على الأسطول البريطاني إعاقه إجراء العبور من هاتين الجهتين . ولذلك كان من الضروري زرع (ألغام العمق) في البحر في هذين الموضعين ، غير أن عدد الألغام المتيسرة لهذا الغرض كان قليلاً جداً ، كما أصبح بعضها مستهلكاً لا يصلح للاستعمال .

وجاء دور خطة ثانية ، بنيت على ضرورة تقصير خط الانزال على الخط الكائن شمال خط (دوفر - بورت سموث) ، لا مكان تأمين حماية قوية لكلا الجناحين .

انتخبت موانىء (نوتردام) (دوفر) لتكون قواعد لهذه الخطة المقتضية، وكانت موانىء هولندا وبلجيكا ضرورية لانزال الفرق المدرعة السريع ، وكان ينبغي لأجل العبور من (نوتردام) و (انتويرب) الى (دوفر) احتضان الساحل البلجيكي في الجناح الأيمن ، ومن ثم الاستدارة نحو (دوفر) .

ولم يهتم رونشتد ورئيس هيئة ركنه بحركة . (أسد البحر) هذه اهتماماً جدياً ، كما لم يهتم بها ضباط الركن الآخرون ، وقد ظهر ذلك جلياً من امتناع رونشتد عن حضور التمارين البحرية التي اشترك فيها الجيشان بكل حرص ، وحتى هتلر نفسه لم يسأل رونشتد عن استحضاراته لهذه الخطة ، مع ان هتلر كان يحاول عادة ان يجعل نفسه ملماً بكل شيء ...

جرت كافة التمارين بالاشتراك مع ضباط من القوة الجوية والبحرية ، وكان الشعور السائد بين الجميع بأن هذه الخطة لن تطبق ! لذلك لم ينهمك فيها اي واحد من هيئة الركن انهاكاً غير اعتيادي .

وجرى ترفيع عدد من القادة الأقدمين في شهر تموز ، فأصبح رونشتد برتبة مشير .

وتقدم هتلر بعرض للصلح مرة اخرى في خطابه الذي القاه في الرايخشتاغ يوم ١٩ تموز (١٩٤٠) ، وسمعنا في باريس عن محادثات للصلح بواسطة السويد ودوق ألبا ، كما كان معروفاً وجود اختلافات في الرأي بين المحيطين بهتلر .. فقد أراد هتلر عدم قصف المدن البريطانية والاكتفاء بقصف الأهداف العسكرية المهمة : كأرصعة الميناء في مصب التايمس . ولكن كورنك أرادها حرباً جوية بكل معنى الكلمة .. وعندما عاد المشير رونشتد من برلين في تموز ، اخبرنا بأن هتلر صرّح له في حديث شخصي جرى بينهما ، بأنه لا ينوي تنفيذ خطة : (أسد البحر) ... لذلك فان حدس رونشتد المبكر عن هذه الخطة كان

صحيحاً ، وكانت نتيجة كل ذلك ان اصبحت الرغبة ضعيفة في العمل من اجلها بين ضباط الركن .

والآن سأطرق الى وصف مجرى الحوادث التي جرت بعد ذلك .

بدأت (لعبة حرب ^(١)) اخرى على الخرائط في آب او في مستهل ايلول في (سنت جرمان) ، ومع هذا لم يعتقد اي احد بتطبيق خطة : (أسد البحر) .

والحقيقة ان الاوامر اخذت تتوارد حول ترك هذا المشروع الخيالي ، فقد اعيدت السفن الى اتجاهات مختلفة ثانية ، وتخلينا عن العمل بكامله .

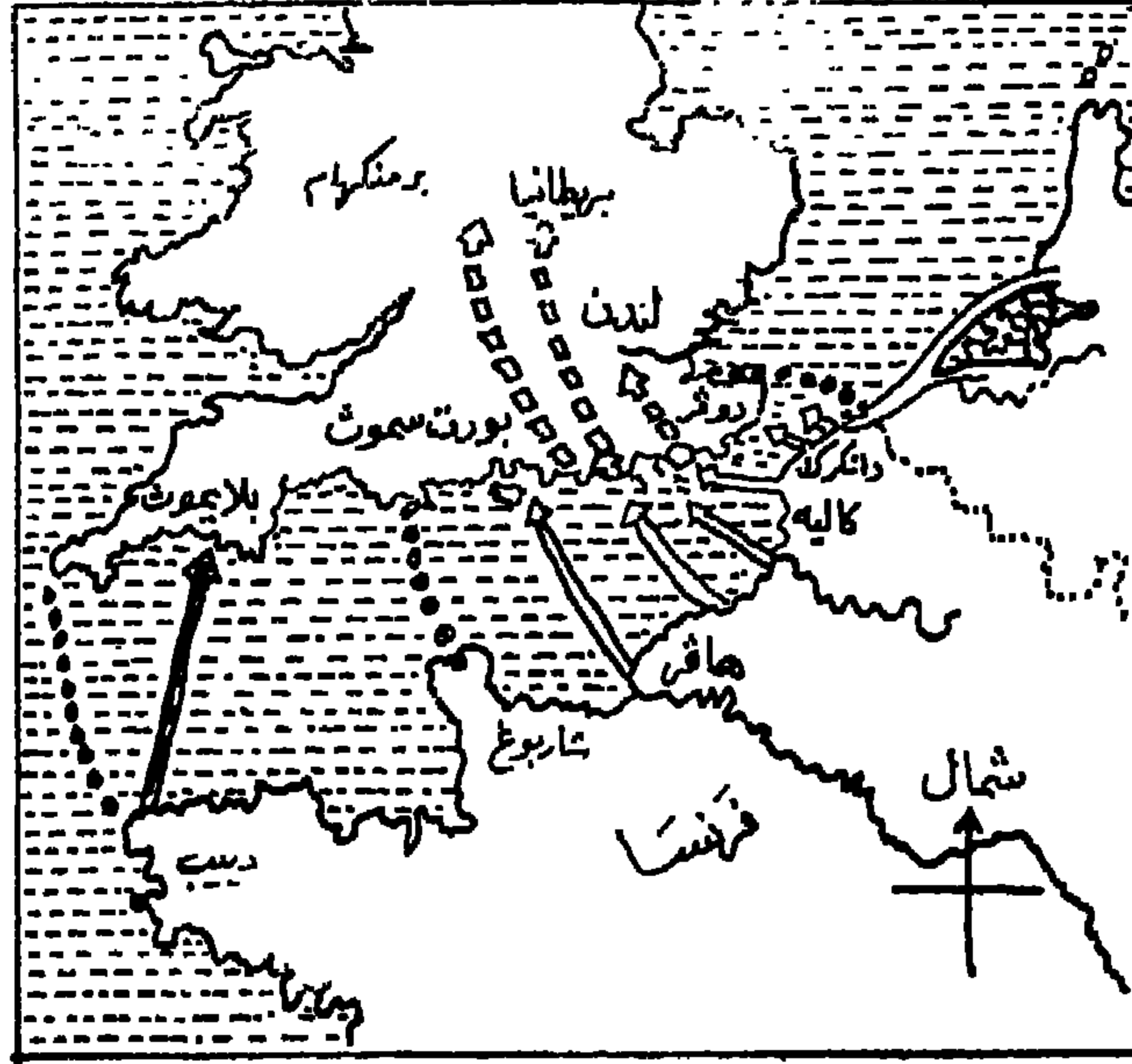
ينبغي ان نؤكد هنا ، بان رونشتد كجندي اعتبر امر تنفيذ خطة : (أسد البحر) غير ممكن .

والذين درسوا إمكانية وسائط النقل المتيسرة المزمع نقل القوات الالمانية فيها الى انكلترا ، يعرفون بان هذه الوسائط غير كافية ابدأ لمثل هذا الواجب . وحق في حالة نجاح الانزال ، سيبقى المقاتلون الالمان ودروعهم تعزلهم القنـال عن القارة .

وهل بالامكان ان تقـ القوات البحرية والجوية البريطانيين موقف المتفرج ؟ الحقيقة ان رونشتد كان مصيباً عندما وصف خطة (أسد البحر) ، بانها مجازفة ، كما ان هتلر نفسه اخبر رونشتد بانه يشعر بالقوة في البر وبالضعف في البحر ، فقال : « ولا يوجد جسر على البحر » وكان نص كلام هتلر : « أنا بطل في البر ، ولكنني جبان في الماء ... » ..

(١) لعبة الحرب : نوع من التمارين لتطبيق خطة عسكرية ، مع استخدام الوسائط السلـكية واللاسلكية واصدار الاوامر والقيام بكل تفاصيل تطبيق الخطة على الخرائط وبدون استخدام القطعات .

(المعرب)



خطة أسد البحر

.....
حقول القمار

==>
الهجوم ورؤوس الجسر

□□□□□>
الهجوم بالمرور من لندن وتركها
الى الغرب



الخطوة الاولى وهي غير عملية بالنسبة للبحرية
الالمانية لان القاعدة كانت واسعة جداً

كانت الأشهر التالية لهدنة يوم ٢٥ حزيران مليئة بالاسترخاء لكل من القطعات وهيئة الركن ، ولقد خلقت فرنسا وأمال السلم فترة هادئة سارة للجميع ولمقر رونشتد ايضاً في (سانت جرمان) .

سكنت هيئة الركن كما ذكرت سابقاً في فندق (هنري الرابع) الواقع في نهاية العمر الطويل الشهير (لسانت جرمان) ، وكان منظر باريس واضحاً للعين من هناك ، وكانت أغلبية دوائر هيئة الركن تطل على نهر (السين) وعلى مدينة النور .

لقد كنا جميعاً سعداء بالهدنة وبوجودنا في باريس وبالأمل في حلول الصلح .

درس تاريخ باريس وتاريخ فرنسا بشوق عظيم ، وكان الجنود وضباط الصف والضباط والموظفون العسكريون الآخرون يشاهدون في زيارة الأماكن الهامة في العاصمة التاريخية يحملون في أيديهم كتب الدلالة أو الكتب التي ابتاعوها عن التاريخ السياسي والثقافي في فرنسا ، ولا حاجة للقول بأن الجانب المرح من الحياة كان سائداً بين الضباط الشباب ، اذ اثبتت المطاعم الفرنسية بأنها لا تقل اغراء عن الملامى ، كما اعطني الغرام ما يستحقه من اعتبار !!!

لذلك صدمنا نفسياً ، عندما صرّح القائد العام بأن مقرنا ليس في محله المناسب ، وان محله الصحيح في منطقة الغابات قرب (أميانس) ليكون قريباً من الساحل ، ولقد افسح رونشتد المجال لهذا القلق ان يعمل عمله مدة اربع وعشرين ساعة ، ثم لم يذكر بعد ذلك ما يشير الى فكرة الذهاب الى الغابات .

ومهما يكن الأمر، فقد انشأ معسكر على شكل كوخ في غابة صغيرة بالقرب من (أميانس) ، وزود بوسائل التخاطبة اللازمة ، ليكون مقراً لهيئة الركن عند مغادرتها باريس ، وبذلك كان من المحتمل ان تتحرك الى (أميانس) في أية لحظة، وقد تأكد في تموز بأنه لم يعد هناك أمل في تطبيق خطة: (أسد البحر) ،

فبقي المقر في سانت جرمان .

لم يزر رونشتد المسارح او اي نوع من محلات الانس ، كما لم يزر باريس خلال الفترة التي أعقبت الهدنة إلا نادراً ، وقد قضى أيامه هناك في صحبة رئيس هيئة ركنه وضابط خفر مقره في (الفيلا) القريبة من فندق هنري الرابع ، وفيها يلتقي يومياً القائد العام ورئيس هيئة ركنه ورئيس قسم الحركات في مقره ، وضابط الركن الثاني والمساعد ، الساعة الرابعة والنصف مساء لتناول شاي بسيط .

لم يكن صاحب (الفيلا) موجوداً ، غير ان وكيله أمّن الاحتياجات الضرورية ، وكان هناك بالإضافة الى ذلك حصانان وحمار وبضعة كلاب تأنس بحفلة الشاي .

في هذه الأيام الطيبة التي شملت الجميع بطبيعتها ، اجتمع الضباط الشباب على الفكرة التالية : كانت خريطتان لباريس معلقةتين في غرفة ضابط الخفر ، وكان على كل من يزر باريس ان يؤشر تجاربه في المدينة على هاتين الخريطتين : اولى الخريطتين كانت ذات نقط زرقاء ، والثانية كانت ذات نقط حمراء ، وفي كليهما نقاط ذات ارقام ، فالنقاط الزرقاء تشير الى المحلات التي يتسنى فيها تناول طعام فاخر بصورة خاصة ، أما النقاط الحمراء فتدل على ملاعب الهوى .

ويوم زار رونشتد الحصيف هذه الغرفة ، تطلع الى هاتين الخريطتين ممعناً ، بينما كان الضباط الشباب واقفين الى جانبه ، ولكنه لم يتفوه الا بهذا التعليق المقتضب الذي له معان كثيرة :

« ويحكم ! أليست خريطتكم الحمراء مليئة تقريبا » .

كان هؤلاء الشباب قد أقاموا منظاراً مكبراً للمدفعية على الشرفة ، يمكن بواسطته رؤية باريس كلها مكبرة ثماني عشرة مرة . وبطبيعة الحال كانت في

الامكان تنظيم هذا المنظار على مديات قريبة جداً كنهر السين مثلاً الذي يجري بالقرب من (سانت جرمان) ، وكان على النهر مسبح مكشوف وفيه نرى أبهى ملابس السباحة ، أما من تحتوي هذه الملابس فلم يكن يعلم الراصد ذلك ، الا ان تكبير الحجم ثنائي عشرة مرة كان يؤدي الى رؤية أجلى ، وغالباً ما استفاد ضباط الصف والجنود المنسوبون الى المقر من هذا المنظار لغرض (الاستطلاع) ، وقد يكون تقرير هذا الاستطلاع : ان كسوة الاستحمام الزرقاء غير موجودة اليوم !

أرى أن حادثة صغيرة كانت ممتعة حدثت في كنيسة (ريمس) ، فقد كان الدكتور المؤرخ نجل رونشتد الوحيد الذي توفي مأسوفاً عليه من الجميع عام ١٩٤٨ ، والذي كان ضابط صف في الجيش الألماني كان كثيراً ما يزور والده خلال هذه الفترة السلمية . ونظراً لاهجائه الشديد بمختلف انواع الفنون ، فقد أراد زيارة كنيسة (كارترس) و (ريمس) ، وكان رونشتد يعتقد جازماً بأن السيارات العسكرية هي للاستعمال العسكري فقط لا لزيارة النصب الفنية ، ولكن ابنه الدكتور في الفلسفة ورئيس العرفاء فون رونشتد يعلم كيف يسوس والده ! وهكذا اقلتنا سيارة في يوم من الأيام من (سنت جرمان) الى (ريمس) وعند وصولنا فحصى رونشتد أكياس الرمل المكدة حول مدخل الكنيسة أولاً ، فقد أقامت السلطات الألمانية وسائل الدفاع حول كافة النصب القيمة لحمايتها من الغارات الجوية ، وبعد ذلك دخلنا الكنيسة وفيها تمثال (لجان دارك) كما هو معروف ؛ وقد وصف نجل رونشتد جمال هذا التمثال هامساً ، وكان يوجد ايضاً خارج الكنيسة تمثال حديث لها يمثلها وهي ممتطية صهوة جواد ، فعبر المشير رونشتد عن رأيه في التمثال الأخير قبل أن يفوه أحدنا بكلمة عنه قائلاً : « إن التمثال الوحيد القيم ، هو الذي في داخل الكنيسة » ... لقد أدرك البون الشاسع بين التمثالين بلوحة خاطفة واحدة .

ظل الأمل في الصلح يراود أفكار الناس في الفترة بين ٢٥/حزيران الى آب ،

وكان هناك كثير من الأشياء الغامضة على العسكريين ، ولكنها كانت تشير فيهم آمالاً واسعة في الصلح . تراخت التدابير الصارمة التي طبقت في باريس بآدىء ذي بدء ، فمن الواضح أن القطعات كانت تذوب شوقاً لرؤية باريس بعد إعلان الهدنة ، وكان هناك قلق مستحوذ على القيادة حول الضبط المتين للقطعات ، لذلك جرى تعيين اللواء فون (بريسن) المشهور بنخشونته وصرامته قائداً عسكرياً لباريس ، وكان هذا اللواء قد جرح في الحرب البولندية ، ومنذ ذلك الوقت كان معروفاً بأنه قائد فرقة على جانب عظيم من الصرامة . كانت التدابير المتخذة تجاه هيئات الركن الألمانية والقطعات شديدة للغاية لصيانة الضبط والنظام ، وحق ضباط الركن الأقدمون المزودون بوثائق من القائد العسكري هذا ، لم يكن يسمح لهم بالذهاب الى باريس إلا بعد استحصال موافقة خاصة على ذهابهم ، على أن يكثروا في باريس مدة قليلة ، ثم يغادرونها قبل حلول الظلام . ولكن سرعان ما تراخت هذه التدابير ، اذ عدلت في تموز اكثر هذه الأوامر الصارمة ، ومن ثم تطورت العلاقات الوثيقة بين الألمان وسكان باريس بسرعة هائلة جداً ، ولم يدر بخلد أحد بأن يحدث من هذه العلاقات الودية القائمة بين السكان والقطعات الألمانية ، وما أسرع ما عثر عشاق الرياضة على رفقاء فرنسيين ، وابتدأت الدعوات المتقابلة ؛ كما تعارف هواة الفنون على الطبقة المثقفة من الفرنسيين في (اللوفر) او في (سيفرس) كما أصبح للضباط وضباط الصف والجنود خدينات من البنات . وبعد الهدنة ببضعة أسابيع ، ابتدأت الزيارات لحديقة الحيوانات في (فينسنس) التي كان قد انشأها حديثاً (هاكن بيك) . ان اسم مدير هذه الحديقة يغيب عن الذاكرة ، ولكن كان هناك ضابط احتياط مدفعي في مقر رونشتد ذا علاقة وثيقة بعائلة (هاكن بيك) ، وفور وصول هذا الضابط الى (سنت جرمان) ، أجرى مفاوضات كثيرة مع المدير الفرنسي حول تبادل نوعين اثنين من حيوانات فصيلة (الكركدن) النادرة ، وقد وجد رونشتد في هذه الصفقة متعة عظيمة .

وكان الانسجام يسود كافة هيئة ركن رونشتد من الضباط وضباط الصف والجنود ، ذلك الانسجام الذي يدل على فهم رونشتد العميق للنفس البشرية ، الفهم الذي يمتاز به ويعد من أعظم خصاله .

وازداد الشعور من شهر الى آخر ، بأن السلم آتية بعد زمن طويل ، وقد انتشرت الاشاعات التي أشارت الى توسط السويد واسبانيا لاحلال السلام اعتباراً من آب ، كما اشتدت وطأة الحرب الجوية ضد الأهداف العسكرية الهامة في بريطانيا ، وازدادت خسائر المانيا في الطائرات ، وقد صرح الطيارون العائدون من الغارات الجوية على بلاد العدو ، بأن نيران مقاومة الطائرات في ازدياد مطرد ، كما ذكروا في تقاريرهم عن حدوث معارك جوية عنيفة ضد المقاتلات البريطانية ، أما ما كان يهيء هتلر من خطط ، فلم يكن يعلمه رونشتد ولا هيئة ركنه ، وقد أشيع بحدوث مشادات حادة بين هتلر وكورنك حول طراز الحرب في الجو : كورنك يريد قصف المدن البريطانية ، لأن البريطانيين سبق لهم قصف المدن الالمانية ، وهتلر لا يريد ذلك ، مما يدل على أن النزوة الطائشة للتعاون مع انكلترا كانت لا تزال تراود هتلر !!!

وحق ذلك الوقت لم تتخذ أي تدابير للدفاع الجوي في (سانت جرمان) ، وقد صمم رونشتد على ترك (الفلا) فائتت له غرفتان في ملحق الفندق ، وكان في إمكانه من محله الجديد السير على الأقدام في غابات (سانت جرمان) وحيداً وبغير حراسة ما ، وبرفقة ضابط الخفر الرئيس فون (سالفياقي) الشهير بالمبارزة على الخيل ، ولكن فعالية استطلاع العدو الجوية ازدادت من شهر الى آخر ودأب الطيارون البريطانيون على ترصد (سانت جرمان) باستمرار ، لذلك فكرت هيئة ركن رونشتد أن تؤمن بعض الحماية الضرورية ، وفعلاً تأمنت تدابير الحماية في حديقة مجاورة للفندق ، فانشأت ملاجئ عميقة بالقرب من سفح مرتفع من الأرض .

كانت تدابير رونشتد لحماية نفسه اعتيادية للغاية ، وكان يشيره صوت الحفارات التي تعمل لإنشاء الملاجئ ، كما لم يكن يجب دخول الملاجئ عند سماع صفارات الانذار بالغارات الجوية ... لقد كان بإمكان البريطانيين تدمير المقر بكامله حينذاك لو أرادوا تدميره .

ومما يكن الأمر ، فقد ظهرت أخيراً فائدة إنشاء الملاجئ ، فسرعان ما أغارت الطائرات البريطانية على المقر من فندق هنري الرابع وكانت الغارة شديدة للغاية ، فأصبح كثير من الأبنية غير قابل للسكنى ، ولكن الحظ واكب هيئة الركن في هذه الغارة ، اذ كانت الخسائر طفيفة ، على الرغم من عنف هذه الغارة .

ولم يكن لرونشتد غير حماية قليلة ضد أعمال التخريب والغارات الأرضية وغيرها ، شأنه في ذلك شأن حمايته ضد الغارات الجوية ، فلم تكن هيئة الركن موزعة الى اقسام معزولة عن بعضها ، ولم تكن في المقر عوائق ولا موانع ولا نطاقات من الاسلاك الشائكة ، وحتى لم يكن هناك حارس عدا جنديين طاعتين في السن يقومان بواجب الدورية عند حلول المساء .

لقد عاش الالمان والفرنسيون بسلام في كثير من الأحيان ، ولم يخل المحلات اصحابها إلا نادراً ، وقد كان في وسع أي إنسان فرنسياً كان أو المانياً أن يقدو ويروح في أي وقت الى فندق هنري الرابع ، ولم يحدث ابداً أن تضايق أحد لاي سبب يمت الى التعديد من التمتع بحريته الكاملة ، ولم يتبدل أي شيء في هذه الناحية بين سنتي (١٩٤٢ - ١٩٤٤) بالرغم من تزايد الخطر وتزايد التوتر في البلاد تدريجياً بسبب تبدل الموقف ، اذ اصبح خطيراً بالنسبة للألمان ؛ وكما اقترب الصيف من نهايته ، ازداد اعتقاد رونشتد بأن هتلر لا يستطيع الحصول على السلم .

كان الجيش الالماني في الغرب يجهل الموقف السياسي ، بل كان يجهل حتى

تطورات القضايا العسكرية في الشرق .

كنا قد تركنا الحديث عن بولندا بعد انتهاء الحرب هناك في نهاية تشرين الثاني سنة (١٩٤٩) ، ومن بعد ذلك لم يعرف احد الشكل الذي أصبحت عليه العلاقات الروسية الالمانية ، بعد تقسيم بولندا بين الطرفين . لقد علمتنا التجارب في الصفحة الثانية من الحرب البولندية ، بأن من الصعب تدبير التعامل مع الروس ، فقد كان هناك دائماً احتكاك واختلاف ناجم عن قضايا نافذة للغاية ، كامتلاك ثكنة على جسر نهر (البك) او استعمال جسر ما على نهر (اسان) بالقرب من (بريز نيسل) .

والآن ما الذي حدث على الحدود الشرقية من تشرين الثاني (١٩٣٩) حتى نهاية صيف سنة (١٩٤٠) ؟ لم يكن يعلم ذلك أحد في الغرب الا القليل ... لقد سبق بيان الجهل بالحوادث السياسية ...

وفي ربيع سنة (١٩٤٠) ، وفي بداية حرب الصاعقة في النرويج يوم ٩/نيسان ، وقبل هذا التاريخ ، كان رونشتد يلاحظ رحيل الفرقتين الجبليتين النمساويتين الثانية والثالثة من منطقته دون ان يعلم لما والى أين تذهبان ! ولم تعلم هيئة الركن والقطعات ان قوات الحلفاء كان يجري إركاها بعد احتلال النرويج مباشرة لمساعدة فنلندا التي توصلت روسيا الى عقد صلح معها ثانية يوم ١٢/مارت عام (١٩٤٠) الا من الصحافة والدعاية والاشاعات .

لقد اشتبكت القوات الالمانية مع القطعات البريطانية في النرويج اكثر من مرة ، كما حدث في (اندالسنس) و (هارستان) ، ولم يعلم القادة العسكريون في الجهات الاخرى شيئاً حول هذه الحملة الا معلومات قليلة تعادل معلوماتهم عن الحرب بين فنلندا وروسيا ، تلك الحرب التي انماز فيها الجنود الالمان بعاطفتهم الى جانب فنلندا .

تظهر هذه الظروف الشاذة التي شرحناها باختصار هنا ، والتي لا يكاد يتصورها

أحد في البلدان الديمقراطية ، كيف كان يدبر أمر حرمان حق أكبر القادة في البلاد الدكتاتورية من الاطلاع على المواقف السياسية !!...

لقد حمل هذا الجهل القائد العام ورئيس أركان الجيش على تقديم مقترحات سوقية ، كان مصير أكثرها الرفض من هتلر ، لأنها كانتا يعملان وهما على جهل تام بالنيات السياسية التي تستند عليها الخطوط السوقية الى حد بعيد !!

لم يجبر التطرق الى المسألة الروسية في الغرب الا نادراً خلال أشهر الصيف من سنة (١٩٤٠) ، كما كنا نجمل الموقف في الشرق تماماً ، فقد افترضنا فيما بيننا أن كل شيء يجري هناك بنظام وفقاً للاتفاقية المعقودة بين الطرفين ، وفي ذلك الوقت لم يكن بين هيئة الركن والقطعات من يحلم بحرب ضد روسيا .

وربما أسرّ هتلر ذلك في نفسه منذ زمن طويل ، وربما سبق له التنويه عن نياته هذه لهيئة ركنه الخاصة او لرئيس أركان الجيش ، ولكن رونشتد شخصياً لم يُحيط علماً بأي شيء عن ذلك ، ومع هذا فقد بدا بأن شيئاً ما قد يكون معلوماً عن الحرب ضد روسيا لدى ضباط القوة الجوية والبحرية ، كما أصبح واضحاً أن كورنك القائد العام للقوة الجوية أوثق صلة بهتلر من رؤساء الجيش ، وأن ضابطاً ما في القوة الجوية او البحرية خلال شهري آب وأيلول عام (١٩٤٠) ، كان يستطيع التلميح بأن شيئاً ما قد يحدث في الشرق عام (١٩٤١) .

نقل مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) من الغرب باتجاه الشرق ، ومن ثم نقل الى (وارشو) ، وقد زار المشير فون (كلوكا) مقر جعفل الجيش (أ) في (سانت جرمان) قبل رحيله ، وتحادث لمدة طويلة مع رئيس هيئة الأركان ... ان كافة الامارات كانت تدل على أن شيئاً ما سيحدث في الشرق .

ولقد نُشرت بعض التقارير في الصحف في هذه الأيام ، بأن الروس أخذوا يظهرن اتجاهات معادية ضد الالمان ، ويضاعفون المشاكل ، ويزيدون بالتدريج

في عدد قطعاتهم شرق خط تقسيم بولندا ، كما أشيع بأن العلاقات قد تردت بين روسيا وبريطانيا من أجل فنلندا، كما ثلبأ بعض الناس بنشوب حرب بين روسيا وبريطانيا ...

انه لا يمكن تفهم الموقف حينذاك الا بوصف حالة الشك والجهل التي عاش فيها القادة العسكريون باستثناء ضباط مقر هتلر ... وحق رونشتد نفسه لم يكن يعلم شيئاً ذا أهمية عن الموقف السياسي ، فهو جندي لا تثير في نفسه الحوادث السياسية الا قليلاً من المتعة .

ولم يتصل رونشتد أبداً بهتلر هاتفياً كما كان يفعل (رومل) و (كلوكا) وكثير من القادة العسكريين ، ومن أجل ذلك لم يحدث أبداً ان استدعاه هتلر الى الهاتف .

لقد كانت هناك طبعاً مناقشات شخصية، ولكنها كانت تحدث حينما يريد لها هتلر فقط .

ولم يجر اتصال هاتفي بين هتلر ورونشتد في أي موقف .. لقد كانت المحادثات بينها تجري بواسطة (كايتل) و (جودل) .



— الحرب في روسيا

ذكرنا سابقاً ان قادة جحافل الجيوش وقادة الجيوش لم يزودوا بأي معلومات واضحة من هتلر عن واجباتهم المقبلة في الجبهة الشرقية . ان هذا الصمت مبسداً أساسي لكل دكتاتور ، ولكن من المعروف ان رجال الدولة والسياسيين في الدول الديمقراطية لا يخبرون دائماً قادتهم العسكريين بخططهم إلا في المرحلة الأخيرة ، وحتى في ذلك الوقت لا يفصحون عن الدوافع الخفية ، وبعبارة أخرى ان الجندي آلة بيد السياسيين ، فهم وحدهم يقودون ويسيطرون وليس على قادة الجيش العقلاء الا ان يعتبروا انفسهم جنوداً يقتصر واجبهم على الناحية العسكرية فحسب !

ان رئيس الوزراء والبرلمان في البلاد الديمقراطية يزودون العسكريين بمعلومات اكثر مما هو الحال في البلاد الدكتاتورية ، كما تكون لآراء العسكريين هناك اهمية خاصة ، اذ تدرس آراؤهم وتمحص بعناية ، لذلك فان العلاقات بين السياسيين والقادة العسكريين تكون اوثق في البلاد الديمقراطية .

وهكذا كانت الامور تحت ظل حكم هتلر تختلف تماماً عما هي عليه في البلاد الديمقراطية .

ازدادت في نهاية سنة (١٩٤٠) التقارير التي تشير الى حرب اجماعية ضد

روسيا ، وقد اشير في مقدمة الاوامر الصادرة عن هيئة ركن مقر الجيش بأن الاستعدادات ضد روسيا دفاعية محضة ، نظراً لاحتمال قيام الروس بالهجوم على الالمان .

وفي بداية سنة (١٩٤١) نقلت فرق اخرى الى الشرق لا سيما الى بروسيا الشرقية وبولندا ومقاطعة (بوزنان) .

ولم تكن هذه القطعات منظمة لأغراض الهجوم بأي وجه من الوجوه ، كما عبثت على مسافة بعيدة في الخلف منتشرة في مناسطق شاسعة تشغل نفسها بالتدريب .

وكانت هناك اجازات .. وكانت ظروف الخدمة سلمية تقريباً ، ولم يكن في اقصى الجبهة على خط التقسيم الروسي - الالماني سوى ثلاث او اربع فرق بالاضافة الى فرقة الخيالة الاولى بين الكربات والبلطيق !...

وكانت الجبهة بقيادة فون (كلوكا) الذي جعل مقره (الجيش الرابع) في وارشو .

لقد ساد هدوء مطلق خلال شتاء سنة (١٩٤٠ - ١٩٤١) على الحدود ، وحتى بداية الحرب في ٢٢/ حزيران سنة (١٩٤١) كانت روسيا لا تزال صديقة لالمانيا .

وكانت القطارات تسير بانتظام مارة بمحطات السكك الحديدية في الحدود حاملة البضائع بصورة اعتيادية ، ولم يحدث لمنتسبي السكك الحديدية غير صعوبات قليلة ، وكان القطار الدولي الذي يسير من برلين الى موسكو مستمراً في مسيره ، ولم يتوقف الا قبل اربع ساعات من بدء الحركات العدائية .

ووصلت فرق اخرى في شهر كانون الثاني عام (١٩٤١) قادمة من الغرب ،

ولكنها عبثت على مسافة بعيدة في الخلف ، حيث استقرت هناك على نمط الحاميات .

ولم يكن هناك قيادة عليا في هذه المنطقة غير مقر الجيش الرابع فون (كلوكا) وبعد ذلك استلم رونشتد امراً يقضي بذهابه الى (برسلاو) في سيلزيا مستصحباً هيئة ركنه الشخصية الصغيرة ، وقد اصدر هتلر امر هذه الحركة بصورة سرية .

وانتشرت في سنة (١٩٤١) الأخبار التي تفيد بأن الروس عازمون على الهجوم لا على المانيا فحسب بل على اوروبا بكاملها.. وقد اشار هتلر الى ضخامة التسليح الروسي والى عدد الفرق الروسية الهائلة ، كما اشار الى الحرب الفنلندية ، فاستدل من ذلك على ان الروس لا يمكن ان يقوموا باستعدادات كبرى كهذه الا لغرض القيام بهجوم مباغت ضد المانيا ... وقد اعاد هتلر الى الذاكرة خطة (لينين) الذي كان قد صرح بأن هدف الفكرة الشيوعية هو الانقلاب العالمي ، ذلك الهدف الذي لا يمكن ان يتحقق الا بالقوة ، ولهذا انشأ الجيش الاحمر بسرعة جنونية .

وقال هتلر : « انه لا يستطيع الانتظار طويلاً ، لئلا يكمل الروس استعداداتهم » ، وقد توقع خطراً دائماً من الشرق ضد سلامة المانيا وأوروبا .

كما توقع قيام الروس بالهجوم في سنة (١٩٤١) .

وتلقى الجيش الرابع في الربيع معلومات سرية من ضابط (لتواني) سابق في (كفنو) تفيد بأن الروس يقومون بإجراء تمارين تستهدف احتلال بروسيا الشرقية من اتجاهين ، كما ان الحرب ضد المانيا تنساقش بصراحة قامة في مطاعم الضباط الروس ، وقد ظهر التعامل ضد المانيا بوضوح في الأفلام الروسية ، كما وقعت بيد الالمان تقارير من مصادر تؤيد هذا التعامل ، وأيدت خرائط الموقف

العسكري المؤشر عليها المعلومات الواردة من روسيا شهراً بعد آخر ازدياد عدد القطعات الروسية في (غاليسيا) .

عارض رونشتد الحرب ضد روسيا منذ البداية ، فقد حصل على معلومات لا يستهان بها عن الشرق لا سيما البلاد الروسية : طبيعة البلاد ، والجندي الروسي ، ومشاكل الجو ، والمسافات اللانهائية ، والطرق الرديئة . لذلك فقد سأل هتلر عما اذا كان مدركا للمجازفات التي سيقدم عليها بالهجوم على روسيا؟.. وقد ابدى القائد العام (براوشتش) ورئيس اركان الجيش (هلدنر) شكوكهما المؤلمة بهذا الصدد كما فعل رونشتد .

لم يحارب هتلر اثناء الحرب العالمية الأولى في الجبهة الشرقية مطلقاً .

لقد كان رونشتد يعتقد بأن الروس لو كان في نيتهم حقاً التعرض على المانيا ، لفعلوا ذلك اثناء اشتباك الجيش الالماني كله في الحرب ضد الغرب ، لذلك اعتقد رونشتد بأن خير ضمان لسلامة المانيا هو في تقوية دفاعات الحدود وافساح المجال للروس للقيام بالهجوم ان ارادوا ...

لقد كان كثير من الضباط قد سبق لهم معرفة الروس خلال الحرب العالمية الاولى ، اذ اكتشفوا قوة شكيמתهم واستعدادهم الفطري للتضحية الشخصية ضمن حشودهم وعدم اكترائهم بالخسائر ، وكانوا يعرفون ان هذه البلاد الغامضة تستطيع إعداد الملايين من الجنود ، وكانوا قد خبروا في سني (١٩١٤-١٩١٨) المساحات الشاسعة والمسافات غير المحدودة والمناخ القاسي والسبل الرملية والطرق الموحلة والغابات الضخمة والمستنقعات ...

صحيح ان جندياً المانياً كان يقابله خمسة الى عشرة من الروس في الحرب العالمية الاولى ، ومع ذلك انتزع النصر . بيد ان الاخطار الهائلة التي سيتعرض لها الالمان ، كانت معروفة حق المعرفة كذلك ، في حين ان السلم لم يكن قد

اصبحت في متناول اليد في الغرب حينذاك .

وبلي هذا السؤال العظيم الامة : هل إن الجيش الروسي الحالي احسن أم أردأ مما كان عليه ايام القيصر في سني (١٩١٤-١٩١٨) ؟

لقد كان معروفاً بان نظام موسكو السياسي قد وُطد بشدة متناهية تفوق في ضراوتها الشدة ايام القيصر ، وكان معلوماً ان الجيش الاحمر جرى تنظيمه بشكل يختلف تماماً عن جيش روسيا الامبراطورية ، ولم يكن هناك شك في ان المعدات الحربية في الجيش الروسي الحديث احدث بكثير من تلك التي كانت على عهد القيصر .

وكانت تقارير الملاحق العسكري الالماني في موسكو الذي عرف الروس سنين طويلاً تدور حول قضايا على جانب عظيم من الامة ، ولكن هتلر وكثيراً من بطانته لم يعيروا تلك التقارير ما تستحقه من اهتمام ، بل لم يصدقوها ! وفهموا روسيا كما فهمها نابليون من قبل ... لقد كانت هناك نواحي تشابه واضحة بين نابليون الاول وبين هتلر ، اذ كلاهما يتزع الى الهجوم .

خشى هتلر من تعرض بريطانيا من اليونان باتجاه الشمال نحو الدانوب كما فعل الحلفاء في البلقان عام (١٩١٨) ، لأن تطور هجوم كهذا يؤدي الى تهديد مؤخرة الجبهة الشرقية الالمانية في الجنوب ، لذلك عزم على احتلال البلقان وكافة اليونان لاحباط نيات البريطانيين ، فأرسل المشير (كليست) الى هناك لهذا الغرض .

ورفع كثير من اليوغوسلافيين راية العصيان ضد قوات المحور في نهاية مارت عام (١٩٤١) ، وكان هذا العصيان مفاجأة كاملة لهتلر . ثم أعقب ذلك حرب قصيرة سريعة في البلقان بقيادة (ليست) وفون (كليست) ، وقد استخدمت في تلك الحرب الفرق المدرعة بالاضافة الى المشاة والتشكيلات الجبلية ، وبذلك انتهت هذه الحرب بالنصر بعد بضعة أسابيع .

ولكن هذه الوحدات الالمانية ولا سيما تشكيلات فون (كليست) المدرعة خصصت جميعها للحرب في روسيا ، فنقلت بالقطارات وبالسيارات من اوروبا الجنوبية الشرقية الى الشمال ثانية خلف خط الحدود الروسية ، حيث استغرق نقلهم وقتاً طويلاً ، وكان من الضروري فضلاً عن ذلك ، ادخال الدروع والعجلات الى المعامل لغرض الفحص العام والتصليح لكي تكون قادرة على الخدمة ثانية .

وقرر هتلر ان تبدأ الحرب ضد روسيا في منتصف مايس سنة (١٩٤١) ، ثم تأجل هذا الموعد شهراً كاملاً ، ولم تكن الحرب البلقانية نفسها السبب الرئيس لهذا التأجيل ، بل كان السبب هو مباغته هتلر بالانقلاب الحكومي الذي جرى في بلغراد ، لأن الدانوب والمواصلات مع رومانيا الحليفة التي تخترق يوغوسلافيا كانت حيوية لأغراض التموين والمرور القطعات الالمانية وقطعات المحور الاخرى منها الى جنوب الجبهة الشرقية ... ومهما يكن الامر فهناك عامل لا يقل أثراً عما ذكرنا ، وهو رداءة الأحوال الجوية عام (١٩٤١) ، فقد أدت هذا العامل الى تأجيل الحرب الروسية ايضاً .

ومن المعلوم أن الحركات السوقية الكبيرة السريعة كانت تلاقى عراقيل كثيرة شرق خط (سان - بك) حتى أواخر مايس ، فقد غمرت الارض بالفيضانات الواسعة ، واستطاعت طائفة استطلاع مشاهدة البحيرات الكثيرة وسعة المياه وتشعباتها في البلاد الشرقية ، إذ كانت الارض رخوة مليئة بالمستنقعات كما كانت الطرق مغمورة بالأوحال .

وشهر مايس يتميز عادة بتبدلات في الأحوال الجوية ، إذ ينحسر الماء وتلاقي الحركة صعوبات أقل ، غير أن سنة (١٩٤١) كانت سنة استثنائية ، ففي نهاية حزيران كان نهر (البك) وهو نهر بولندي على مقربة من (برست لوتفسك) في حالة فيضان تعلو ضفافه الأمواه .

وبعد ان قرر هتلر ان يسبق الهجوم الروسي الذي تخيله بهجوم يقوم به هو ضد روسيا على الرغم من تحذيرات رونشتد والقادة العسكريين الأقدمين الآخرين ، فكرت حينذاك القيادة الالمانية على ضوء الحقائق التالية :

كان القلق ناشئاً بصورة رئيسية من تيسر قوات كبيرة عند الطرفين : روسيا والمانيا ، فلدى الالمان حوالي (١٢٠) فرقة من مختلف الصنوف ، ولدى روسيا حوالي (١٥٠) فرقة ، بيد ان المعلومات المتعلقة بالروس كانت محدودة للغاية ، فلم يجبر استطلاع جوي ، وليس بإمكان هذا الاستطلاع لو .رى ان يحدد مقدار قوة القطعات الروسية .

وبمقارنة الموقف الالماني في الجبهة الروسية بالموقف الالماني في الغرب سنة (١٩٤٠) ، يتضح ان الالمان وقوات المحور معها لم يكونوا متفوقين في الشرق تفوقهم في الغرب ، إذ في الغرب بين البحر الشمالي والحدود السويسرية تحشد عدد هائل من الفرق تعقبها قوات احتياطية قوية للغاية موزعة عمقاً على جبهة غير واسعة ؛ أما في الشرق فقد امتدت الجبهة سنة (١٩٤١) من البحر الأسود الى بحر البلطيق ، ونظرة الى خارطة اوروبا ، تظهر أن الجبهة الالمانية ستزداد عرضاً كلما ازداد التقدم نحو الشرق .

كان من الواضح أن الحركات ينبغي ألا ترسم خططها على غرار خطط نابليون الأول في سنة (١٨١٢) ، فقد استمر الروس حينذاك على التراجع ، وعبثاً حاول نابليون ان يلتقي بهم في معركة حاسمة . كان نابليون ناجحاً في البداية في (سمولنك) و (بورودينو) ولكنه لم ينل نصراً حاسماً ، إذ أبعد جيشه عندما حلّ الشتاء وهو متوغل في مجاهل روسيا .

تذكر جميع قادة المانيا عام (١٩٤١) هذه المغامرة الفرنسية الفاشلة ، لذلك استهدفت كافة الحسابات والتدابير عند وضع الخطط كسر شوكة الروس نهائياً

في غرب (الدنيبر) و (دفيننا) لوضع نهاية سريعة للحرب ، وكان قد أدرك جيداً بأن الحرب قد تصبح حرجية لا نهاية لها اذا تعذر إبقاء الروس في غرب هذا الخط ، لأنهم سيدأبون عند ذاك على الانسحاب نحو الشرق .

وفضلاً عن ذلك ، فان أقصى خط يمكن ان نصله خطوط التموين هو خط (الدنيبر) و (دفيننا) ، اذ يمكن تموين القطعات لغاية هذا الخط بدون انقطاع؛ ولكن بعد الوصول الى هذا الخط يتحتم إجراء توقف سوقي لغرض تحسين خطوط المواصلات ، لذلك كانت الخطة بالنسبة للفرق المدرعة هي الاختراق سريعاً باتجاه الشرق ، على ان تعقبها في التقدم جيوش المشاة ، ويكون بين الدروع والمشاة اتصال وثيق ، على ان يجري تطويق الروس اينما صودفوا لقطع خط تراجعهم نحو الشرق . ليس في الامكان تطبيق هذه الخطة بنجاح ، الا اذا بقي الروس في مواضعهم غرب (الدنيبر) لا بل ينبغي وجود القسم الاعظم من الجيش الروسي غرب (الدنيبر) و (الدفيننا) كذلك .

ولكن كيف يتسنى النجاح لهذه الخطة ، والجيش الروسي الذي يبلغ تعداده الملايين لما يتم نفيه حتى الآن ولما يحتشد على حدود روسيا الغربية غير جزء قليل منه .

قد يمكن التغلب على هذا الجزء القليل من الجيش الاحمر المحتشد غرب (الدنيبر) ، ولكن ليس من السهل القضاء على القسم الاعظم من الجيش الاحمر بعد انجاز تحشده .

لقد اضطرت وجهات النظر لوضع خطة سوقية للحرب في روسيا على جبهة واسعة تمتد بين البحر الاسود وبين البلطيق .

فما هي وجهة نظر الاقتصاد السياسي ؟ لقد كان هتلر يرى في موسكو اكبر عدو للعالم ، وقد اعتبر هذه المدينة مركزاً سياسياً وفلسفياً وتجارياً وفنياً

للقوى الشيوعية . وكما كانت موسكو المركز السياسي ، فان المصالح الاقتصادية تركزت لأسباب واضحة في القسم الروسي الخصيب الواقع جنوبي روسيا ، فهناك مقاطعة (الأوكرين) الغنية المغطاء بحقول الحبوب الممتازة ... وهناك أيضاً منطقة الارض السوداء ، كما يقع في الجنوب حوض (الدونيتز) وفيه الصناعات الروسية الثقيلة ، وأبعد من ذلك في الجنوب تلوح مرتفعات القفقاس وآبار النفط .

ولا شك في ان الخبراء الاقتصاديين الالمان أثاروا انتباه هتلر الى الثروة الضخمة في جنوب روسيا ، فاعتبر هذه المنطقة هدفاً سوقية... وقد قيل له : لا يمكن الاستمرار في الحرب ما لم يتم احتلال (الأوكرين) وحوض (الدونيتز) ونفط القفقاس !!!

إننا نعلم بأن السياسة والاقتصاد أثرا على خطة الحركات ، وهذا ما يحدث دائماً في العصر الحديث ..

فما هي وجهة النظر العسكرية ؟ لقد برزت نظريات شتى لكل منها محاسن ومساوىء ، وفي هذا الكتاب سنهتم بوجهة نظر رونشتد .

إنه لم يتصور أن مركز الثقل كان في جحفل جيشه في (الجنوب) كما تصور الكثيرون ، فهو يعتقد مستوحياً اعتقاده هذا من الواجهة العسكرية البهتة ؛ أن مركز الثقل يجب ان يكون في الشمال اي في جحفل جيش الشمال (فون ليب) ، وقد اعتبر منطقة (لنين غراد) الهدف الاول للحركات ، فالاندفاع في هذا الاتجاه يؤدي الى الاتصال بالفنلنديين الشجعان سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، كما يؤدي هذا الاندفاع الى حرمان الروس من البلطيق نهائياً .

وقد تصور رونشتد أن الصفحة الثانية للحركات هي القيام بهجوم رئيسي في اتجاه الجنوب الشرقي نحو موسكو .

وقد نتساءل ما جدوى هذه البحوث العسكرية البحتة ؟ إنها تظهر الآراء العسكرية مجردة عن التأثيرات الاقتصادية والسياسية ، تلك العوامل التي سببت في كثير من الأحيان عدم انجاز رجال الجيش ما كان في استطاعتهم انجازها ، اذ اضطرتهم مرغين ان يكونوا آلات في ايدي السياسيين والاقتصاديين .

عُرف رونشتد بأنه من اشد خصوم المغامرة الروسية ، فقد أيد فكرة البقاء في حالة الدفاع في مواضع مستحضرة ، ولكنه أذعن باخلاص واستقامة عندما اصدرت السياسة العليا قرارها ، وكان من الواضح عنده ان الحرب ضد روسيا حرب طويلة ، وأن صراعاً مثل هذا لا ينتهي بحرب صاعقة خلال بضعة اشهر ، بل بمرور وقت قد يطول الى سنين عديدة .

لقد كان رونشتد يمتلك معلومات ممتازة عن الشرق ، لذلك كان متأكداً من أن مثل هذا الواجب لا يمكن انجازها الا من الشمال الى الجنوب اي من (لنين غراد) الى موسكو ومن ثم الى الجنوب ، ولكن لا فائدة ترجى من هذه الخطة مسالم تنجز المراحل الأولى منها بنجاح ، فاذا تبين خلال السنة الأولى بأن المغامرين توغلوا اكثر من اللزوم ، فان رأي رونشتد في هذه الحالة يقضي بالكف والانسحاب الى مواضع مستحضرة بعيدة في الغرب .

كان ترتيب القطعات النهائي كما رسمته القيادة العليا كما يلي :

تشكلت ثلاثة جمعاقل جيوش :

١ - جمعاقل جيش الجنوب : بقيادة فون رونشتد ورئيس هيئة ركنه اللواء المشاة فون (سودنستيرن) ، وهو مؤلف من حوالي خمس فرق مدرعة وثلاث فرق آلية وخمس وثلاثين فرقة مشاة ، وقد بلغ المجموع العام للمعجلات المدرعة في هذه القوة حوالي (٦٠٠) عجلة .

كان العدو متفوقاً بقواته المدرعة تفوقاً لا يستهان به ، اذ تبلغ عجلاته

المدرعة حوالي (٢٠٠٠) عجلة حسب تقدير الالمان ، غير أنها كانت من طراز قديم .

وكان هدف رونشتد السوقي هو خط (أوديسا) - (كييف) ومن ثم منطقة (الدونيتز) وأخيراً القفقاس ، وكان جناحه الأيمن مستنداً الى الحافة الشمالية لجبال الكربات الغربية غرب (برزميسل) ، وكان جناحه الأيسر مستنداً الى (البك) في مقاطعة (كلودوا) في الحافة الجنوبية الغربية لمنطقة (بريت) ، وكان الجيش السابع بقيادة فون (ستول بناكل) يؤلف الجناح الأيمن لجحفل الجيش ، وكان الجيش السادس بقيادة فون (روشناو) يؤلف الجناح الأيسر لجحفل الجيش ، وكانت الجحفل المدرع الأول بقيادة فون (كليست) .

٢ - جحفل جيش المركز بقيادة المشير فون (بوك) ورئيس هيئة ركنه اللواء فون (كريفن برك) ، وكان هذا الجحفل مركز الثقل ، لهذا كان يضم حوالي خمسين فرقة من ضمنها تسع فرق مدرعة وسبع فرق آلية ؛ وكانت الفرق المدرعة والآلية مقسومة الى جحفلين مدرعين : الجحفل الثاني بقيادة (كودريان) ، والجحفل الثالث بقيادة (هوث) ، وكانت موسكو الهدف السوقي لهذا الجحفل .

كان جحفل جيش المركز مؤلفاً من جيشين بالإضافة الى الدروع : الجيش الرابع بقيادة فون (كلوكا) في اليمين ، والجيش التاسع بقيادة (ستروس) في اليسار .

٣ - جحفل جيش الشمال بقيادة المشير فون (ليب) ورئيس هيئة ركنه اللواء (برنيك) ، وكان يضم الجحفل المدرع الرابع بقيادة (هوبنر) وثلاث فرق مدرعة وثلاث فرق آلية ، فيكون مجموع فرق هذا الجحفل ثلاثين فرقة ، وقد كانت قوة العدو في منطقة هذا الجحفل متكافئة تقريباً مع القوات الالمانية

وكان الجيش السادس عشر بقيادة (بوج) في اليمين ، والجيش الثامن عشر بقيادة (كوهلر) في اليسار ، وكانت (لينين غراد) والى جنوبها الهدف السوقي لهذا الجحفل .

يتضح من ذلك أن الجيش الألماني في الجبهة الشرقية جرت تعبئته جنباً الى جنب على شكل كردوس ضخمة تمتد من الكربات حتى البلطيق .

يبدو عدد الفرق التي ذكرناها كبيراً جداً في هذه الأيام ، ولكن ينبغي ان نتذكر أن مائة فرقة في سنة (١٩٤١) لم تكن شيئاً كثيراً جداً ضد عدو كالروس تموتوا ان تكون الملايين تعداداً لجنودهم ...

تختلف الفكرة العددية في الشرق كل الاختلاف عما هي عليه في الغرب الذي ألف الأعداد الصغيرة نسبياً .

كانت قطعات حليفة من رومانيا بقيادة رئيس دولة رومانيا المشير (انطونيسكو) في جنوب جحفل رونشتد ، وكان مع هذه القطعات الجيش الألماني الحادي عشر بقيادة فون (اسكوبرت) ، غير ان هذه القطعات الرومانية والامانية لم توضع تحت قيادة فون رونشتد المباشرة تقديراً لأنطونيسكو .

لقد علمتنا جميع الحروب ما ينتشر بين الأحلاف من نفرة قومية وما تحتاجه إدارة العلاقات بين الأحلاف من حكمة وسداد .

كانت رومانيا في الشرق حليفة مهمة ، وكان المشير انطونيسكو الرئيس الأعلى للدولة الرومانية ، وقد جرى الاتفاق بين برلين وبخارست على ان يتولى انطونيسكو في أقصى الجنوب من الجبهة الشرقية قيادة مستقلة ، ولكنه يكون خاضعاً لوصايا رونشتد السوقية .

كانت القطعات التالية تحت تصرف رونشتد في بداية الحرب ضد روسيا :

الجيشان السابع والسادس والجحفل المدرع الاول ؛ كما كانت القطعات الايطالية التالية تحت قيادته : الفيلق الايطالي الثالث بقيادة اللواء (ميس) مع فرقتين مشاة والفرقة الخفيفة ، كما كان تحت قيادته من الهنكاريين فيلق هنكاري ، ومن السلوفاكيين الفرقة السلوفاكية الآلية ، ومن الكرواتيين كتيبة واحدة .

كما توحدت في أقصى الجنوب قيادة الجيش الالماني الحادي عشر والجيش الرومانية تحت لواء المشير فون رونشتد .

لم يكن بوسع أي قائد الماني آخر حل هذه المعضلة النفسية لكل هذه الأمم أحسن مما فعل رونشتد ، الرجل العالمي الذي يمتلك سجايا عالمية من الحكمة وفهماً عظيماً لإدارة الأمم ، ونذكر على سبيل المثال : أنه كان من الضروري عدم اختلاط القطعات الرومانية بالقطعات الهنكارية ، لأن هذين الشعبين مكافأ حينذاك متناحرين .

كان جناحاً جحفل جيش الجنوب مكشوفين، وقد سبق لرونشتد قبل بداية الحرب ان أشار الى خطورة ذلك .

وكان على الجيش السابع في الجنوب ان يتقدم مخرقاً (غاليسيا) متجهاً من الغرب الى الشرق ، غير أنه كان هناك ما لا يقل عن خمس وعشرين فرقة روسية في أقصى الجنوب على حدود الكريات في الغرب من هنكاريا ، فما الذي ستمعله هذه الفرق الروسية ??

لقد كان على رونشتد ان يفترض بأن هذه الفرق ستقوم بالهجوم على جناحه الأيمن عندما يتقدم من الجبال متجهاً نحو الشمال ، لذلك طلب توحيد القيادة في رومانيا ، كما طلب قوات أكثر في جنوب قاطعه لكي يعمل على تطويق هذه القطعات الروسية . وقد علمنا أن الجيش الالماني الحادي عشر كان في رومانيا بالتعاون مع الرومانيين ، ولكن ارتباط هذه القوات برونشتد كانت واهناً الى

درجة لأسباب سياسية .

اقترح رونشتد على القيادة العليا استخدام قطعات قوية لا سيما من الفرق الجبلية في الكربات ضد تلك الخمس والعشرين فرقة الروسية ، ولكن رفض اقتراحه ، لذلك أصدر المشير رسالة برقية كاذبة لتضليل الروس ، وربما كان لهذا العمل التضليلي أثر فعال في انسحاب القطعات الروسية نحو الشرق بصورة غير متوقعة .

تقع منطقة مستنقعات (روكنتو) في شمال جمحفل جيش الجنوب وتدعى هذه المنطقة ايضاً باسم منطقة (بربيت) ، وتمتد هذه المنطقة شرق نهر (البك) بين منبعه و (بريست ليتوفسك) والى (الدنيبر) على كلا جانبي (كييف) والى الخلف منها . ان مساحة هذه المنطقة بقدر مساحة (بافاريا) على وجه التقريب ، وكان عرضها من الغرب الى الشرق ثلاثمائة ميل تقريباً .

وكان الاعتقاد السائد قبل سنة (١٩١٤) بأنه من المستبعد قيام قطعات غربية بحركات واسعة في هذه المنطقة ، لأنها مغطاة بالغابات والمستنقعات التي لا تستطيع القطعات عبورها ، مما ادى الى ابعاد هذه المنطقة من خطط الحركات لأنها تعتبر بحق هارصاً طبيعياً لحماية الجناح .

ولكن هذه المعلومات الناقصة بالجغرافيا العسكرية ، ظهر بطلانها في الحرب العالمية الاولى ، اذ تحرك وقاتل كل من القطعات الألمانية والروسية في هذه المنطقة سنة (١٩١٥) وما بعدها ، وهكذا فان الجبهة كانت تمتد من الشمال الى الجنوب مارة من وسط المستنقعات ، ولم يكن في هذه المنطقة اراض منخفضة تعرقل المرور فحسب ، بل كانت فيها غابات عظيمة وأنهار تجري الى (البربيت) من كلا الجانبين يسكنها عدد قليل من السكان ، ولا يوجد فيها غير بضعة أمكنة صغيرة انشأت بمواد بسيطة رديئة حتى بالقياس الى المستوى الروسي .

وكان يتحرك قطار رديء من (بريست ليتوفسك) الى كومل (ومن كومل) الى (كييف) ، كما كان يتحرك قطار آخر من الشمال الى الجنوب من (برالويس) مخترفاً (لوميز) حق (راونا) ، وكانت هذه الوسائط تافهة للغاية بالنسبة الى منطقة مساحتها ثلاثون ألف ميل مربع .

أما شبكة الطرق ، فلم تكن اقل رداءة من ذلك ، كما كانت اغلب جسور الأنهار من الخشب ، لذلك فانها غير قابلة لمرور الدروع والمجلات الثقيلة .

وكان هناك كثير من السهول المليئة بالمستنقعات لا سيما بالقرب من المياه ، وكانت الى جانب ذلك مساحات شاسعة من الأراضي الخالية من المستنقعات والغابات .

كل ذلك يؤدي الى عرقلة الحركات السريعة ، ومع هذا، لم تكن هذه بالنسبة للقطعات الروسية موانع خطيرة ، لأن من السهل عليهم عبورها من اي مكان بفيلق كامل ، ويمكن اعتبارها منطقة دفاعية ممتازة للروس يستطيعون ان يشنوا منها هجوماً على جناح القطعات المتقدمة نحو الشرق من أي اتجاه يريدونه وفي الحرب الروسية البولندية عام (١٩٢٠) ، اجتاز الروس والبولنديون هذه المنطقة من جميع الجهات حيناً بعد حين .

كان رونشتد يعرف ما يحاور هذه المنطقة منذ الحرب العالمية الاولى ؛ لذلك لفت انتباه القيادة الالمانية العليا الى امكان مرور قطعات لا يستهان بها من هذه المنطقة دون ان تقدر القيادة الالمانية العليا هذه اللفتة ما تستحقه ، فنتج عن ذلك مهاجمة الجيش السادس الالمانى الذي كان جناح جيش رونشتد الايسر بقوات روسية قوية بعد خروجه من هذه المنطقة وتعويقه هناك مدة طويلة .

ليس في الامكان وصف الحركات السيارة المتقلبة بأسهاب هنا، بل سنكتفي بسرد الحوادث الرئيسية باختصار .

نشبت في الايام القليلة الأولى التي اعقبت اجتياز الحدود الفاصلة معـارك شديدة في نقاط منعزلة فقط ، وبصورة عامة كانت الحركات سريعة ، ولم تكن المقاومات الروسية شديدة كما توقعنا ، وقد ايد ذلك ما قدره رونشتد من ان الروس لم يكونوا متهيئين للقيام بهجوم سنة (١٩٤١) .

هناك دلائل كثيرة من ضمنها البرقيات المسترقة اثبتت لكلا الجحفلين الشماليين بأن الروس في الايام الأولى اخذوا على غرة ، ولكن سرعان ما تبدل الموقف ، فازدادت ضراوة القتال على طول الجبهة من اسبوع لآخر .

لقد تبين أن قلق رونشتد على جنوبه كان في غير محله ، فقد تراجعت الفرق الروسية الخمس والعشرون من الكربات باتجاه الشرق بدلاً من أن تنقض على الجناح الجنوبي لجحفل الجيش ، مما أثار دهشة رونشتد واعتبر الانسحاب شيئاً شبيهاً بالمعجزات .

واشتد القتال عنفاً في جبهة الجيش الالماني السادس الذي كان في اليسار والذي كان عليه أن يندفع الى الأمام جنوب مستنقعات (بربيت) متجهاً نحو (كريف) ، فهاجمته القطعات الروسية بشدة متزايدة يوماً بعد يوم من الشمال أثناء حركته هذه ، لذلك اضطر دائماً الى أن يزجّ بقطعات قوية ، وبذلك أصبح جناحه الأيسر يطول ويضعف باستمرار ، مما أدى الى تضعف قوة اندفاعه نحو الشرق ، وأخيراً بقي جيش رونشتد متوقفاً زمناً طويلاً في الحافة الجنوبية من (البربيت) .

ولكي نجعل الحوادث أكثر وضوحاً ، ينبغي أن نذكر بأن الجناح الأيمن للجيش الرابع الذي كان بقيادة فون (كلوكا) أي الجيش الأيمن من جيوش جحفل الجيش المركزي قد نجح من غير شك في تقدم القطعات من خلال مستنقعات (كنتو) ، ولكن هذه القطعات كانت ضعيفة .

لقد كانت فرقة الخيالة الألمانية أول من جاس بحرية في خلال هذه المنطقة ، ولكن قوتها كانت غير كافية ، فسحبت ثانية بعد بضعة أيام باتجاه الشمال على طريق (برست ليتوفيسك) - (برانويس) العام ، ودفع الجيش الرابع بدلاً عن هذه الكتيبة فيلق مشاة مؤلف من فرقتين في البداية ثم أضيفت إليه فرقة أخرى فأصبح مؤلفاً من ثلاث فرق ، فقد دفع هذا الفيلق للتدخل من بين هذه المنطقة الواسعة مجتازاً (منسك) الى (كومل) و (موسير) ، إلا أن الخريطة تظهر أن ثلاث فرق لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لهذه الامتدادات الشاسعة من البلاد ، غير أن هذا الاندفاع الألماني لم يزعج الروس في الحافة الجنوبية لمنطقة الغابة ، لأن المسافة بين الفيلق الألماني المذكور وبين قوات الروس كانت بعيدة جداً ، كما أن نهر (بريت) كان يفصل بين الجانبين .

وصلت الوحدات الأمامية لجحفل جيش الجنوب منطقة غرب (كييف) في منتصف تموز عام (١٩٤١) ، وفي بداية آب اندحر الروس اندحاراً حاسماً في معركة (أومان) وقد بلغت خسائرهم من الأسرى فقط مائة ألف جندي .

وقد تمكن الجيش الحادي عشر الألماني والجيش الروماني في جنوب جحفل جيش رونشتند من الاستيلاء على (بسرابيا) وأحاطت بـ (أوديسا) التي سقطت بيد القطعات الحليفة في منتصف تشرين الأول .

كان العدو لا ينفك يناضل للاحتفاظ ببضعة رؤوس جسور على الضفاف الغربية ، بيد أن (دنيبروتبروفسك) وهو أهمها أمكن احتلاله في نهاية آب .

تلت هذه الأحداث معركة (كييف) الكبرى التي تعاونت فيها أقسام من جحفلي جيشي الجنوب والمركز ، اذ نجحا في تطويق أربعة جيوش روسية ، وقد استمرت هذه المعركة الكبرى حتى نهاية أيلول (سبتمبر) وفيها استطاع جحفل جيش الجنوب أسر أكثر من ستمائة ألف أسير روسي ، وبعد قتال عنيف تم احتلال مدينة (كييف) يوم ١٩ تشرين الثاني .

كان الروس قد زرعوا ألغاماً كثيرة في المدينة ، فاستمرت القنابل الموقوتة في الانفجار زمناً طويلاً بعد سقوط (كييف) بيد الألمان ، وقد تكبدت القوات الألمانية خسائر بالغة من جراء ذلك ...

وما كادت هذه المعركة تبلغ نهايتها حتى واصل رونشتد هجموه على (دنيبر) الاسفل الذي عبرته القطعات من نقاط كثيرة .

وفي معركة أخرى شمال بحر (آزوف) التي نشبت خلال النصف الأول من شهر تشرين الأول ، تم تطويق قوات روسية كبيرة وأسر مائة ألف منها ، وفي ٢٥ تشرين أول أو حوالي هذا التاريخ استولت قطعات رونشتد على مدينة (خاركوف) المهمة واحتلت منطقة (الدونيتز) التي كانت حيوية جداً للمجهود الحربي الروسي ، وإلى الجنوب من هذه المنطقة احتل اللواء فون (مانشتاين) الذي أصبح قائد الجيش الحادي عشر بعد وفاة اللواء (سجوبيرت) بالاشتراك مع القطعات الرومانية مداخل شبه جزيرة (القرم) بالقرب من (برى كوب) واستولى على (سمربول) في بداية تشرين الثاني وكان يقترب من قلعة (سواستبول) المهمة التي كان قد أكمل استحضاراته لتطويقها .

ومع ذلك اضطرت القوات الألمانية إلى إخلاء شبه جزيرة (الكرج) ومدينة (روستوف) بعد قتال عنيف ضد قوات روسية متفوقة تفوقاً ساحقاً قامت بشن هجمات مقابلة .

ولكن ينبغي ألا تفكر في أن الحركات جرت دون حدوث أي مشاكل في منطقة رونشتد ، فقد كان هناك تضارب شديد في الرأي بين هتلر والقادة الكبار لحماقل الجيوش الألمانية الثلاثة على الجبهة الشرقية كلها بين بحر (آزوف) وبحر البلطيق ؛ غير أن هذا الاختلاف ليس غريباً ، لأن الاختلافات لا يمكن اجتنابها في مجال يحتمل وجهات نظر عديدة كالقضايا السوقية ، ومثل هذه الآراء

المتضاربة لا مفرّ منها في جميع الحروب ، لأن القيادة ليست نظاماً حسابياً يخضع لقواعد ثابتة ، ولكنها تخضع - مع الأسف - الى حد كبير لما تمليه الفطرة السليمة .

كان هناك تعاون وثيق بين جحافل الجيوش الثلاثة خلال الحركات الواسعة ، لذلك فان معالجة كل قاطع على حدة يؤدي الى إعطاء صورة خاطئة : مثلاً ، بقي جحفل جيش المركز عاطلاً خلال أهم الأشهر من تموز الى ايلول ، ولم يكن ذلك لصعوبات التموين فحسب ، ولكن لاختلاف الآراء حول تقدمه الى مدى أبعد ، فقد ظهر رأي يجبذ التقدم نحو موسكو بينما ظهر رأي آخر يجبذ نقل مركز الثقل الى رونشتد في الجنوب .

ضاع وقت طويل قبل ابتداء الشتاء ، وخلال تلك الأشهر ، كان على رونشتد ان يحرك بضع فرق في اتجاه الشمال الى الجيش الثاني من جحفل جيشه بعد ان استقر الرأي أخيراً على الهجوم بمركز الثقل على موسكو التي كان الهجوم عليها من واجبات جحفل جيش المركز .

ولم يكن رونشتد يتفق وأوامر القيادة العليا التي كانت تطلب اليه الهجوم على (كريسك) في الشمال و (بولتسافا) في الشمال الشرقي و (روستوف) في الجنوب ، لأن ذلك يؤدي الى تشتيت قطعائه ، إذ تنشط من المركز الى اتجاهات ثلاثة .

لقد أراد هتلر الكثير في التو والساعة ، إذ أراد إحراز انتصارات عسكرية ، وأراد السيطرة على المناطق الصناعية الهامة ، ولا يمكن دائماً الجمع بين هذين المطلبين .

حدث النزاع الاول بين رونشتد وبين هتلر في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤١) ، فقد تعرضت فرق فون (كليست) المدرعة لهجمات روسية مقابلة في منطقة (روستوف) كما ذكرنا آنفاً ، وكان الشتاء الروسي على الابواب ،

فلتفت رونشتد الانظار بصراحتة الممهودة الى خطورة الموقف في (الدونيتز) طالباً اجراء انسحاب اختياري وتقصير الجبهة بالتراجع الى وراء نهر (ميوس) ، ثم قدم تقريراً لهتلر أخبره فيه : بأنه إن كان يرى غير رأيه ، فعليه ان يفتش عن قائد عام آخر !

ان اختلاف الرأي أدى الى استقالة رونشتد .

أصيب رونشتد بنوبة قلبية حين كان يسير في شارع (بولتافا) في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) ، ومنذ ذلك اليوم ابتداء مرضه ، وفي يوم ١٢ كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤١) غادر الجبهة الشرقية عائداً الى حياته المدنية في (كاسل) ، فاختير المشير فون (ريشناو) خلفاً وقتياً له ، وقد وصف اللواء فون (سودنستيرن) الحضيف الماهر المهيب كثيراً الذي كان رئيساً لهيئة ركن جحفل الجنوب وقتذاك الحوادث التي أفضت الى استقالة رونشتد بما يلي : « عارض جحفل جيش الجنوب بكل قواه خلال شهري تشرين الاول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) تقدم دروع (كليست) نحو (روستوف) على (الدون) كما أمر هتلر ، وكالعادة كثر الأخذ والرد في البرقيات ونخبرات هاتفية لا تحصى ، وقد كلمت شخصياً (كايتمل) هاتفياً مرات عديدة انصياعاً لأمر القائد العام ، فوجدته غير مرتاب في قسوة شتاء روسيا ، لكنه كان جاهلاً بالظروف السائدة في الجبهة ، مقتنعاً بقابلية القطعات على إنجاز واجباتها ، وفوق هذا أبان بثقة افكاراً تعبوية وسوقية غريبة !!!

« وكما هو معروف ، فقد جرى التقدم نحو (روستوف) ، ولكن النتيجة كانت وفقاً لما تنبأ به جحفل الجيش بالضبط ، فبعد نجاح اولي عظيم ادى الى احتلال (روستوف) ، نقل الروس قوات قوية وزجوا بها في هجوم مقابل ضد الجناح الشمالي المكشوف لهذا التقدم الذي لا غاية له ، وبذلك عرضوا الالمان الذين اقتحموا (روستوف) لخطر قطع خط الرجعة والانعزال .

« في هذا الوقت بدأ النزاع بين رونشتد وهيئة ركنه من جهة وبين مقر هتلر من جهة ثانية حول الوقت المناسب لانسحاب هذه الوحدات التي زج بها الى الامام على غير هدى وبصيرة ... ثم تتالت التقارير والاتصالات البرقية والهاتفية دون جدوى .

« وفي احدى ايامي تشرين الثاني (نوفمبر) الأخيرة ، سطر رونشتد بخط يده جملة في التقرير اليومي المحتوي على مقترحات اخرى ملحة بسحب قطعات (روستوف) ، تفيد بما يلي : أرجو ملتصاً ان أستبدل بقائد آخر يتمتع بالثقة الضرورية من القيادة العليا ، والواقع ان المشير فون (كليست) قائد الدروع أفصح عن موافقته حينذاك على انسحاب هذه القوات الى ما وراء جبهة (ميوس) .

« وعندما قلت لرونشتد وانا قلق أن هتلر قد يوافق على هذا الالتباس لوجود هذا الجو المتوتر ، أصرّ المشير على التمسك بقراره بوجوب بقاء الفقرة التي أدرجها في التقرير .

« وفي الساعة الواحدة صباحاً جاءت الموافقة بإعفائه من قيادته وإناطة قيادة جحفل جيشه مؤقتاً بالمشير فون (رشناو) ، ولكن (رشناو) أفاد هاتفياً ظهر اليوم التالي بأنه لا مقترحات لديه يقدمها حول الاستمرار في الحركات غير ما قدم سلفه ، ثم استلم الموافقة على انسحاب قطعات (روستوف) الى جبهة (ميوس) .

« وبعد بضعة ايام ، وأعتقد أن ذلك كان يوم ٣/ كانون الاول (ديسمبر) طار هتلر الى مقر (كليست) في تاكان روك) ، وفي طريق عودته اضطره الجو الرديء الى الهبوط ، فأمضى ليلته في (بولتافا) حيث كان مقر جحفل الجيش .. وفي الساعة الخامسة او الخامسة والنصف مساءً شرحت الموقف لهتلر فانتهزت الفرصة لوصف الحوادث التي قتابعت خلال الأسابيع المنصرمة بصراحة تامة ،

وخلال إفاضتي في الحديث تطرقت الى مخبراتي الهاتفية المختلفة مع (كابتل) تلك التي أجريتها تنفيذاً لأوامر القائد العام ، كما تطرقت ايضاً الى التماس ملحف أرسلته برقية الى (جودل) .

« بهت المستمعون جميعاً بما فيهم (رشناو) ورئيس شعبة الحركات للجحفل الجيش و (شمندل) و (أنكل) وآخرون من بطانة هتلر ، فرد هتلر بالكلمات التالية : « ثقت ايها القائد اني غضبان وآسف إذ لم أحط علماً بالحوادث التي ذكرتها من أي احد كان » . فكان جوابي على ذلك : اني واثق تماماً يا زعمي بأنك لم تسمع اي شيء عن ذلك ... ثم استطرد هتلر : أين المشير فون رونشتد ؟ وكان هذا ينتظر في غرفة اخرى وفقاً للوصايا . وفي تلك الغرفة عاد الوثام من بعد الخصام ، وقد وصف لي رونشتد هذا المشهد بعد انتهائه مباشرة : إذ برأ هتلر نفسه متعللاً بعدم الالمام بالحقائق ، ورجا المشير بأن يعتني بصحته لكي يستردها بعد إجازة مرضية ولكي يضع خدماته الممتازة تحت تصرفه (تصرف هتلر) مرة اخرى ، ... »

وفي يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) أقل رونشتد بين الحسرات قطار خاص يصعبه حرس شرف ، بينما كانت الأجواق الموسيقية تعزف ، كما حضر لتوديعه جميع الضباط الذين كانوا في (بولتافا) .

لقد كان رونشتد مصيباً في تقديره للوقوف بالقرب من (روستوف) ، وفي سنتي (١٩٤١ - ١٩٤٢) كانت جبهة (ميوس) التي اقترحها إحدى القواطع القليلة التي صمدت للهجمات الروسية .

وكثيراً ما تحدث رونشتد عن حوادث هذه الفترة ، وفيما يلي إحداها بكلماته الخاصة :

« لقد فعلنا بعد احتلال الأوكرين كل ما في وسعنا لإعادة الكنائس الى الأهلين ، وكانت هذه الكنائس قبل ذلك في أكثر الأنحاء قد أزال عنها

الشيوعيون قدسيتها فأصبحت متاحف للفنون لا معابد لله ، وسرعان ما اخرج
الأهلون إيقوناتهم وزخارف الكنائس التي كانوا قد أخفوها عن أعين الروس
وأعادوا العبادة اليها . ولقد اعتدت وقتئذ أن احضر كنيسة (بولتافا) الصغيرة
التي اقام سنة (١٧٠٩) بطرس الأكبر صلاة شكر فيها لانتصاره على (جارلس)
السابع عاقل السويد .

« ولقد اعتدت دائماً في الشرق على التجول (اعزل كما هو شأني في الجبهة
الغربية) ولم يكن ليرافقني غير ضابط الحفر الرئيس فون (سلفياتي) ، فلم
يزعجني أحد ... كما هفت قلوب سكان الأوكرين نحونا معاشر العسكريين .

« كادت منطقتي تكون خلواً من الحزبيين الذين ينسبون الى حزب النازي
حينذاك ، وقد نظر السكان الينا نظرتهم الى محرمهم ... وفي ذات مرة عندما
كنت أسير في شوارع (أومان) انحنيت أمامي فجأة امرأة ترتدي اسماً وقبعت
معطفي ، وقد اجابتني عن تساؤلي الداهل : عما تريده ؟ : ان لها فتاة بلغت
الخامسة عشرة من العمر احببت ضابطاً المانيك حباً جعلها تترك والدتها وتذهب
معه ، وان وحدة ضابط الصف هذا في مكان قصي شرقاً ا لقد التمتني تلك
الوالدة أن اعيد اليها ابنتها ، ولم يكن مطلبها يسيراً في منطقة واسعة تضم عدداً
كبيراً من الجيوش ، كما أن هذه المرأة لم تكن تعرف الوحدة المقصودة ، ولكنني
طلبت إجراء تحقيقات فورية في جميع الجيوش ، والواقع ان الانضباط
العسكري^(١) التابعين للقيادة تمكنوا من العثور عليها فأعادوها سالمة الى والدتها .

« كانت هذه الام امرأة متعلمة تعليماً جامعياً حاملة لقب دكتور ، وعندما
استقلت في كانون الأول (ديسمبر) وغادرت (أومان) احضرت لي تلك الفتاة

(١) الانضباط : هم الشرطة العسكرية ، وكلمة : الانضباط العسكري اصطلاح يطلق على
صنف الشرطة العسكرية (M. P) في العراق .

(العرب)

طاقات من الورد الى المحطة ، كما أن والدتها أهدت اليّ غطاء مائدة اوكراني طرزته بنفسها .

كان في اوكرانيا صعوبات عظيمة تعرقل التنقل ، فقد كانت الطرق الروسية باستثناء عدد قليل منها رديئة جداً ، وفي اوكرانيا كانت الأرض السوداء الخصبة ذات تربة رخوة عميقة ، تغدو في موسم الأمطار مواحل بعيدة الغور ، وكانت العجلات ترقطم عميقاً في الوحل ، وحتى العجلات المرفقة ^(١) لم يكن في استطاعتها شق طريقها إلا بعد جهد واستهلاك زائد للوقود .

وفي صيف سنة (١٩٤١) دعا هتلر موسليني لزيارة الجبهة الشرقية معاً ، وقد فلتش رئيس الدولة الايطالية القاطع المركزي (لبريست لتوفيسك) ، ومن ثم اتجه جنوباً نحو رونشتد ؛ وهنا أراد هتلر وموسليني بطبيعة الحال زيارة الفيلق الايطالي الذي كان يقاتل ضمن جحفل جيش الجنوب ، لذلك سافر الدكتاتوران مع بطانتيهما وبصحبتهما رونشتد الى الجبهة . ولقد هطل حينذاك مطر غزير لم يسد مطول طويلاً احوال الطرق التي كان عليهم اجتيازها الى مستنقعات ، فلم تتمكن السيارات أن تقطع غير عشرين ميلاً خلال ثماني ساعات ، إذ كانت السيارات تقطس في الاوحال التي كانت تبلغ الركب بصورة تزداد سوءاً كلما استمروا في التقدم .

لقد توقفت الفرق الايطالية حسب الأصول عن الفرق الالمانية ، اذ كان تقدمها بطيئاً جداً وفي فترات طويلة .

اجتاز موسليني وهتلر ورونشتد هذه القطعات ، وحصل الرئيسان على فكرة جلية عن حقيقة الجبهة الشرقية ، وأدركا أن اصدار الأوامر الخلابنة من

(١) العجلات المسرفة : هي الدبابات التي حول عجلاتها سلسلة حديدية . وهذه السلسلة الحديدية يطلق عليها في العراق : سرفة .

الخرائط على بعد شاسع في الخلف لاجراء تقدم سريع أسهل بكثير من تنفيذها في الجبهة في خضم من الاوحال والامواه .

تأثر هتلر تأثراً عميقاً كما تأثر موسليني بذلك ، فقال هتلر لموسليني : وهنا نشاهد مستنقعات بلادك في منطقة (بونتين) « ...

لهذا السبب ولأن هتلر كان دائماً يعارض في أي شكل من اشكال الانسحاب ، فقد اقتنع بأنه لا يجوز أبداً التفكير في مثل مقترحات رونشتد الانقلابية ، ولكن كان من المستحيل الاستيلاء نهائياً على بلاد مترامية الأطراف كروسيا خلال شهور قليلة دون الاكتراث بالمسافات وبمصاعب المواصلات وبالشتاء الخ .

وعندما تعذر قهر هذه البلاد الشاسعة في سنة (١٩٤١) ، لم يبق هناك مسلك غير الانسحاب الى مواضع جيدة قوية لاستئناف الحركات من جديد في سنة (١٩٤٢) والبحث بالوسائل السياسية عن مخرج من هذه المحنة .

كانت المساحات الشاسعة والمسافات المترامية والمواصلات الرديئة والشتاء القارس افضل حلفاء روسيا .

ومن المهم الا يغيب عن البال بأن الجيش الالماني عام (١٩٤١) كان لا يزال مؤلفاً من فرق مشاة محضة بصورة رئيسية ، اي فرق من الطراز القديم ، تلك الفرق التي كان على رجالها التنقل مشياً على الأقدام ، وكانت الفرق الآلية تؤلف جزءاً صغيراً من المجموع العام ، غير ان قطع هذه المسافة مشياً على الأقدام من (بريست لتوفيسك) الى موسكو مصحوباً بالقتال يوماً بعد يوم يجعل الوصول امراً متعذراً .

لقد ادرك حلفاء المحور لاسيما الايطاليون والهنكاريون هذا الموقف بصورة جلية ، ووضحوه لحكوماتهم في روما وبودابست ، وكان التفاهم مع رومانيا ايسر من التفاهم مع الحلفاء الآخرين ، لأنهم يعرفون مشاكل الطرق في الشرق

بقرب الشبه بينها وبين طرقهم خاصة وان انطونيسكو نفسه كان رئيساً للدولة الرومانية .

ويمكن اثبات مدى تفاهة إدراك هتلر وبعض الدوائر الصناعية للموقف العسكري ، من إلحاق هتلر بالوحدات المقاتلة الألمانية سنة (١٩٤١) ما دعي : بـ (الوية الزيت) وهي مفارز فنية خاصة غرضها استثمار اول منطقة للنفط ، وهكذا كان حسابهم بأن الجيش قد ينجح في الفترة بين ٢٢/حزيران وبداية الشتاء في الوصول الى (باكو) في قفقاسيا الشرقية !!.

لقد كان ذلك مطلباً صعباً ...

وبقي رونشتد في (كاسل) حتى رجاء هتلر ان يعود الى استلام القيادة في الجبهة الغربية .



— العود إلى الغرب —

أعاد هتلر تعيين رونشتد قائداً عاماً في الغرب ، فبقي في منصبه هذا من آذار (مارت) عام (١٩٤٢) حتى إحالته على التقاعد ثانية في مستهل شهر تموز عام (١٩٤٤) .

لقد كانت هذه الفترة عصبية على رونشتد ، لأن الحرب وصلت الى مرحلتها الصعبة المعقدة .

ولكي نتفهم دور رونشتد قائداً عاماً في الغرب بعد إقالته من قيادته في روسيا تفهماً تاماً ، ينبغي ان أشير الى المذكرة الإضافية التي وضعها الفريق (زمرمان) الذي كان رئيس هيئة ركن الحركات للقائد العام في الغرب عند استدعاه رونشتد الى منصبه الجديد .

لقد صنف الفريق (زمرمان) لرجال الجيش المتهنين تاريخاً للقيادة الغربية في سفر ضخيم يحتوي (٢٣٠٠) صفحة خلال سني (١٩٤٥ — ١٩٤٨) بطلب من الشعبة الامريكية للتأريخ وبمساعدة عدد من المعارنين .

كان الفريق (زمرمان) ضابط ركن بارزاً يمتاز بالحرص والعمل المثمر ، وكان قد أحيل على التقاعد في سنة (١٩١٨) بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ومنذ ذلك الوقت استطاع بكفاحه الشخصي وتحت ظروف شاقة ان ينشئ

دار النشر العسكرية الشهرية المسماة (اوفين ورت) وجعلها ذات سمعة متميزة حتى سنة (١٩٣٩) .

وفي سنة (١٩٣٩) استدعي الى الخدمة ثانية عند اعلان النفير ، فأصبح رئيس ركن الحركات ، وبقي في منصبه هذا من سنة (١٩٤٠) الى مايس (١٩٤٥) ، اشغل خلالها منصب رئيس ركن الحركات للجيش الأول بقيادة فون (ويتزلبن) ، ثم رئيساً لركن الحركات للقائد العام في الغرب .

لقد كان معروفاً منذ أمد طويل في مقر القيادة الغربية العامة ، ان القائد العام سيجري تغييره قريباً ؛ اذ لم يكن المشير فون (ويتزلبن) قوي الجسم لاعتلال صحته .

وسادت فكرة في الدوائر العليا ، هي ان تدابير السلم في الغرب ينبغي ان تتطور الى تدابير حربية ، فالفترة الطويلة التي تلت الهدنة يوم ٢٥ حزيران (١٩٤٠) حتى بداية (١٩٤٢) ، افضت بطبيعة الحال الى طراز من الحياة يختلف عما هو عليه في الجبهة الشرقية .

ولا شك في وجود حالة الحرب لازدياد فعالية القوة الجوية البريطانية والمفاور (الكوماندو) البريطانيين ، ولكن على العموم كانت الحالة سماً حقيقياً . وبدأت المقاومة الفرنسية بالانتشار هنا وهناك ، غير انها كانت بدائية ا

أما في روسيا فقد تعذر الحصول على نصر سريع كما املنا ، وبالعكس ابتداءً القادة العسكريون والسياسيون يشعرون بخطورة الحالة في الشرق وبأن الروس لم يهنوا وهنا خطيراً في الرجال او المواد .

ولقد كانت الآمال في الحصول على نصر سريع وسلم مبكر في الشرق خطأً فظيماً ، اذ ازدادت قوة روسيا العسكرية وتضاعفت ارادتها على القتال ، ومع هذا فقد طلبوا انجاز عملية اخضاع الروس في سنة (١٩٤٢) .

وكان المفروض ان ينجز هذا الطلب بتعرضات جديدة تقوم بها القوات الالمانية في الجبهة الشرقية جنوباً باتجاه (الدون) والقفقاس ، ولكن هل ستبقى انكلترا متفرجة تنتظر سحق الروس ، أم ستقوم بالانزال في الغرب والهجوم باعتبارها حليفة للروس ؟ وهل كانت الجبهة الغربية مهيأة للدفاع ضد الانزال والهجوم .

لا بد ان هذه الافكار دفعت هتلر ومستشاريه الى تعيين رونشتد الكفؤ المعروف بقبلياته الفائقة قائداً عاماً للغرب ، كما عين هتلر اللواء (زيتلر) رئيساً لهيئة أركان القائد العام في الغرب وهو ضابط معروف بأبداعه واندفاعه .

وفي آذار (١٩٤٢) وصل رونشتد الى باريس ، فأطلعته رئيس هيئة ركنه على الموقف العام ، فلاحظ ارتباكاً في شبكة القيادة ، مما يؤدي الى ضياع المسؤولية لذلك تحتم على هيئة الركن ان ترتب نفسها لتنسجم مع شخصية القائد العام الجديد .

قلما كان رونشتد يتلقى تقارير رؤساء الشعب الكبيرة مباشرة ، اذ كانت له طريقته الخاصة في العمل ؛ فهو يفضل العمل منفرداً يشاركه رئيس هيئة ركنه ، وكان هادئاً للغاية ، وكان يسطر جميع القرارات بإيجاز شديد ، ولم يكن يميل الى المناقشات الطويلة ، وكان يحب ان يترك حرية تامة لرئيس هيئة ركنه ولضباط الركن الآخرين في تبليغ الأوامر التي يصدرها ؛ وكان يريد التمسك المطلق بأفكاره العامة دون ان يزعج نفسه بالتفاصيل .

لقد كان رونشتد ينتمي الى مدرسة (مولتكه - شليفن) القديمة لهيئة الركن ، هذه المدرسة التي تمنح هيئات الركن استقلالاً وحرية تامين في العمل .

ولما وجد رونشتد في الغرب هيئة ركن جديدة غير معروفة ، كانت من البديهي ان يجري تبدلات كبيرة فيها . وصل رئيس هيئة الركن الجديد من

الشرق ، اذ كان حتى ذلك الوقت رئيساً لهيئة ركن جيش فون (كليست) المدرع وهو في غاية الحيوية والاندفاع . وحالما وصل المشير رونشتد الى الغرب في آذار عام (١٩٤٢) ، كشف النقاب بنفسه عن انطباعاته الاولى التي يمكن اعتبارها اساساً لدراسته للموقف كما وجدته حينذاك ، وسألخص النقاط الهامة للموقف :

١ - كان القتال مريراً في الشرق وسط الثلوج والجليد ، وغالباً ما تكون درجة الحرارة تحت الصفر بما يتراوح بين (٣٥-٤١) درجة مئوية ضد عدو ضار غير هيباب ، يضاف الى ذلك الشقاء من اللحن المكرر الناجم عن سعة روسيا اللانهائية وما يتركه من اثر نفسي في الجندي الاعتيادي .

اما الغرب فيسوده الهدوء ويفغره السلم والمرح في كل ناحية من نواحي الحياة ، وفيه أماكن سكنى ممتازة للقطعات وهيئات الركن الذين يتمتعون بمسرات شتى واجازات كثيرة .

والآن شاركت امريكا في الحرب حليفة لروسيا وبريطانيا ، ومن المنتظر ان تؤثر قوتها قريباً .

٢ - كان على الفرق الالمانية في الغرب ان تكون على أهبة الاستعداد للحركة الى الجبهة الشرقية ، اذ كانت الحاجة ماسة هناك دوماً الى قطعات جديدة ، ولكن كيف يتسنى لهذه القطعات ان تعود نفسها وهي في الغرب على قسوة الحياة في الشرق .

أصدر رونشتد عدداً من الاوامر الثابتة الجديدة ، أراد بها تبديل الحالة الراهنة للقطعات ، وقد اكد بصراحة بأنه لا يلوم القطعات وهيئات الركن على نعومة الحياة في الغرب ، اذ ليس في الامكان جعلها قاسية بطرق غير طبيعية ، وهل في المقدور نقل شتاء روسيا الى ربوع باريس و (نيس) عنوة ؟

كانت المشاهد الخلابه تحيط بالقطعات من كل جانب في الغرب ، ولم يكن في الاستطاعة تبديلها .

٣ - من المهم ان نذكر بعض آراء رونشتد عن سياسة المانيا تجاه فرنسا بكلماته الخاصة : « لو ان المارشال الرشيد (بيتان) لم يعمل على ايقاف الحرب عام (١٩٤٠) لحرم هتلر فرنسا من استقلالها وجعلها محمية ، فقد بقيت حكومة فرنسية على الاقل .

« لقد كان رأي منذ البدء وأبداً ، ان ما سمي : (اوروبا الجديدة) لن يكون عملياً بدون حكومة فرنسية مستقلة ، لذلك حاولتُ دائماً بكل امكانياتي ان اساعد المارشال (بيتان) الذي اكنّ له خالص التقدير ، كما حاولت حمل هتلر والآخرين على ان يصرحوا في النهاية تصريحاً مفاده : ان فرنسا ستحتل بعد ان تضع الحرب اوزارها المركز الذي يليق بها ؛ ولكن محاولتي هذه ذهبت ادراج الرياح .

« فضلاً عن ذلك حاولت دائماً معاونة هذا المارشال المعجوز في مجالات اخرى ، فقد حاولت مثلاً في اثناء الحرب ، ان يشرع في بناء قوة فرنسية جديدة ، وكان بعض ما دفعني الى ذلك عاطفتي نحو فرنسا ، ولكنني اردت ايضاً ان تقوم هذه القوة بمنع العصابات من الانبثاق في فرنسا ، تلك العصابات التي قد تكون عائقاً خطيراً لقطعاتي في حالة نشوب الحرب في النهاية ؛ ثم ان قيام هذه العصابات بالقتال يؤدي الى الحاق الضرر بالسكان الفرنسيين انفسهم ايضاً .

« اني اعترف بأن محاولاتي هذه منيت لسوء الحظ بالفشل لأسباب مختلفة خارجة عن طائفتي ، ..

وينبغي الاشارة هنا الى ان عدداً ضخماً من التقارير والبرقيات

والمقترحات والعروض لصالح فرنسا 'قدّمت الى هتلر ، وكل هذه الوثائق في حوزة الحلفاء اليوم صودرت بعد انهيار المانيا .

لقد كان ميل رونشتد الخاص نحو فرنسا منبثقاً عن شعوره اللاإرادي الصادر عن دمه الهكونوتي ، وسنرى ما فكر رونشتد بعمله وما استطاع إنجازه فعلاً على الرغم من انه جندي لا علاقة له بالسياسة .

٤ - كان موقف البحرية الالمانية في الغرب سنة (١٩٤٢) كما يلي :

اذا تكلنا بصراحة ، فان عمل الجيش حينذاك كان مجرد مراقبة السواحل وحراسة مواضع البحرية المحصنة . ان كل شيء يحدث في البحر يعتبر حرباً بحرية ، فلا عمل للجيش الا اذا انزل العدو قطعاته في الساحل ، لذلك كانت اغلب البطريات الساحلية بما فيها تلك التي تعود للجيش ولكنها تحت سيطرة الأسطول في مواضع مغلوبة ؛ اذ كانت مكشوفة تماماً ومعبأة بشكل يشابه وضع المدافع في ابراج البواخر دون ان يكون لها تأثير مباشر على الساحل ، كما لم تكن قادرة على الرمي الا باتجاه البحر فحسب ؛ وليس في امكان هذه البطريات ان تؤمن ستر الساحل نفسه او الجبهة الامامية القريبة بالنار ، وقد سبق لرونشتد ان اقترح مرات تعديل هذه المواضع ، غير ان هتلر أبى ان يفعل شيئاً .

اصبح هتلر قائداً عاماً للقوات الالمانية الموحدة بعد تسريح القائد العام (براوشتش) في اواخر عام (١٩٤١) ، وبذلك اصبح قائداً للجيش وللبحرية والقوة الجوية ، لذلك فكثيراً ما اصدر قرارات ضد نفسه عند تقديم بعض الخدمات التماساً ما ، بيد ان البحرية والقوة الجوية كانتا لا تزالان لهما قائداهما العامين ، ولان هذين كانا قريبين من هتلر دائماً تقريباً ، فان تأثيرهما على هتلر بطبيعة الحال كان اكثر من تأثير الجيش المحروم من قائد عام .

لقد كان رأي رونشتد ان اقتراب سفن العدو من الساحل لغرض الانزال ، يجعل الحرب برية لا بحرية ، وكان يقارن ذلك بالحرب في الجبهة الشرقية قائلاً : انها لا تختلف في شيء عن الدبابات الروسية عندما تتدحرج على السهول متجهة الى مواضعنا مباشرة ، ولكن رغم ان هتلر لم يصدر قراراً جازماً كما ذكرنا حول البت في هذه المشكلة ، فان التعاون - فيما عدا ذلك - كان وثيقاً بين الجيش والقوتين البحرية والجوية .

وتردد في الاذهان السؤال الحيوي عن الغزو في الوقت الحاضر يحد واهتمام بالغين ، وكان لرونشتد جوابه الخاص عن هذا السؤال :

يمكن ان يجري الغزو في اي مكان ، ولكن اكبر الظن انه سيجري في ساحل القنال . صحيح ان الانزال هنا يؤدي الى لقاء العدو في امنع مواضعنا ، ولكن بعد نجاح الانزال سيكون الطريق اقصر للعدو واسرع ، ويؤدي بدون اعاقا الى الراين الأسفل ومنطقة الرور التي هي الهدف الواضح للحلفاء .

ولم يكن للامان في سنة (١٩٤٢) قوات كبيرة في البلجيك او على طوار الجدار الغربي او في الراين وطبعاً كان هناك السين والنورماندي ، على الرغم من ان البحرية تعتقد ان الانزال في هاتين المنطقتين غير ملائم ، لضرورة اجرائه خلال المد العالي . ان هدف هذا الانزال هو باريس ، والذي يسيطر على باريس يسيطر على فرنسا كلها ؛ كما يمكنه منها الاستمرار في التقدم في الجناح الايمن من (تير) عبر (آخن) من كلا الجانبين باتجاه منطقة (الرور) الى المانيا الشمالية ، وفي هذه الحالة يمكن إزالة اية حامية المانية ساحلية لا تزال صامدة في القنال بسهولة من الخلف ، كما يمكن بهذه الطريقة القضاء على قواعد (اسلحة النصر) التي كانت في طريق الانشاء .

لقد آمن هتلر بالقيمة الحاسمة للتحصينات الدائمة المشيدة من الحديد

والسمنت ، وقد اوحى اليه هذا الاعتقاد بكل الاساليب التي طبقها في الغرب ،
فارتاح كثيراً بإنشاء الجدار الغربي على الحدود الألمانية .

وبدأ القلق يساور هتلر عن الغرب في سنة (١٩٤٢) بعد ان تعذر التغلب
على الروس ، ولذلك أكب بفعالية متزايدة على انشاء : (جدار الأطلسي)
الذي صمم على اساس تأليفه من الدفاعات الساحلية القوية نسبياً في هونددا من
جزيرة (تسل) الى (انتويرب) ومن تحصينات تمتد من (اوستند) مرة
خلال (كالية) و (بولون) و (ديب) و (الهافر) ، وقد تقرر اعطاء أهمية
خاصة الى قاطع (اوستندوكالية - ابيفيل) ، فهنا كان القتال أضيّق ما يكون
وانكلترا في أقرب محل ؛ فكان هذا القاطع في رأي هتلر أكثر خطراً من ناحية
الانزال من القواطع الأخرى .

صدرت الأوامر بالبدا بإنشاء التحصينات في سنة (١٩٤٢) غير ان انجازاتها
كانت بطيئة الى أن حل الخريف ، فعقد مؤتمر في برلين اشترك فيه ضباط ركن
وضباط هندسة ومهندسون من منظمة (تود) ، وكانت هذه المنظمة مؤلفة من
مدنيين فنيين نظمهم المهندس (تود) مؤسسة لانجاز التجهيزات الكبرى ، وكان
لأفرادها بزاتهم الخاصة شأنها في ذلك شأن سائر المؤسسات المدنية .

ولم يكن هتلر يثق كثيراً بصنف هندسة الجيش ، فكان يعتقد ان مهندسي
الجيش يشتغلون ببطء عظيم وبدقة أكثر من اللازم ، لهذا السبب كلّف منظمة
(تود) ببناء جدار الأطلسي .

لقد سمح بلا شك للقائد العام وللجيوش المرابطة على الساحل ، ان تعين
مواضع خطوط التحصينات من الناحية التعبوية ، ولكن ليس لها ان تقول
شيئاً عن عملية الانشاءات من الناحية الفنية .

وبالطبع كان للبحرية في الدرجة الاولى وللجوية في الدرجة الثانية آراء

مختلفة اخرى ، وكثيراً ما حاق بوحداث الجيش المراقبة على الساحل عاقبة هذا الاختلاف ، وسأحدث فيما بعد بشيء من الاسهاب عن جدار الاطلسي عندما سأطرق بالبحث الى عامي (١٩٤٣ و ١٩٤٤) .

يتعذر فهم اعمال رونشتد في الغرب عام (١٩٤٢) ، ما لم نخط علماً بالأسس التي بنى عليها اعماله . كان في الغرب عدد من القيادات يعمل كل منها منفرداً لعدم وجود وصايا خاصة من هتلر لديها ، وكان منها ما يلي :

- أ - القائد العام في الغرب (فون رونشتد) .
- ب - القائد العام للأسطول الجوي الثالث (سيرل) .
- ج - القائد العام لجحفل البحرية الغربي (كرانكل) .
- د - القائد العسكري في فرنسا (فون ستول بناكل) .
- هـ - القائد العسكري في بلجيكا وشمال فرنسا (فون فولكنهاوسن) .

وبالإضافة الى ذلك ، كان هناك سلطة منظمة (تود) المدنية ، والسفارة الألمانية في باريس ، والحكومة الفرنسية في (فيشي) ؛ وكان مجموع ذلك يؤلف خليطاً كبيراً من كل ما يمكن من انواع السلطات ؛ ولتنسيق اعمال جميع المقرات لغرض الدفاع ، أصدر هتلر في ربيع (١٩٤٢) عندما وصل الى رونشتد وصايا الفوهرر الرقم (٤٠) ، لبيان الصلاحيات الرسمية ، ولكن لم يتحقق الغرض المنشود من هذه الوصايا الشاملة ؛ فما هو السبب ؟

- أ - ليس من عادة الدكتاتوريات ، ان تمنح صلاحيات واسعة جداً لرجل واحد ؛ فالمبدأ الأساسي لديها هو : (فرّق تسد) ، لذلك صيغت تلك الوصايا بطريقة أبعدت اي فرد في الغرب عن السلطة الكاملة ، وكانت العلاقات بين القادة قد حددت بفقرات وجمل صيغت معقدة

متداخلة ، فأصبحت مهمة القيادة العليا صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة .

ب - أصبح هتلر عام (١٩٤٢) قائداً عاماً للجيش ، وكان (كورنك) قائداً عاماً للقوة الجوية و (ريدر) قائداً عاماً للبحرية ثم خلفه (دونتس) ، وكان هؤلاء القادة دائماً في تماس شديد مع هتلر ، لهذا كان في استطاعتهم التعبير عن سياساتهم ومطالبهم بدرجة أشد تأثيراً من الجيش ، لأن هتلر نفسه كان قائداً عاماً للجيش !

نصت الوصايا الدفاعية الرقم (٤٠) للفوهرر على ما يلي :

١ - ان رونشتد القائد العام في الغرب هو صاحب السلطة التعبوية والسوقية العليا فقط ؛ واجبه : الدفاع ضد غزو السواحل ، وليس من صلاحيته إصدار الأوامر للبحرية والقوة الجوية إلا ضمن هذا النطاق الضيق . لهذا لم يكن في مركز يشبه مركز ايزنهاور ، ولكنه كان الأول بين زملائه القادة في الغرب المساوين له في سلطاتهم .

٢ - كان القائد العام للأسطول الجوي الثالث (سبيرل) مستقلاً استقلالاً مطلقاً وبمنزلة تعادل منزلة رونشتد ، فليس عليه ان ينفذ سوى الأوامر السوقية للدفاع عن الساحل ، اما الحرب الجوية ضد بريطانيا والاستطلاع البعيد فوق الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت مسائل خاصة بالقوة الجوية ، ولم يكن رونشتد ليستطيع ان يصدر اوامر بشأنها للقوة الجوية .

٣ - كانت العلاقات مع جحفل البحرية الغربي مشابهة للعلاقات مع القوة الجوية تماماً ، واكثر من ذلك كان قائدها العام معتبراً في منزلة مساوية لمنزلة قائد الجيش وقائد القوة الجوية ، ولم يكن من صلاحية القائد العام في الغرب إصدار اوامر اليه باستثناء الأوامر التي تتعلق بالدفاع عن السواحل ، وقد كانت البحرية

لا الجيش هي التي تصدر الأوامر في الموانئ ، وكان القادة البحريون مختلف شعب الموانئ بأمره الجيش عندما تدعو الحاجة الى الدفاع عن السواحل فحسب . كذلك كان للبحرية بطريقتها الساحلية الخاصة وكانت قضايا رميها الفني وترتيبات احتلال مواضعها على غرار اساليب المدفعية البحرية التي تختلف عن اساليب مدفعية الجيش . كانت البحرية ترى ان المدافع الساحلية معرضة لقصف مدافع بوارج العدو ، وان المدافع الساحلية يجب ان تقصف هي ايضاً البوارج المعادية قصفاً مباشراً ولكن البطريات الساحلية كانت بدون حماية على الساحل فيسهل اسكاتها سريعاً من الجو ومن البحر ، فطلبت حمايتها بتحصينات قوية من السمنت والحديد ، فكان نتيجة ذلك انشاء مواضع ضخمة في رأس (كريس - ينز) صمت لمجابهة أشد انواع القصف .

ولكن الجيش كانت له طريقة أخرى تلائم الحرب في البر ، وذلك بغش البطريات وعدم وضع المدافع على خط واحد قريبة من بعضها ، بل ترتيبها بقدمات وبفاصلات عميقة تناسب الارض ، وكانوا يستخدمون تعبئة النار المركبة ، وكانت بطريات الجيش موضوعة بشكل تستطيع معه عند نزول العدو من ستر السواحل وجبهة البحر الأمامية التي هي أمامها على مدى قصير ، ولم يكن ذلك ممكناً او انه ممكن الى درجة محدودة بالنسبة الى بطريات البحرية الثقيلة ، اذ ليس بإمكان هذه البطريات إلا الرمي على مديات متوسطة وطويلة ، كل ذلك ادى كما هو واضح الى اختلافات في الآراء بين الجيش والبحرية

طلبت البحرية أن تسيطر على بطريات الساحل المنسوبة الى الجيش ، ولكن الجيش اراد ان يحتفظ بها ؛ وقد طلب من هتلر ان يصدر قراراً للبت في ذلك فلم يفعل شيئاً ، فكانت النتيجة وجود ثلاثة انواع من المدفعية على الساحل : بطريات البحرية الساحلية في مواضع من الحديد والسمنت ، وبطريات الجيش التي هي بأمره البحرية وكان قسم منها في مواضع من السمنت اما اكثرها فكان

في مواضع ميدان ، وأخيراً بطريات الجيش التي بقيت بإمرة الجيش وهي التي لم يتيسر لها بطبيعة الحال سوى القليل من الحديد والسمنت .

كانت نقاط إسناد (الغواصات) بحاجة الى تحصينات قوية من السمنت بسمك يتجاوز العشرة والخمس عشرة وحق الثلاثين قدماً ، وكان ينبغي احاطة جميع مواضع البحرية والقوة الجوية المعرضة للعطب بكتل من التحصينات ، لذلك كاد ألا يبقى اي نوع من المواد لتقوية مواضع المشاة .

٤ - كان لكل من القائدين العسكريين في باريس وبروكسل مركز فريد ، فقد كانا حاكمين عسكريين ، اي انها سلطتان محليتان ، وقد احتوت واجباتهما الشؤون الادارية للمنطقة المحتلة والعلاقات مع الحكومة الفرنسية او مع السلطات الفرنسية والبلجيكية حسب اختصاص كل منهما ، ولقد كانا وحدهما المسؤولين عن الامن الداخلي وتدابير الشرطة وكافة الشؤون السياسية ؛ كما انهما لم يكونا مرؤوسين للقائد العام في الغرب بل انهما يخضعان مباشرة الى مقر الجيش الالماني اي لهتلر ، وفي نفس الوقت كانا يستلمان الاوامر من مدير الميرة للجيش ومن وكلاء هتلر ، وكثيراً ما كانا يستلمان اوامر مباشرة من هتلر من اجل خدمات الشرطة التي تعمل بإمرتهم ، تلك الاوامر التي لا يعلم عنها القائد العام اي شيء في كثير من الاحيان .

لذلك فان رونشتد لم يكن يستطيع اصدار الاوامر الى هذين القائدين عدا ما له علاقة بالدفاع السوقي عن السواحل ضد الغزاة .

لقد كان للقائدين العسكريين تشكيلاتها الخاصة ايضاً وهي التي تتألف من مري المناطق ووكلاء آرمي المناطق ومن شرطتهم الخاصة ومن قطعات الامن الخاصة بها ، هذه التشكيلات التي كانت خارجة عن سلطة القائد العام في الغرب .

٥ - كان الساحل الهولندي يخضع لقيادة رونشتد ايضاً ، اذ كان مسؤولاً عنه سوقياً ، وفي هذه الحالة طُبق نظام يختلف عما سبق ؛ فلم يكن في هولندا قائد عسكري كما في فرنسا وبلجيكا ، ولكن هناك وكيل للرايخ الذي يتلقى الأوامر رأساً من هتلر، وكان فيها ايضاً قائد للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة (اللواء الطيار كرستيان سن) وهو الذي كانت بإمرته جميع القطعات المربطة في هولندا من الجيش والبحرية والقوة الجوية ؛ ولقد كان هذا القائد مسؤولاً للمقر العام للجيش الالماني ، أما للقيادة الغربية فكان مسؤولاً لها فيما يتعلق بالدفاعات الساحلية فقط .

٦ - كما كانت السفارة الالمانية ومنظمة (تود) المسؤولة عن انشاء تحصينات الساحل ، وكثير من السلطات الاخرى مرتبطة بسلطات الرايخ العليا دون ان ترتبط برونشتد .

٧ - وكان فيلق الصاعقة المدرع يتلقى الاوامر من القائد العام في الغرب فيما يتعلق بالاستخدام التعبوي فقط، أما في المجالات الاخرى فكان مستقلاً استقلالاً مشابهاً لاستقلال القطعات الآنفه الذكر .

٨ - وكان من أسوأ مظاهر هذا التوزيع الغريب للسلطات ، ان القيادة العامة الغربية وهي السلطة المسؤولة الوحيدة عن دفاعات الساحل ، لم تكن تملك السلطة القانونية ، وكان ملحقاً بهيئة الركن ، ولكنه كان بدون محكمة ؛ أما سلطة القضاء في الجيش ، فكانت تنحصر في الفرق والفيالق ، وكانت الجيوش ذات صلاحية محكمة عليا بالنسبة لفرقها وفيالقها ؛ فكان جحفل الجيش والقيادة الغربية العامة بغير صلاحية حكم . وكان القادة العامون في جحفل الجيش والقيادة العامة الغربية مجردين من صفة القضاء ؛ وهكذا عندما تحدث ضرورة لاتخاذ اجراءات انضباطية في وحدة مرؤوسة من الجيش ، فان القيادة الغربية لا يكون لها دخل في الموضوع ، لأن المسألة حينذاك تكون من اختصاص القادة

العامين للجيش فحسب .

كذلك لم يكن لرونشتد اي نفوذ على البحرية والقوة الجوية وقطعات الصاعقة وقوات الامن التابعة للقادة العسكريين او للقائد العام للجيش الالماني في هولندا ؛ لأن جميع هذه الوحدات والتشكيلات المنسوبة للجيش الالماني لها صلاحياتها القضائية الخاصة بها .

وفيما يلي مثال غريب لذلك : لو أن الضرورة تطلبت اتخاذ اجراءات انضباطية في هيئة ركن رونشتد نفسه ، لكان ذلك من اختصاص محكمة خارجة عن صلاحيته ، ولربما تطلب الامر احوالها الى أحد القادة العسكريين ؛ لهذا لم يكن بوسع رونشتد ان يمارس السلطة الانضباطية حتى على هيئة ركنه الخاصة ، فلم يكن رونشتد وهيئة ركنه باعتبارهم قيادة غربية عامة غير قيادة عليا سوقية عسكرية محضة ، وحتى هذا لم يكن ليتعدى نطاق الدفاع عن الساحل ا

لا بد وأن يذهل الشخص الاعتيادي عندما يطالع على تنظيم محيّر مريبك كهذا !!

لم تحظ وصايا هتلر الرقم (٤٠) بالرضا من اي احد ، كما ادرك الجميع قصورها ، الا أن جهود جميع القادة كانت منصرفة الى منع خطر الغزو ، فعملوا بدأ واحدة لهذا الغرض على الرغم من حدوث بعض التنافر بينهم في بعض الأحيان ؛ وكانوا جميعاً يشعرون بفضل رونشتد الذي عمل على اجتناب التنافر والتصادم بين القادة المرؤوسين ، ولعل أي قائد آخر لم يكن في وسعه النجاح في ظروف شاذة كهذه ، وسيتضح مدى الصعوبة والازعاج الكبيرين في القيادة العامة السوقية الغربية حينذاك .

كانت الأعصاب مكدودة باستمرار ومتوترة ، يضاف الى ذلك وجود سلطات كثيرة من نوع واحد ، ووجود سلطات اخرى تتلقى اوامرها من

الرايخ مباشرة ، وكثيراً ما تجاهلت سلطة معينة حتى الصلاحيات المحدودة لرونشتد واتصلت مباشرة بمرجعها الأعلى في الرايخ ، ولربما كان هذا المرجع حينذاك يندفع لعرض ظلامته على هتلر الذي كان غالباً لا يصدر قراراً ولكنه يحكم بينهما كما تحكم (بينيا) راهبة أبولو .

يشمل قساطع رونشتد الدفاعي خط الساحل التالي : جزيرة تيسل (شمال هلدبر) فلوشنك - أوستند - كاليه - بولون - ديبب - الهافر - شاربورغ - سنت لو - بريست - لورنيت - لاروشيل - الحدود الاسبانية ؛ وعندما وصل رونشتد الى الغرب سنة (١٩٤٢) لم يكن البحر الأبيض المتوسط قد ادخل في خط الدفاع الالماني ، ولكنه كان ضمن منطقة الحكومة الفرنسية في (فيشي) .

وكان خط الدفاع عن بحر الشمال وحوض (دوفر) والأطلسي مقسماً عام (١٩٤٢) كما يلي :

أ - يدافع القائد العام للجيش الالماني في هولندا بقطعات الجيش والبحرية والقوة الجوية عن ساحل هولندا من جزيرة تيسل (داخل) حتى قرب (فلوشنك) . وفي شمال المانيا كانت الدفاعات الالمانية للاسطول في (ولهلمسهافن) على مقربة من ساحل بحر الشمال .

ب - الى الغرب من ذلك ، كان الجيش الخامس عشر اول ما نصادفه من حوالي (زيبروك) ممتداً نحو الجنوب الى (الهافر) ، لذلك فان هذا الجيش كان يدافع عن مصب (السين) . كان الجيش الخامس عشر أقوى الجيوش نسبياً ، لأن الغزو كان متوقفاً على الأغلب بين (أوستند) و (الهافر) .

ج - كان الجيش السابع يتصل بالجيش الخامس عشر من حوالي منطقة (كان) الى مصب اللوار (داخل) ، ولذلك كانت تقع في منطقته شبها الجزيرتين الهامتين : (كوتنتن) و (بريتاني) .

— كان الجيش الاول الضعيف يتصل بالجيش السابع في الجنوب من حوالي (لاروش) الى الحدود الاسبانية .

كانت قواطع هذه الجيوش الأربعة بأمر رونشتد ، ولكن قائد الجيش الألماني في هولندا لم يكن يخضع لأوامر رونشتد عدا ما يختص منها بالدفاع عن الساحل .

وكان مقر الاسطول الجوي الثالث في قصر (لوكسمبرغ) في باريس ، وكانت تشكيلاته موزعة على فرنسا المحتلة وبلجيكا وهولندا .

وكان مقر جحفل البحرية في باريس ايضاً ، وكانت قواته الضعيفة من المدمرات وكاسحات الألغام والزوارق البخارية مبعثرة في مختلف الموانئ ، وقد أنيط به بصورة خاصة امر العناية بـ (الفواصات) المرابطة والمائدة من واجباتها والتي كانت تستقر في ملاجئ هائلة من السمنت في (لوريانت) و (سنت نازير) وفي الموانئ الأخرى .

لقد بقي الغرب هادئاً حتى ذلك الوقت ، اما الشرق فكان يجري فيه قتال مرير ، وكانت فرق الجيش تتألف بصورة عامة من تشكيلات مزقتها الحرب في الشرق فنقلت الى الغرب لتعيد تماسكها وتنظيمها ، ومن وحدات ضعيفة أخرى ؛ وكانت الفرق تغدو الى الغرب وتروح الى الشرق في تبديل مستمر — لا سيما الفرق المدرعة . كل هذه التبديلات جعلت امر بناء الدفاعات الساحلية وإنشاء التحصينات أكثر صعوبة ، اذ يجري التبديل كل اسبوعين تقريباً ، وكان يقتضي بناء قواطع فرعية جديدة دون ان يتيسر نظام لخطية دائمة للدفاعات ، كما لم يكن بالامكان تغيير هذا الوضع خلال سنة (١٩٤٢) ، اذ كان الغرب معتبراً حينذاك ساحة ثانوية من ساحات الحرب ، وكان الشرق محتاجاً الى كافة القوات بل الى زهرتها .

قد يملّ القارئ اليوم من سرد الحوادث يوماً فيوماً كما حدثت خلال هذه الفترة ، لذلك سأكتفي باختيار بضع تجارب بارزة من حوادث هذا العام .

احداها على سبيل المثال الغارة على (دييب) التي كثيراً ما نوقشت وُبحثت . لقد كانت هذه الغارة مباغتة تامة ، في ليلة ١٨/١٩ آب ، غادرت قافلة المانية بحرية (الهافر) وأبحرت على طوارئ الساحل ثم عرجت على الشمال الشرقي ؛ وحوالي الساعة الخامسة صباحاً وصلت هذه القافلة الى محاذاة (دييب) . ارتفعت أسوات قصف شديد من البحر في الغرب من (دييب) ، فأندرت هذه الاصوات المدافعين عن الساحل ، فتهيأوا للعمل ، وكانت السفن الحربية البريطانية القادمة من الغرب قد اشتبكت بالقافلة الالمانية ، إذ هاجم البريطانيون سفن هذه القافلة بصورة مباغتة تماماً ، ففرقت سفنها ؛ ولكن أغلبها وصل الى الميناء في ساحل فرنسا الغربي سالماً . لقد كان من حسن حظ الالمان أن كانت سفنهم غرب (دييب) في الوقت المناسب تماماً ، وهذا مما أضرت بجهود العدو ونبتة الدفاعات الالمانية .

وصل التقرير الاول عن الغارة من الجيش الخامس عشر الى مقر رونشتد بعد حوالي الساعة ، وكان مضمونه ما يأتي : يحاول العدو الانزال بالقرب من (دييب) ، وقد نجح العدو بالانزال استناداً الى التقارير التي وصلتنا حتى الآن .

أصدر الفريق (زمرمان) الانذار حالاً عن ذلك لكافة القطعات ، كما أخبر رئيس هيئة الركن اللواء (زيتزلر) رونشتد بذلك ، فوزعت الأوامر بسرعة ، ورفعت التقارير الى مقر الجيش الالمانى ، كما ارسلت المعلومات الى الاسطول الجوي الثالث والى جحفل البحرية الغربي بالاضافة الى إخبار القائدين العسكريين في باريس وبروكسل ؛ وأندرت الجيوش المجاورة ايضاً لأن رونشتد لم يكن يعلم فيما اذا كان سيتلو هذا الانزال انزال في أماكن اخرى .

نزل البريطانيون على جبهة تتراوح بين العشرة والاثني عشر ميلاً ، فوجدوا هناك فرقة المشاة (٣٠٢) الألمانية التي قاتلت ببسالة ، ولكن هذه الفرقة لم تكن مجهزة بالأسلحة الحديثة ، لأنها كانت فرقة ساحلية ليست ذات كفاءة ممتازة .

وشرع الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي بالاستطلاع فوراً ، لمعرفة مقدار قوة العدو وفيما اذا كانت هناك تحركات معادية اخرى قادمة من انكلترا الجنوبية .

كان رونشتد يعارض دائماً الدفاع المستكن غير السيار ، فأصدر أوامره فوراً لانذار كافة الاحتياطات المتيسرة لغرض القيام بهجوم مقابل لقذف العدو ثانية الى البحر فوراً ، وكانت الفرقة المدرعة المباشرة على قدم الاستعداد بالقرب من (اميانس) وفرقة الصاعقة المدرعة الاولى في منطقة (روان) وبالإضافة الى هذه القوات الكبيرة قذف الجيش احتياطاته المحلية .

كانت الفرقة المدرعة في موضع مناسب جداً فزجت في القتال ، وبقيت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى بالقرب من (روان) متهيئة للاندفاع .

قصفت القوة الجوية الألمانية بواخر العدو ، كما جمع الاسطول كل وسائله المتيسرة وزجّ بها في المعركة .

وفي الساعة التاسعة صباحاً أصبح واضحاً بأن الهجوم الرئيسي يستهدف (ديب) نفسها ، بينما لوحظ هجوم ثانوي نحو الجنوب الغربي .

قدّر رونشتد الموقف صباح يوم ١٩/آب بأن العدو قام بهجوم واسع النطاق ، ولكنه ليس انزلاً كبيراً ، وكان من الامور المتسازة بالنسبة لنا هو عدم قيام القوة الجوية البريطانية بهجوم مركز .

وفي خلال النهار أصبح الموقف اكثر وضوحاً ، فقد توقف الهجوم البريطاني في البر ودمر عدد من دباباته وهي لا تزال في البحر ، كما وصلت احتياطاتنا امام (ديب) .

كانت خسائر العدو فادحة ، وقد أمكن تمييز القطعات الكندية بصورة رئيسية . لقد تعذر الزج بـ (الغواصات) في المعركة ، لأن عمق الماء لم يكن كافياً لها ؛ وقد أمكن أسر عدد كبير من البريطانيين ، وقبيل العصر قام الالمان بهجوم مقابل من ثلاثة اتجاهات على العدو الذي كان لا يزال صامداً ، بينما استمر الأسطول الجوي الثالث بمشغلة اسطول الانزال .

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ، اقتربت طلائع وحدات الفرقة المدرعة العاشرة التي كانت في (اميانس) من (ديب) ، ولكن لم يبق لمداخلة وحدات هذه الفرقة لزوم ، لأن الكنديين - ويظهر أنهم كانوا حوالي فرقة قد سبق ازاحتهم من البر وأصبح الساحل بكامله بيد الالمان ثانية . وقد استمرت فرقة المشاة الالمانية (٣٠٢) الباسلة الرديئة التجهيز على القتال ، وكان الأسطول الجوي الثالث - يسندها بصورة ممتازة .

كانت خسائر الالمان معتدلة ، ولكن قضي على بطرية ساحلية المانية ، وقد أبيد منتسبوها بكاملهم تقريباً ، وكانوا يتألفون من ثمانين جندياً .

وقاتل الكنديون بضراوة ، غير أن الانزال سرعان ما انكشف ، فضاعت المباغتة ، واتخذت لمهايته كافة التدابير .

بلغت الخسائر الالمانية حوالي ثلاثمائة جندي ، أما العدو فبلغت خسائره سبعمائة قتيل في البر وحوالي ثلاثة آلاف أسير وثلاثين دبابة .

اهتم رونشيد بالدرجة الاولى بالقطعات التي امتازت على غيرها لصد هذا الانزال ، فكوفئت بالأوسمة وبالمعاملة الخاصة .

واهتم بالدرجة الثانية بالسكان الفرنسيين في منطقة القتال ؛ إذ لم يقتصروا على المعاملة الحسنة والاخلاص للقطعات الالمانية فحسب، بل ساهموا في العناية بالجرحي .

لقد قدم رونشتد شكره الخاص لهؤلاء السكان اعترافاً بأعمالهم ؛ بل لعله فعل ما لم يكن ليفعله القادة الآخرون في الحرب ، إذ اقترح على هتلر والحّ عليه أن يطلق سراح الأسرى الفرنسيين الذين أسرم الالمان في الحرب والذين يتنون بصلة الغربي الى اولئك السكان . إن أي جندي في الميدان لا يتصرف تصرفاً يتسم بالفروسية أكثر مما فعله فون رونشتد .

وسرعان ما تحولت التجارب في (دييب) الى دروس ونتائج مفيدة طبقت في الجبهة الغربية بكاملها ، وكان رونشتد متأكداً كل التأكد بأن عمليات (دييب) ليست إلا بممارسة ، وأن الحظ السعيد قد لعب دوراً هاماً في نجاح الالمان فيها .

وفي نهاية ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٢) سرح هتلر رئيس أركان الجيش الفريق المحرب (هلدر) ، واختار اللواء (زيتزلر) رئيس هيئة ركن رونشتد خلفاً له ، فعينت خلفاً الى (زيتزلر) في القيادة الغربية ووصلت مقر رونشتد في سانت جرمان قادماً من الجبهة الشرقية في الأيام الأخيرة من ايلول عام (١٩٤٢) ، واستلمت من اللواء (زيتزلر) مهام منصبه ، فغادرنا الى الجبهة الشرقية بعد ذلك بأيام قليلة .

لقد سبق لي أن اشغلت منصب رئيس هيئة ركن حركات مقر رونشتد في الحرب البولندية عام (١٩٣٩) وفي الحملة الغربية سنة (١٩٤٠) ، وكنا نتفق في كثير من ميولنا جنوداً وبشراً .

لقد تعذر تحقيق الأهداف الالمانية في الشرق بالوصول الى القفقاس

وستالين غراد ، وكان الجيش الالماني السادس قد اشتبك في قتال ضيف بالقرب من ستالين غراد يزداد ضراوة يوماً بعد يوم ، كما صرف النظر عن الهجوم الأصلي الذي كان يستهدف (لينين غراد) ، لأن الحاجة الملحة استنفدت الفرق المخصصة لهذا الغرض لاستخدامها في مناطق أخرى من الجبهة .

حقاً لقد حصلنا على انتصارات رائعة في الشرق سنة (١٩٤٢) ، ولكن هذه الانتصارات لم تكن حاسمة ، وعلى العكس من ذلك ازدادت فعالية الروس وازداد الشعور في نفوس الجنود الالمان بأنهم قد بلغوا غاية جهودهم إن لم يكونوا قد اجتازوا . المرحلة .

وفي شمال افريقيا اندفع رومل منتصراً حتى الحدود المصرية ، ولكنه غلب على أمره من بعد لنقص في التموين والقوة الجوية والدروع والعتاد والوقود ، بينما كان وراء البريطانيين مصادر هائلة لا تنضب من تلك المواد .

وقد حدث تبدل ملحوظ في الموقف نتيجة للتعرض المقابل الكبير الذي قام به اللواء مونتكميري ، فكان رومل على الرغم من قيادته الممتازة ومقاومة قطعائه الباسلة ينسحب غرباً امام مطاردة الحلفاء من قاطع الى قاطع .

اسس في تونس خلال الخريف سنة (١٩٤٢) بعد هجوم انكلو امريكي على شمالي افريقيا رأس جسر بالقرب من الدار البيضاء لحماية الطريق البحري من صقلية ، وفي بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) احتل الاميرال (دارلان) الذي كان قد فر من المشير بيتان شمال افريقيا بمؤازرة القطعات البريطانية والاميركية والفرنسية ، وهكذا ضاع شمال افريقيا فعلاً بالنسبة لحكومة فيشي .

ان بين الناس اليوم من يرى ان موقف المانيا بعد الهدنة الفرنسية في يوم

٢٥ حزيران (١٩٤٠) كان غير مفهوم ، وهؤلاء يتساءلون : لماذا لم تحتل ألمانيا فرنسا بكاملها ، مدة الحرب لغرض حماية سلامة ألمانيا نفسها ؟ ان هؤلاء الناس انفسهم قد دهمشوا لموافقة هتلر على بقاء جيش صغير لحكومة فيشي بالاضافة الى وجود قوات فرنسية من الجيش والطيران في شمال افريقيا ، يضاف الى ذلك ان جزءاً لا يستهان به من الاسطول الفرنسي كان في (طولون) .

ينبغي ان ندرك بأن هتلر كان واثقاً حينذاك من بقاء (فيشي) موالية له طيلة الحرب ، ولكن بعد أن قام (دارلان) بعمله ضد ألمانيا ، استبان للقيادة الألمانية العليا الخطر الذي احدثق بها في البحر الابيض المتوسط ؛ فرومل يتراجع من تونس ، بينما كانت القطعات الأمريكية والبريطانية وقطعات (دارلان) الفرنسية في شمال افريقيا والاسطول الفرنسي في (طولون) بالاضافة الى وجود جيش فرنسي في منطقة حكومة فرنسا في (فيشي) .

كانت حكومة (فيشي) حينذاك مسيطرة على (البرانيس) والقسم الفرنسي من البحر الابيض المتوسط ، فماذا سينجم فيما لو نزل الفرنسيون الفارون الموجودون في شمال افريقيا مع قطع الانزال الأمريكية والبريطانية على ساحل البحر الابيض المتوسط ؟ هل سيقبض جيش حكومة بيتان موالياً ام سينضم الى قوات دارلان ؟

من كل هذا يستشف وجهة النظر الألمانية استشفافاً كاملاً ، ويفسر لماذا امر هتلر بالتعجيل في احتلال فرنسا حالاً ولا سيما منطقة البحر الابيض المتوسط ا وهكذا تم الآن ما سبق للمراقبين الاجانب اعتباره ضرورياً في سنة (١٩٤٠) ..

لم تلتحق تدابير هتلر هذه اي ضرر بمركز الحكومة الفرنسية في جنوب

فرنسا ، فقد امر باحتلال هذه المنطقة سريعاً حتى البرانيس والبحر الابيض المتوسط والتي اصبحت نظراً للموقف الراهن وبصورة مفاجئة مهمة للغاية .

لقد امر هتلر بالاستعداد لتقدم سريع نحو فرنسا الجنوبية ، على ان يكمل هذا الاستعداد عند حلول شهر آب وذلك لمجابهة الموقف العسكري المتوتر ، ولم تكن هناك قطعات كثيرة متيسرة لهذا الواجب ، اذ ان الفرق الممتازة كانت تعمل في سواحل فرنسا وبلجيكا وهولندا ، ولم يبق لانجاز هذه الحركة غير فرق المستجدين من قوات الدفاع عن المانيا والتي كانت موجودة في فرنسا وبعض تشكيلات قطعات الامن التابعة لقائد باريس العسكري التي تتألف من جنود طاعنين في السن مسلحين بأسلحة خفيفة رديئة بدون مدفعية .

وألقي على عاتق جحفل البحرية الغربية واجب تدريب مفارز خاصة لاستخدامها بعد احتلال ساحل البحر الابيض المتوسط في الاستيلاء على الاسطول الفرنسي المرابط في (طولون) بأقل اصطدام ممكن ، وكان على الاسطول الجوي الثالث أن يتهيأ لاحتلال المطارات الكائنة في جنوب فرنسا بعد ابتداء التقدم .

كان قلق رونشتد الرئيس منحصراً في التفكير بالقطعات التي يمكن استخدامها للدفاع عن الساحل الطويل من الحدود بالقرب من (فندرس) الى الحدود الايطالية بالقرب من (منتون) ، وذلك بعد الاستيلاء على جنوبي فرنسا ، وقد امكن في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) اخماد الثورة التي اشتعلت في الجزائر ضد حكومة فيشي بسهولة ، كما امر هتلر في الشهر نفسه باحتلال فرنسا احتلالاً عسكرياً .

تحركت القطعات الالمانية الضعيفة غير الكفؤة ، وكان هدف رونشتد السوقي الواضح هو الاحتلال السريع للنقاط الهامة ، وهي الموانئ الكائنة

على البحر الابيض المتوسط .

يقع طريق التقدم الى فرنسا الجنوبية من الشمال على طوار وادي الرون ومن الغرب على طوار نهر الكارون ، لذلك فان خطي التقدم الرئيسيين كانا ظاهرين للعيان لا يخفيان على احد .

لقد جرى التقدم كما يلي :

أ - تحركت قطعات من الجيش الاول من (بوردو) مخترقة (طولوز) الى (ناربون) .

ب - تحرك جحفل (فيلبو) مخترقاً (ليون) الى مارسيليا وطولون ، تعاونه مفارز اخرى اتجهت نحو فيشي ، ولأجل الوصول الى الساحل على اسلوب حرب الصاعقة ، استفادت القطعات من القطارات الموقوتة ، فتعركت وحدات امامية صغيرة بهذه القطارات الى الساحل ، وقد علق المشير رونشتد اهمية قصوى على الدخول الى فرنسا دون حادث ووزعت اوامر خاصة تحت القطعات على التمسك بالسلوك الحسن تجاه الاهلين والسلطات الفرنسية ، وأمر رونشتد بما يلي : « اجتنب ما يخل بالنظام ويؤدي الى الازعاج مها كلفك الامر » ، كما امر القطعات الالمانية بأداء تحية الصداقة لكافة افراد الجيش الفرنسي الصغير الذي كان لا يزال موجوداً .

وبالاضافة الى ذلك ألقيت نشرات بوساطة القوة الجوية ، كما علقت لافتات لتوضيح سبب التقدم للاهلين .

أخبرت حكومة فيشي رسمياً بأمر التقدم ؛ وقبل بضع ساعات من الشروع في التقدم ، طلب رونشتد سيارته وتقدم امام قطعاته باعتباره قائدهم العام ، وقام بزيارة بيتان في فيشي زيارة رسمية ؛ وكانت هذه الزيارة بأبداعه الذاتي لا بأمر من المراجع العليا ، وقد فعل ذلك لا تلطفاً منه نحو

مارشال فرنسا ، بل ليكون وجوده في فيشي قبل دخول القطعات الالمانية عاملاً مؤثراً يزيل اي احتمال للتصادم بالقطعات الفرنسية قبل ان يفرط الأمر .

وتمّ التقدم فعلاً دون اصطدام ، ولكن كانت هناك لحظات 'مرّة هابرة لبعض الضباط الفرنسيين امكن التغلب عليها بالحسنى من كلا الجانبين .

لقد قدر كافة الالمان ذوو السلطة هذا الاتجاه الصحيح للجندي البارز اللواء (دي لتردي تاسكن) وقد وصلت القطعات الالمانية مرسيليا بعد اربع وعشرين ساعة من اجتيازها الحدود شمال ليون ، اذ لحقت بالقطارات السريعة حسب جدول التوقيت لحطة التقدم .

نتج عن احتلال جنوب فرنسا توسع عظيم لمنطقة القائد العام للغرب ، كما نتج عنه مسؤوليات اضافية اخرى ، فكان ينبغي تنظيم ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي بكامله سريعاً وإعداده للدفاع ، ولكن لم يكن هناك سوى قلاع كبيرة قديمة ومرافئ بحرية ، وكان الساحل نفسه غير محمي . ان المهمة الشاقة كانت في تزويد هذه الجبهة البحرية الجديدة الواسعة بالقطعات اللازمة ، ولم يكن ليتيسر حينذاك غير قوات قليلة ؛ فهل سيسمح الحلفاء لرونشتد بالتهيو ؟

كان ينبغي اخذ حقوق سيادة فرنسا في الجنوب بعين الاعتبار ، وفي نفس الوقت الاهتمام بأمر حماية الساحل وجبهة البرانيس ، ولا يمكن التوفيق بين هذين المطلبين الا بالتعاون الوثيق مع حكومة فيشي وحكام الأقاليم فيها . ولما كان التعاون السياسي من واجب الحاكم العسكري في باريس وليس من واجب رونسشتد ، فقد أوجد حاكم باريس العسكري منظمة لانجاز المطالبات العسكرية الالمانية من جهة والاحتفاظ بهيبة مقام حكومة فيشي من جهة ثانية .

ان هذه التدابير كانت مضطربة أشد الاضطراب !...

ويمكن ان نتصور مدى ازدياد مشاكل رونشتد الناجمة عن توسع واجباته في جنوبي فرنسا ، ومع ذلك لم تكن هذه المشاكل كل شيء ، إذ لم تظهر تعقيدات أخرى هناك .

وكانت فرنسا الجنوبية شرقي الرون من الوجهة السياسية ضمن نفوذ الايطاليين ، لذلك لم يكن للقطعات الالمانية علاقة ما بهذه المنطقة ، ولكن برز السؤال التالي الآن : من يحتل منطقة مارسيليا - طولون - منتون ؟ وبعد مداولات طويلة بين برلين وبين روما ، اتفق السياسيون على وضع الجيش الايطالي الرابع في هذا القاطع من الساحل ، وكان هذا الجيش الآن قد عُيِّن بين (منتون) و (اسبيزيا) ، فكان عليه الآن ان يمتد غرباً الى طولون ، وقد تقرر وضع هذا الجزء من الجيش الرابع الايطالي الذي سيحتل الساحل الفرنسي من (طولون) الى (منتون) بأمره رونشتد من الناحية التعبوية فقط .

كان النصف الشرقي من المنطقة المحصور بين (منتون) و (اسبيزيا) بأمره القيادة الايطالية العليا ، لذلك يمكن تصور مدى المشاكل التي لا بد وان حدثت في هذه المنطقة وحدها ، وكان الفريق (فرسليينو) قائداً عاماً للجيش الايطالي الرابع ، وكان رجلاً فعالاً وقائداً كفؤاً ، اما رئيس هيئة ركته فكان اللواء الألماني (تراوبر تشي) .

لقد عبثت حوالي اربع او خمس فرق ايطالية مع عدد من البطريات الساحلية على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي .

وبعد تغيير كثير للحدود الفاصلة ، جرى احتلال الساحل الجنوبي على وجه التقريب كما يلي :

أ - جحفل جيش اللواء (فيلبر) مع خليط مختلف من القطعات في

القاطع الممتد من الحدود الاسبانية بالقرب من (فندرس) الى (مارسيليا)
(داخل) تتراوح قوة هذا الجحفل من اربع الى خمس فرق ضعيفة .

ب - القسم الغربي من الجيش الايطالي في القاطع الممتد من (طولون) الى
(منتون) ، وقد وصلت الى مقر رونشتد هيئة ارتباط ايطالية قوية برئاسة
اللواء (مارازاني) وهو ضابط ايطالي كفؤ من صنف الخيالة ، وكان قد سبق
له قيادة الفرقة الايطالية الممتازة (ساليري) في الجبهة الشرقية عام (١٩٤١ -
١٩٤٢) وكان معروفاً لدى رونشتد ؛ وكان من ضمن أعضاء هيئة الارتباط
العقيد (رافيولي) وهو ضابط جيد شغول ، والمقدم (سكتوريني) الذي
يمتاز بالمرح الدائم ، وكانت هيئة الارتباط هذه مؤلفة من حوالي ثمانية ضباط
برفقتهم عدد لا يستهان به من الاشخاص المرؤوسين ؛ وقد انضمت هذه الهيئة
الى مقر القيادة الغربية بصفتها جزءاً منها ، وكانت العلاقات الشخصية معها
علاقات صداقة وثيقة .

تلقى الجيش الرابع الايطالي أوامره من رونشتد في القضايا التعبوية الخاصة
بالدفاع عن الساحل ، وكان هذا الجيش يستلم أيضاً أوامر أخرى من مرجعه
في روما ، وكانت معالجة المشاكل التي لا بد من نشوئها تجري بصورة مرضية
من رونشتد ذلك الرجل الذي امتاز بموهبة فذة مؤثرة في إدارة افراد الأمم
الأخرى .

كتب اللواء (تراپوتشي) رئيس هيئة ركن الجيش الايطالي الرابع في
رسالة مؤرخة في ١٠/كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٢) ومعنونة الى
رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ما يلي : « عزيزي الجنرال . وصف قائدي
المفرم بالسجع عند عودته من باريس القيادة الغربية بقوله : « انها ضمت
عنصري القيادة المثالية : عنصر الخلق الكريم وعنصر الذكاء العظيم » ، وقد
قصد بذلك بطبيعة الحال رونشتد وهيئة ركنه » .

وعند احتلال ساحل البحر الأبيض المتوسط في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) تشكل نطاق خارجي حول القاعدة البحرية في (طولون) ؛ وقد تم هذا دون أخذ شعور البحرية الفرنسية بنظر الاعتبار ، إذ لا يليق بالأميرال الفرنسي ان يتلقى الأوامر من الالمان في مرفأ بحريته الخاص ؛ لذلك ضمت الوحدات الفرنسية التي كانت في طولون الى الدفاعات الساحلية الالمانية الإيطالية .

وقد قدم المارشال بيتان بعد هذا هدية لرونشتد معمولة بصورة فنية من غطاء برنزي لفوهة مدفع من اضخم مدافع البارجة البحرية المسماة (اللزاس).

أوشكت سنة (١٩٤٢) أن تنتهي ، وكانت منطقة قيادة المشير قد اتسعت ، إذ امتدت الجبهة الساحلية الألمانية الهولندية على طوار بحر الشمال والقنال والأطلسي حتى الحدود في البرانيس ، واخيراً الروابي الكائنة على البحر الأبيض المتوسط ، وبالإضافة الى ذلك دفاعات الألب من (منتون) نحو الشمال وعبر (مونت سنيس) حتى الحدود السويسرية ؛ وكان احتمال قيام الحلفاء بالغزو يزداد دوماً ، وبدأ بوضوح الخطر الذي يتعرض له المدافع في خطوط ثابتة مستكنة .

وعلى الرغم من بعض التجارب المرة التي نتجت عن تصرف بعض أقسام الجيش الفرنسي ، فإن الفكرة السائدة كانت السماح لحكومة فيشي بجيش جديد حتى في وقت الحرب .

كان رونشتد جندياً حقاً لا تغيب عنه الدوافع الإنسانية لقرار القطعات الفرنسية من حكومة بيتان ، وكان يدرك تماماً وجود الشعور الوطني العالي في الشعب الفرنسي ، فلم يفاجأ بانحياز القطعات الفرنسية الى الحلفاء ، كما سبق له أن تنبأ بان المقاومة الفرنسية ستنبعث يوماً ما من شمالي افريقيا .

لقد أمل رونشتد معاونة قيمة من القطعات الفرنسية التي تشغل دفاعات السواحل ، غير انه كان يرغب فوق ذلك في إرضاء المارشال بيتان ومساندة حكومة فيشي ، وبعد مناقشات تمهيدية طويلة مسع مقر الجيش الألماني التي أبدت ارتياها العظيم يجدوى معاونة الفرنسيين ، وافقت تلك القيادة على بدء الاستحضارات للتعاون الألماني - الفرنسي ؛ فالتحق العقيد (بون) وبصحبه عضوان من هيئة الهدنة في باريس بالقيادة العامة الغربية ، كما استشيرت حكومة فيشي والقائد الخيال (بريدو) نيابة عن المارشال بيتان من الجانب الفرنسي لهذا الغرض .

كانت المسألة تدور حول تشكيل بضع فرق تتألف من حوالي مائة ألف جندي فرنسي ، ولأجل أن يتم ذلك أدخلت القوة الجوية الألمانية مراكز التدريب الصغيرة في جنوبي فرنسا ، غير أن تسليح هذه القوة كان صعباً نوعاً ما ، لأن الجيش الفرنسي على العموم كان مجهزاً بأسلحة قديمة يرجع تاريخ بعضها الى الحرب العالمية الأولى ... لقد بذل رونشتد كل ما في وسعه لتجهيز هذا الجيش الجديد بأسلحة ألمانية أفضل من تلك التي بحوزته ا

استمرت هذه المداولات بضعة أسابيع خلال شتاء (١٩٤٢ - ١٩٤٣) في باريس ، ولكن كل شيء انهار من بعد ذلك ، وقد نجم عن خيبة أمل هتلر الجديدة في شمالي إفريقيا ازدياد رييته في تشكيل جيش فرنسي جديد زمن الحرب ؛ فأصدر امراً عاجلاً لالغاء كل الاعمال التمهيدية التي جرت لهذا الغرض ، فأسف رونشتد الذي كان قد أخبر بيتان بوجهة نظره لهذا القرار كثيراً ... وعزم هتلر على تسريح ما تبقى من قوات الدفاع الفرنسية وتحريرها من السلاح ، لأنه ارتاب في إخلاص هذه القطعات ، لهذا لم يجر في أي رقت من الأوقات إرغام حكومة فيشي على الدفاع عن الساحل جنبا الى جنب مع الألمان .

_____ المخاوف من الغزو

كانت ملحمة (ستالين غراد) تعكس ظلالها في النفوس ، وكان الجيش الألماني السادس قد وقع في الفخ بفضل اوامر هتلر السقيمة ، وكانت هذه المأساة هي الحادثة الاولى التي احدثت تأثيراً مؤلماً في دائرة واسعة من الألمان ، فقد أصبح واضحاً بأن الحرب في الشرق بدأت الآن فقط ، وكان الموقف في افريقيا لا يزال عصيباً .

دعنا نلقي نظرة على خارطة اوروبا : كانت الجبهة الألمانية بصورة عامة كما يلي : الساحل الغربي للنرويج - الدانمارك - ساحل البحر الشمالي الألماني - هولندا - بلجيكا - سواحل فرنسا حتى الحدود الاسبانية بالقرب من (ابرون) والى اقصى من ذلك شرقاً ، وكانت حدود جبال البرانس تحرس ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي - دفاعات الساحل الايطالي - ساحة الحرب في شمالي افريقية - سواحل الادرياتيك - اليونان - البحر الأسود ، ومن ثم الجبهة الشرقية تجاه الاتحاد السوفياتي وتمتد من غرب القفقاس الى (لنين غراد) ، أضف الى ذلك الفنلنديين في جبهتهم من (لنين غراد) حتى بحر الشمال وليس من الضروري أن تكون جندياً ممتحناً لتدرك استحالة الاحتفاظ بهذه الجبهة التي تحتضن ثلثي أوروبا .

وكانت هناك مناطق شاسعة من الجبهة الغربية واوروبا الجنوبية بدون

قطعات كافية للدفاع عنها ، بل كان فيها مفارز لحراستها ليس غير . لقد حدث في الحرب العالمية الثانية كما حدث في الحرب العالمية الاولى ، ان توسعت جبهات المانيا تدريجياً وازدادت من جبهتين الى اربع جبهات ، حتى يمكن مقارنة المانيا بقلمة احيطت من جميع جوانبها ؛ يضاف الى ذلك ان نواقص التجهيزات والموارد الخام أصبحت ظاهرة للعيان ، بينما كانت موارد العالم الهائلة تحت تصرف الحلفاء .

وفي هذا الوقت ازدادت غارات الحلفاء الجوية باستمرار ، بينما نقصت قابلية القوة الجوية الالمانية .

كانت المانيا قد استنفدت غاية جهودها سياسياً وسوقياً عام (١٩٤٣) ، ثم اخذت أمورها بالتدني بطيئاً في بادىء الامر وسريعاً من بعد ذلك ، ولم تكن منطقة القيادة الغربية الواسعة في أوروبا غير جزء من المجموع العام . ومن سنة (١٩٤٣) فصاعداً بدأ الحلفاء الغربيون يقومون بأعمال الخداع والتضليل بفعاليات متزايدة ، فأين سيجري الغزو ؟ يحتمل ان يتم في هولندا او بين (كالية) و (هافر) ، ولا فرق بين هذين الحلين من وجهة صلاحيتها للانزال ، وكانت شبه جزيرة (نورماندى) وشبه جزيرة (بريتاني) الممتدتان بعيداً داخل البحر صالحتين ، فالبحر يحيطهما من الجانبين بصورة ممتازة .

ولم يكن رونشتد وقتذاك قد فكر في الموانئ الاصطناعية ، وقد افترض هو ورئيس هيئة ركنه بأن الغزو قد يحدث على قطاع مفتوح من الساحل ، ولكن في النهاية يجب ان يكون هناك ميناء جيد ، وكانت شاربورغ وبريست اول ما يلفت النظر... وربما يجري الانزال ايضاً بين مصب اللوار والحدود الاسبانية اي في (ليسلاندس LESLANDS) ، وكانت في هذا القاطع الذي يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة ميل ثلاث فرق مشاة قليلة الكفاءة ، اي لكل فرقة من هذه الفرق الضعيفة حوالي مائة ميل ، ولم يكن

هذا دفاعاً بل ادامة مراقبة الساحل .

ولم يكن هناك احتمال لخطر يأتي من الاسبانيين باتجاه البرانيس ، غير انه انتشرت اشاعات بأن الحلفاء قد يقومون بانزال في شبه جزيرة الاندلس ايضاً ، وكانت هناك بعد ذلك جبهة البحر الابيض المتوسط التي اشراف اليها والتي كانت بدون تحصينات تقريباً ولا يوجد فيها سوى قوات ضعيفة لا قيمة لها من الوجة العسكرية !

كان رئيس شعبة الحركات في هيئة ركن رونشتد المقدم الممتاز (مير دترنك) يقدم كل يوم تقريباً نوعاً جديداً من انواع الرسائل التحذيرية حول مناطق الغزو المحتملة يجمعها من مصادر خارجية وداخلية

ازدادت فعالية العدو الجوية في فرنسا ولا سيما في الليل ، وكثيراً ما نقلت هذه الطائرات الى مراكز حركة المقاومة الفرنسية ضباطاً ووكلاء بريطانيين لأجل تنظيم هذه المقاومة ، كما ألقت كميات ضخمة من الاسلحة وخاصة القذارات .

لم تكن حركات المقاومة الفرنسية ذات خطورة قبل سنة (١٩٤٢) ، فقد كان هناك اعضاء قلائل فتكوا بأفراد من الجيش الالماني قبل (١٩٤٢) ولكن لم يكن هؤلاء تهديد سوقي ، اما في سنة (١٩٤٣) فكانت الامور تختلف عن ذلك ، اذ نمت حركة المقاومة ، وظهرت بتنظيم متين ، وتطورت يوماً بعد يوم ، حتى اصبحت ثلاث مجموعات تتصارع فيما بينها حول قضايا السياسة الداخلية ، وكثيراً ما طلب من حكومة فيشي اخساد هذا الخطر المتزايد بوساطة الشرطة ، كما ازدادت اعمال المفاوير المعادية ، وكانت هذه الاعمال عبارة عن غارات منظمة على الساحل ، تقوم بها قطعات المفاوير البريطانية ، فتدمر وتخرّب وعلى الاكثر تقوم بالاستطلاعات .

بدأت هذه الحوادث كافة في الغرب عام (١٩٤٣) ، فرادت في التوتر شدة .

وينبغي لي ان اشير الى ناحية اخرى ، وهي ان الشيوعية انتعشت من الغرب وازدادت فعاليات الشيوعيين اكثر من السابق بعد الاندحار في (ستالين غراد) ، وبدأت شعبة استخبارات العدو تعمل نشيطة ، وقد علمنا بالتدريج بتكوين جمعية المانيا الحرة في روسيا واشترك ضباط المان اقدمون ممن اسرم الروس ، وكان من بينهم اصحاب اسماء قديمة مثل (فون سبيرلتس) فكان هذا في نظر رونشتد ليس مجرد افشاء للاسرار بل هو خيانة قد تؤدي الى ضياع ارواح عدد كبير من الجنود الالمان في الجبهة الشرقية .

وبدا الآن نوع جديد من دعاية الخلفاء في الغرب ، فكانت الرسائل اللاسلكية الاميركية - البريطانية تسمع في مقر رونشتد معلنة ضرورة تبجيل الضباط الالمان المشتركين في جمعية المانيا الحرة وتقديرهم تقديراً عظيماً ، وكانوا يعرضون علينا نحن الذين كنا في الغرب هؤلاء الخونة باعتبارهم امثلة سامية لضباط ذوي سلوك يستحق التقدير .

كانت هذه الدعاية موجهة بصورة خاصة الى رونشتد وهيئة ركنه للفت في اعضادهم ، وكان تعليق رونشتد على ذلك : ، تستثمر السياسة كل نوع من انواع الخيانة ، ولكنها لا تشرف الخونة .

كانت دفاعات منطقة رونشتد الحقيقية واقعة على الساحل بطوار خط الشاطئ ، لذلك اقيمت التحصينات على حافات السواحل بكل الوسائل المتيسرة ، وستظهر فيما بعد جدوى هذه المواضع التي كانت موضع شك رونشتد .

ان اي قائد عسكري متزن التفكير ، لا بد وان يمين النظر في احتمال

اندحاره حتى وان كان في موقف ملائم ، وقد بدأ الموقف في الغرب سنة (١٩٤٣) خطيراً للغاية ، وكان القتال الشديد في افريقيا واكثر منه في الجبهة الشرقية مصدر انهالك عظيم لكافة الرجال والمواد - تلك الطاقة التي لم يتحرك منها للغرب الا شيء قليل ، فقد كانت بعض الفرق في الغرب مؤلفة من رجال طاعنين في السن مسلحين بأسلحة قديمة نسبياً ، وكانت قابلية الحركة تنقص هذه الفرق التي لا يمكن نجاح التدابير الدفاعية بدونها ، وكانت اغلب الفرق على الساحل مزودة بنقلية من الحيوانات ، وكانت مدفعيتها نتيجة لذلك بطيئة الحركة .

وقد اقتضى الأمر التخلي شيئاً فشيئاً عن الفرق الجيدة لارسالها الى الشرق ، وحلت محلها وحدات غير منظمة وذات تدريب قصير لا يمكنها مجاراة القطعات الكفؤة ، واكثر من ذلك كانت الفرق المدرعة والمشاة تنقل من الشرق الى الغرب مناوبة لتبقى هناك مدة قصيرة في الغرب ثم تعود ثانية الى الشرق .

كان من الضروري في مثل هذا الموقف التفكير في احضار مواضع خلفية يجري انتخابها وتهيتها بعناية فائقة ، وعلى سبيل المثال ، هيئت مواضع خلفية كثيرة بدقة خلال الحرب العالمية الاولى في الشرق وبصورة خاصة في الغرب ، وقد كانت هذه المواضع بمثابة ضمان للقيادة الالمانية العليا في حالة تبدل الموقف ، ولكن هتلر كان لا يوافق حتى على مجرد التفكير بمثل هذه الاحتياطات التي كان احضارها ضرورياً للغاية من الناحية العسكرية ...

اعتقد هتلر بأن انشاء مثل هذه المواضع يؤدي الى الانسحاب قبل أوانه دون إبداء مقاومة شديدة ، ومنذ سنة (١٩٤٣) اتخذ لنفسه شعاراً هو : « اثبت في محلك ولا تلتنازل عن شبر واحد من الارض » ، وكان في هذا موت لكل وجه من أوجه القيادة الحقة ، التي ينبغي ان تعتمد على الحركة لا

على الجهود ، وطالما تدرب رونشتد والقادة الالمان الآخرون على هذا المبدأ العسكري الموروث ، لأن الانجازات العسكرية الالمانية السابقة اعتباراً من القرن الثامن عشر فصاعداً قد تحققت استناداً الى قابلية الحركة السوقية .

سبق للقيادة الالمانية العليا ان نظرت بعين الريبة الى المقترحات الرامية الى إعداد مواضع خلفية كتدابير أمن ؛ غير انه كان هناك ايضاً عامل آخر هو خوف هتلر من ضياع (الهيبة) فيما اذا 'وجد في الغرب موضع آخر مهيأ في الخلف ، وكان يعتقد ان مجرد انشاء دفاع كهذا ، قد يفقده سمعته : « بأنه لا يقهر » .

وعندما فشل هتلر في الحصول على سلم في سنة (١٩٤٠) ، اصبح ضرورياً في عام (١٩٤١) فصاعداً تهيئة الغرب للدفاع ، ولكن الدفاعات كما رأينا لم تهيأ عام (١٩٤١) ، وحتى في مستهل عام (١٩٤٢) ؛ ولو شرع الالمان بإعداد هذه الدفاعات منذ عام (١٩٤١) ، لكان بمقدورهم الدفاع عن الغرب عام (١٩٤٤) ولسهلت عليهم الحرب السياره .

ولم يكن هتلر يكثر كثيراً بدفاعات الميدان ، ولكنه كان يثق بالمواضع المستحضرة من السمنت والحديد ، وكان يعتقد ان هذه المواضع وحدها تستطيع الصمود تجاه القصف الجوي وتجاه قنابل المدفعية الثقيلة ودجمات الدروع ، ولكن كان عليه ان يفهم بأنه ليس هناك قطر في العالم بإمكانه انشاء مثل هذه التحصينات على جبهة تمتد الى آلاف الاميال . ان التحصينات المغشوشة المنتخبة بعناية لا سيما اذا كانت منظمة بالعمق ، تكون دائماً ذات أهمية حتى عندما 'تنشأ على عجل في الميدان بوسائل مرتجلة ، ويمكن تقوية التحصينات ذات الأهمية القصوى فقط بالسمنت والحديد .

لقد ظل امر استطلاع المواضع الدفاعية متأخراً جداً ، وبعد مضي الوقت المناسب ...

كانت مواضع مدفعية الساحل بصورة خاصة رديئة ، والواقع انها ينبغي ان تؤلف العمود الفقري للدفاع ، لذلك جرى تنسيقها من قبل سلطة واحدة ، وقد سبق ان تحدثت عن الاختلافات في استخدام المدفعية بين الجيش والبحرية .

لقد كان في مقر رونشتد قائد للمدفعية يكافح مشاكل لا نهاية لها ، فقد كانت البحرية مقتنعة منذ أمد بعيد بأن لديها الخبرة الكبيرة في استخدام المدفعية ، إلا ان خبرتهم هذه كانت مقتصرة على استخدام المدفعية في الحرب البحرية ، بل انها مقتصرة على مشاغلة الاهداف البحرية السريعة الحركة في مديات طويلة ومتوسطة ، اما الجيش الذي لا يعرف هذه الأساليب من الحرب البحرية ، فانه كان يفضل مشاغلة العدو على ساحل الماء مباشرة ، لا سيما العدو الذي أتم نزوله .

كان من السهل تقسيم هذه الواجبات الى :

أ - البطريات الساحلية العائدة للبحرية : واجبها الرئيسي مشاغلة الاهداف البعيدة في البحر .

ب - البطريات الساحلية التي تعمل ضمن مديات قصيرة ضد العدو الذي أتم انزاله .

لكن الأمل في الوصول الى اتفاق يحدد الواجبات كان ضعيفاً جداً ، لتمسك الطرفين الشديد بآرائها حول استخدام المدفعية ، ولم يكن رونشتد بعد نشر وصايا الفوهرر الرقم (٤٠) بدرجة من القوة تمكنه من اعطاء القرار الجازم ، لأن البحرية التي كان قائدها بتاس شديد مع هتلر كانت ذات تأثير أقوى من تأثير الجيش .

أصدر هتلر أوامره سنة (١٩٤٢) متأثراً بمقترحات رجال المدفعية البحرية ،

ومندفعاً تحت تأثير اعتقاده يحدوى التحصينات الضخمة ، بتركيب عدد كبير من البطريات الساحلية في مواضع محصنة ، فكانت نتيجة ذلك أن أصبحت البطريات الحديثة ذات الأهمية العظيمة محدودة الفائدة في الحركات . كانت هناك مثلاً بطريات من عيار (١٧) ستمتراً مداها (١٨) ميلاً تعذر الحصول على تأثيرها الناري الكامل ، لأنها أُحبست في سجون من الحديد والسمنت .

وعلى ضوء الغزو الذي حدث عام (١٩٤٢) ، في (دييب) ينبغي ان نوضح بأن رونشتد وأمثاله من القادة ، عارضوا المبالغة في قبر الأسلحة داخل كتل من السمنت والحديد ، لان هذه الأسلحة يتعذر عليها العمل من داخل مواضعها هذه في الاتجاه المطلوب ، اي ضد العدو الذي اصبح على بعد بضعة آلاف من الياردات في الجبهة ، واكثر من هذا بعد نزوله على الساحل .

يمكن استنتاج الصعوبات الأخرى التي برزت في مجال المدفعية مما يلي : -
كان في منطقة رونشتد عام (١٩٤٣) حوالي مائة وأربعين بطرية ساحلية من قطعات الجيش في مواضع مستحضرة دائمية ، وكان اغلب هذه البطريات من عيار (٥) و (١٠) ستمترات ، ولم تكن من صنع الماني ، ولكنها من المدافع المستولى عليها من الفرنسيين والبولنديين والجيوكوسلوفاكين ، وكان هناك مدافع روسية عيار (١٢) و (١٥) ستمتراً ، وفرنسية عيار (١٥) و (٢٢) ستمتراً ، أما المدفعية ذات المدى القريب فقد تيسر منها خليط مختلف يتألف من (٣٤٠) مدفعا عيارها من ستمترين الى خمسة عشر ستمتراً تعود الى مختلف الامم ، وكان قسم من أجهزة التمديد قديماً ، فكان من الصعوبة على المدفعية مشاغلة الاهداف المتحركة في الماء ، ولكن البحرية من الجهة الثانية كانت تمتلك أحدث المدافع مزودة بأحدث أدوات التسديد .

وكان رونشتد منشغل الفكر دائماً بهذا الاضطراب ، ولكنه كان عاجزاً

عن السيطرة على الموقف ، لان جميع القرارات كانت لأولئك البعيدين ذوي التأثير الكبير من بطانة هتلر ، كما كان القلق يساور النفوس حول تموين هذه المجموعة الدولية من الأسلحة بالعتاد .

وباستثناء القوة الجوية ، كانت فرق الدروع الاحتياطية أهم قوة متيسرة للدفاع عن الغرب ، فقد كانت هذه الفرق قوة القتال الكبرى ، وكانت ذات قابلية للحركة ، وبذلك كان بإمكانها أن تقوم بخدمة كبيرة في العمل مشتركة مع قوة جوية قوية .

عين في مقر رونشتد اللواء الشهير (كيرفون جون بيرك) قائداً للقطعات المدرعة ، وكان يشغل منصب الملحق العسكري في لندن قبل الحرب ؛ فكان مستشاراً لرونشتد في كل القضايا المتعلقة بالاستخدام السوقي والتعبوي للدروع كان فون (جون بيرك) واسع الاطلاع وكفوفاً ، ولم تكن أفكار رونشتد ورئيس هيئة ركنه تتفق دائماً مع أفكاره .

وينبغي أن نقرر بأنه لم يتصور أحد بشكل واضح مدى تأثير القوة الجوية على الحركات السوقية الكبرى بعد سنة (١٩٤٣) ، لأن الحرب الجوية كانت قد بدأت حينذاك فقط !!

وربما كان اللواء (فون جون بيرك) مصيباً ، ومع ذلك فليس للفرق المدرعة أهمية كبرى في نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه اذا تعذر تحريكها. لقد كانت هناك جبهة بحرية هائلة تمتد من جزيرة (تسل) الى (ايرون) وجبهة أخرى تمتد من (فندرس) الى (منتون) ، وكان باستطاعة العدو الانزال في أي مكان شاء .

ولا شك في إمكان تعبئة الفرق المدرعة في مناطق الانزال المحتملة ، ولكن وجود احتمالات كثيرة تجعل الانسان عاجزاً عن التأكد من نزول العدو في

الأمكنة المفروضة، اذ كلما كبرت منطقة الحركات ازدادت احتمالات الانزال في اماكن كثيرة منها ا

وحينما يتعذر تحريك التشكيلات المدرعة سريعاً الى منطقة مهددة نتيجة للتفوق الجوي المادي، فإن قيمة الدروع حينذاك تقتصر على المجال التعبوي فقط؛ ويلبغني أن نشير هنا الى أن القائد العام للأسطول الجوي الثالث المشير (سبيرل) ، كان قد ادخل في حسابه وصول فحدات مهمة عندما يقع الغزو ، وكثيراً ما كان يخبر رونشتد وبيده قائمة بمقدار الأسراب التي يتسنى نقلها الى الغرب من ساحات الحرب الاخرى فيما اذا دعت الحاجة الى ذلك .

وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد ممكناً تأمين التفوق الجوي ، ولكن كان هناك على الأقل قوة جوية كافية تضمن تنقلات سوقية محدودة للتشكيلات المدرعة. لم يكن رونشتد و (سبيرل) في سنة (١٩٤٣) يعلمان بأن الامدادات الموعودة لن تأتي في سنة (١٩٤٤) نظراً للموقف الذي نشأ حينذاك .

سأعود الى وصف اختلافات الرأي مرة اخرى عندما اعالج استخدام جحفل الجيش (ب) بقيادة رومل في سنة (١٩٤٤) ، وأكتفي هنا بمجرد التأكيد بأن وجهات نظر رونشتد ورئيس هيئة ركنه كانت تعتبر ان فرق الدروع الاحتياطية ضرورية لموقف خطير، ولكن القائد المسؤول عن منطقة واسعة كهذه في الغرب ينبغي ان يكون تحت تصرفه احتياط سوقي يستطيع استخدامه متى شاء وفاقاً للموقف العام ، وبدون هذا الاحتياط فلا رجاء في دفاع ناجح !!...

وعلى الرغم من التأثير الحاسم للقوة الجوية في الحرب ، فانها لا تستطيع وحدها كسب الحرب؛ اذ تدعو الحاجة دوماً الى قوات برية قوية أهمها الدروع على ألا تتناسى أهمية صنف المشاة المدرب تدريباً ممتازاً والمجهز بأحدث الاسلحة .

ولا يزال صنف المشاة ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه في الحرب ، على ان يكون آلياً مزوداً بأحدث الاسلحة ومدرباً ادق تدريب ، وقد أكد رونشتد على ذلك دوماً ، ولم ينفك عن ترديده ابدأ .

صاحبت سنة (١٩٤٣) نقطة التحول العسكري الكبرى ، فقد ولى عهد حرب الصاعقة لسني (١٩٣٩ - ١٩٤١) كما أدير عهد الهجمات السوقية في الجبهة الشرقية وفي شمالي افريقيا . وقد اكرمت قوات المحور بما فيها اليابان على الدفاع بعد ان تم تطويقها سوقياً ، وفي سنة (١٩٤٣) بدأ التعرض الكبير للحلفاء ضد المحور ، فاستُهِلَّ بحرب جوية اشتدت بسرعة على اوروبة الوسطى ، فضلاً عن قيام قوة الحلفاء الجوية بالتعرض في الغرب ، وقد دأبت تشكيلات هائلة من الطائرات الامريكية والبريطانية على فعاليتها ، وكانت تحلق مئات من هذه الطيور الفضية باستمرار على ارتفاع عال في الجو وبتشكيلات متقاربة ذا اثر بعيد على النفوس . وفضلاً على اكتساح البر بالقصف الجوي الذي استهدف المطارات والسكك الحديدية ، كان هناك قصف الازعاج الذي ازدادت خطورته تدريجياً ، وكانت اهدافه بصورة رئيسية محركات القاطرات المتحركة او الواقفة ، وكانت كل انواع هذه القارات تزداد يوماً بعد يوم .

أطرى رونشتد رجال السكك الحديدية الفرنسية الذين عكفوا على انجاز واجباتهم بحذق على الرغم من فداحة الخسائر ، ولهذا سُخِلَ رونشتد منهم جوائز خاصة ، وأكثر من ذلك اصدر وصاياه باطلاق سراح اقرباء هؤلاء الرجال الموالين من الاسر الالماني الذين اسروا سنة (١٩٤٠) اكراماً لذويهم .

وعندما ازدادت الحرب الجوية عنفاً اعتبرها رونشتد الاستحضارات الأولية لغزو الحلفاء ، وكان القصف على المدن الصناعية وخطوط المواصلات لا يستهدف زعزعة ارادة المانيا على المقاومة فعسب ، بل يرمي الى تحديد

الانتاج واشاعة الفوضى في تشكيلات السكك الحديدية .

لا يتيسر البدء بالهجوم الحقيقي على قلعة اوروبة الوسطى، ما لم يبدُ ضعفها ملموساً نتيجة للحرب الجوية . لقد كان من واجب كافة التشكيلات في الغرب الاحتفاظ بسجل للهجمات الجوية يبين فيه متى وكيف وأين جرى القصف الجوي ويثبت ذلك على خرائط خاصة للحصول على صورة واضحة لمركز ثقل القصف الذي يستهدفه الحلفاء .

وكان الاسطول الجوي الالماني الثالث في سنة (١٩٤٣) قد تناقصت قواه نقصاً جلياً ، غير ان العدو لم يحصل بعد على السيادة الجوية المهيمنة ، كما كانت مطارات الطائرات المقاتلة القريبة من الساحل تتناقص تدريجياً ، لهذا اقتضى نقل المقاتلات الى اماكن اكثر بعداً في الخلف ، ومعنى ذلك ، ان الطائرات المقاتلة اكرهت على الذهاب الى داخل فرنسا ، فنقصت الفعاليات الجوية في الساحل ، وقد اصبح مدفع ضد الجو عيار (٨) ستمترات (المدفع المضاد الذي يطلق عليه البريطانيون مدفع عيار ٨٨ ملمتراً) عاجزاً عن اىصال قذائفه الى تشكيلات العدو الجوية التي كانت تطير على ارتفاع أعلى من السابق ، كما لم يكن المدفع المضاد عيار (٨) و (١٢) ستمتراً متيسراً إلا بكميات قليلة .

وكان اسطولنا البحري الصغير كفوفاً يقطعاً، ولكن لنجاح غواصاتنا ثلاثى بمر السنين كما حدث في الحرب العالمية الاولى ، وكانت المانيا قد ارغمت على الدفاع في البحر ايضاً ، وفي هذا الوقت لم يبق لنا اسطول بالمعنى الصحيح .

وكانت فعالية الأسطول في منطقة البحرية الغربية تقتصر على حماية القوافل والدفاع الساحلي في البحار المنخفضة والاستطلاع المحدود ، وكانت القوافل تستجلب من اسبانيا المواد الخام التي كانت شحيحة في المانيا ، وكان

على هذه القوافل ان تسير بمحاذاة السواحل متنقلة بمراحل من ميناء الى ميناء حتى تصل هولندا ، وكانت معرضة دوماً لهجمات الحلفاء الجوية والبحرية ، فاضطرت سفن بحفل البحرية الغربي الصغيرة القليلة العدد الى ترك واجباتها لتتفرغ لحماية هذه القوافل ا

وقد قامت الغواصات التي كانت ممتازة للغاية بغارات مختلفة على سفن العدو ، غير ان هذه الغارات كانت على العموم كوخزات الابر في تأثيرها ا ولم يكن ليتسنى اجراء الاستطلاع البحري الا في منطقة محدودة ، لان العدد المناسب لمثل هذه الواجبات كان قليلاً ، وقد حظيت الغواصات العائدة برعاية خاصة ، فكانت عند عودتها الى قواعدها في (بور دو) وفي (لاروشل) او (نازير) او اي قاعدة اخرى تودع في مانعات هائلة وتجري ادامتها وراحة نوتيتها ايضاً ، وكانت الغواصات اليابانية والايطالية تزور هذه القواعد لماماً !!

لقد كانت البحرية تمتلك سفناً قليلة واشخاصاً كثيرين ، لذلك كان استخدام منتسبيها في الدفاعات الارضية امراً لا مفر منه ، فنتج عن ذلك تدخل البحرية في واجبات الجيش على الساحل ؛ ولو كانت البحرية كبيرة كما كانت في الحرب العالمية الاولى ، لاعتبرت الدفاعات الساحلية مسألة ثانوية بالنسبة لواجباتها ، اما الآن فقد طبقت واجباتها بصورة مغلوبة .

بدت القلاع الساحلية مناظر مدهشة ، وكان هتلر يميل الى التحصينات ، فرقي عدداً كبيراً من الموانئ الساحلية في منطقة القيادة الغربية الى رتبة قلعة . لقد كان لكلمة (قلعة) تأثيراً يوحى اليه بالاطمئنان والثقة ، ولكن لم يكن لهذه الكلمة نفس التأثير على رونشتد الذي لم يعلق عليها غير اهمية قليلة . ان الترقية الى رتبة قلعة كما كنا ندعوه في مقر رونشتد متفكرين ، لم يكن في الحقيقة ليفيدنا كثيراً .

لقد استنفد هتلر كثيراً من الوقت والجهود والمواد للاستمرار في انشاء قلاع ، وكان رونشتد متأكداً من أن العدو ليس من الحماقة بحيث يهاجم قلعة هجوماً مباشراً من البحر ؛ اذ بإمكانه الاستيلاء عليها بسهولة اكثر فيما اذا نزل في منطقة ساحلية مفتوحة خارج منطقة القلعة ، ومن ثم يهاجم القلعة من الخلف اي من جهة البر ، لأن نقاط الضعف في كل قلعة بحرية موجودة من اتجاه البر ، وقد سبق للعدو في سنة (١٩٤٣) أن طبق ذلك بقطعات المظليين .

من أين يمكن تأمين القطعات الكافية للدفاع عن هذه المناطق المحصنة ؟ حقاً لقد كان ينبغي وجود فرقة او فرقتين في القلاع الكبيرة ، وفرقة واحدة في القلاع الصغيرة ، لكن رونشتد كان مضطراً الى القناعة بحاميات ضعيفة مؤلفة من بضعة افواج عند تيسرها لديه ! وكانت مدفعية الدفاع على الجبهة البرية الشاسعة قليلة ايضاً ، لأن جميع البطريات تقريباً كانت مثبتة في التحصينات على اساس ان تكون قادرة على الرمي باتجاه الساحل فحسب ، دون ان يكون في الامكان تغيير اتجاهها الى البر .

لقد سببت هذه القلاع قلقاً عظيماً للقيادة الغربية ، لا سيما في سنة (١٩٤٤) ، ولم تتحسن الامور عندما بدأ هتلر بتعيين ضباط يعتمد عليهم كل الاعتماد بمناصب آمري القلاع ، وكان على هؤلاء الامرين البؤساء ان يقسموا قسماً مكتوباً للاحتفاظ بالقلعة بكل ثمن ... وكان يرسل بهذا القسم المكتوب الى هتلر ، غير انه لم تكن لدى هؤلاء الامرين القطعات الكافية التي تمكنهم من الاحتفاظ بقلاعتهم ، ولم تكن القلاع إلا أبنية غير كاملة . وكان الأمر يفتقر الى السلطة المطلقة داخل قلعته ، إذ كان للأمر البحري ايضاً رأي في الدفاع عن القلعة !

ولم يكن لأمر القلعة سلطة مطلقة على البحرية والقوة الجوية ، ولكن

كان له ذلك على القطعات الاخرى فقط ، فعندما كانت الضرورة تدعو الى معاقبة بعض افراد البحرية والقوة الجوية في قلعة ما ، فان ذلك لا يتم إلا بواسطة السلطة القضائية للبحرية او القوة الجوية ، لذلك فقد جعل هذا الأمر المسكين ضعيف النفوذ مهدداً دوماً بخطر إحالته على المحكمة العسكرية، ولأجل تقوية الحاميات الضعيفة جداً في هذه القلاع شكلت وحدات الانذار، غير أن منتسبي هذه الوحدات كانوا غالباً من عمال الموانئ والمدنيين المصبوغين بالبزة العسكرية !!

لقد كان من المستحيل العمل في مثل هذا الوضع الذي لم تعرف حقيقته بوضوح قبل عام (١٩٤٤) ، وكان رونشتد قد أخبر مراجعه بتقارير شاملة صريحة عن صعوبة الموقف وتعذر السيطرة عليه ، ولكن دون جدوى .

ومن المناسب ان نذكر هنا ملحوظة عن علاقة هتلر ببيتان . لقد وجه هتلر بعد احتلال جنوب فرنسا رسالة شخصية طويلة الى المارشال بيتان ، شرح له فيها الاسباب التي دعت الى احتلال فرنسا بكاملها ، وقد ختمها بالجملة التالية : « اذا كان لديك ايها المارشال أية رغبات او مشاكل ، فاذكرها للمشير فون رونشتد » .

والغريب في الامر هو عدم وصول اية نسخة من هذه الرسالة الى رونشتد، وقد حدث في شتاء (١٩٤٢ - ١٩٤٣) صدفة أن ذكر موظف من السفارة الالمانية هذه الرسالة لرونشتد عندما كان يطلعه على بعض المعلومات ، وقد ذهل الموظف المذكور عندما علم بأن القيادة الغربية لا تعرف شيئاً عن هذه الرسالة .

لقد طلب المارشال بيتان نتيجة لما جاء في رسالة هتلر هذه من رونشتد ان يقوم بزيارته رسمياً ، وعلى كل حال لم تتم هذه الزيارة .. ولكن بعد ايام استلم رونشتد نسخة من تلك الرسالة .

وننتج عن رسالة هتلر هذه في سنة (١٩٤٣) ، ان رونشتد اصبح يلتقي ببيتان اكثر من السابق ، كما نتج عنها ايضاً تبادل الرأي بين الرجلين عن امور تخص السياسيين لا رجال الجيش ، ورضي رونشتد الذي كان يكره السياسة كرهاً مطلقاً ان ينقل جوهر رغبات بيتان الى هتلر مع توصياته باتخاذ الاجراءات كلما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وكان بعد عودته الى مقره يرتب جميع النقاط ويرسلها برقياً الى القائد العام للجيش الالماني ، وكان اللواء البارون (فون نوبرون) يشغل منصب ضابط ارتباط في فيشي بين بيتان ورونشتد ، وقد اشترك في الاتصال ببيتان ، ومن الواضح أن الرسائل كانت متبادلة ايضاً بين بيتان ورونشتد بالاضافة الى الزيارات ، ونظراً لأن السفارة الالمانية هي المسؤولة عن السياسة الخارجية ، فكثيراً ما حدث تجاوز على المسؤوليات بين السياسي ورجل الجيش !

وعندما نتذكر بأن القائدين العسكريين في باريس وبروكسل كانا منمكنين كل الانهك في السياسة ، وان هتلر وغيره من كبار رجال الحزب انتهجوا سياستهم الخاصة جاعلين السلطات الاخرى وراءهم ظهيرياً ، ندرك ان رونشتد حافظ على إعراضه عن السياسة ما استطاع ، ومع ذلك كان من المستحيل عليه منع ممثلي الفوهرر من الظهور على مسرح السياسة ، وكان هؤلاء عادة موظفين حزبيين ذوي مكانة رفيعة مزودين من هتلر بسلطات أعلى من السلطات المحلية الاخرى ، وكثيراً ما كان هؤلاء الموظفون يغفلون أيدي السلطات المحلية .

كان هناك حاجة ملحة في الغرب لدعوة بعثات عسكرية من الاقطار الحليفة او المحايدة لتفتيش جدار الاطلسي . لقد كان هتلر فخوراً جداً بجداره هذا ، فطفت البعثات العسكرية تتوالى يرأسها القادة واحدة تلو الأخرى ، من تركية وبلغارية وهنكارية وفنلندية ورومانيا وايطاليا واسبانيا وغيرها .

وقد جعلت نباهة ذكر رونشتد الدولية هؤلاء الضيوف تهفو نفوسهم الى

رؤيته على الأقل ، والتحدث اليه إن أمكن . وقد أصبح اعتيادياً اتصال مقر الجيش هاتفياً بمقر رونشتد ملتصقاً باستقبال رونشتد لهؤلاء السادة وإعداد ما يطعمون ، وكان عليّ أن اوصل هذه الرغبة الى رونشتد بأسلوب (دبلوماسي) ، ولكن عندما يصل الزائرون يتمثل العطف كله في حسن وفادة رونشتد لهم وحفاوته بهم ويسترسل على سجيته في عطفه وشيق حديثه ، فيغمر الجميع الغبطة والسرور .

كانت الأحاديث تجري بالألمانية أو الفرنسية ، وكان يقدم الطعام في كل زيارة ، وكانت تحدد لهذه الزيارات الساعة الواحدة بعد الظهر دائماً ، كي يتسنى لرونشتد الذي لم يكن ليطعم شيئاً يذكر ، أن ينصرف عاجلاً بعد انتهاء الغداء ، غير انه لم يكن ليحضر المشاء عادة .

يمكن الالتماء الى هذه القصة : تحدث رئيس بعثة تركية وهو برتبة لواء حديثاً ضافياً بعد انتهاء مأدبة الغداء ، استهله بالحديث عن آثار مولتكة الكبير في الجيش التركي سنة (١٨٣٠) ، وقد لاحظنا جاذبين تزايد نفاد صبر رونشتد كلما اسهب بالحديث ، وعندما وصل الحديث الى مفصل ، نهض رونشتد وقرع المنضدة بقدمه قائلاً : (ايها السادة ! لشرب نخب صحة الدولة التركية والشعب التركي وجيشهم الشجاع ...

لقد حمل هؤلاء الزائرون ذكريات عن شخصية فذة كانت مؤثرة بتقاليدها وتربيتها وسمعتها الدولية قائداً ، لم تخفق ابداً في تأثيرها على اي انسان !!

— النجدة المضاع

كان رونشتد مجازاً مدة ثلاثة اسابيع في ربيع (١٩٤٣) قضاها في مدينة (بادتولز) من اعمال بافاريا العليا ، وكان هتلر وقتذاك في (برختسكادن) ، فاغتنم هذه الفرصة لدعوة رونشتد الى مقره قبل ان يعود من إجازته ثانية الى الغرب .

كان رونشتد يرتدي الملابس المدنية في ايام اجازته ، وقد اغتبط الناس لارسال هتلر سيارته اليه في (بادتولز) يصطحبها حرس لنقله الى مقر هتلر ، وبطبيعة الحال كان الناس يحبون ان يروا رونشتد ببزته العسكرية ، وحينما كان يهم بركوب السيارة ، قالت له زوجته : « انظر ما أشد رغبة الناس في رؤيتك ! » ، فأجابها رونشتد قائلاً : « آه .. انهم لا يقفون من اجلي ، بل ينتظرون سيارات نقل الركاب فحسب » ...

وكان رئيس هيئة ركن القيادة الغربية قد ارسل رئيس شعبة الحركات الفريق الثقة (زمرمان) الى (بادتولز) ، ليلتمس رونشتد ان يكلم هتلر حول خطورة الموقف في الغرب . كان هتلر قد اعتاد ان يعرض عن المواضيع المزعجة ، وكان يصرف محادثه عنها بمواضيع اخرى ، لذلك هيمن هتلر على الحديث كله واصفاً بأسهاب ما يفكر به الآن من تعرض عظيم في الشرق ، وانه قد وضع له الكلمة الرمزية (قلعة) وسيشارك في هذا التعرض خيرة

الفرق، واثقاً من شدة تأثير المعجلات المدرعة الحديثة ، وهو يأمل ان يفني تسعين فرقة روسية على الاقل بتعرضه هذا ، وسيجري هذا الهجوم باتجاه (بايل كروود) .

وأبدى هتلر ارتياحه في الموقف السياسي في ايطاليا، ويتنبأ بسقوط موسليني في المستقبل القريب ، وحينذاك ربما ينحاز الايطاليون الى الحلفاء ، ولو ان ذلك حدث ، لوجب تجريد الجيش الرابع الايطالي من السلاح ، وتسليم قاطعه الى القطعات الالمانية ، ولأجل ان يمنع رونشتد من الكلام ، أنهى هتلر حديثه فجأة مودعاً رونشتد ، فعاد الى باريس دون ان ينال مبتغاه !

كتب رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان في مذكراته ما يلي : -

« لقد اعتقدنا بأن هتلر تكلم بدون انقطاع لثلا يسمع شيئاً لا يسر من المشير رونشتد ، لذلك قرر رونشتد ان يهيبه تقريراً مفصلاً صريحاً عن الموقف في الغرب ، مبنياً على الحقائق التي لا يتطرق اليها الشك ابداً ، لتدرسه القيادة العليا ، .

كان هذا التقرير الذي تم وضعه في ربيع سنة (١٩٤٣) أساساً لجميع التدابير حتى ابتداء غزو الحلفاء في حزيران (١٩٤٤) . لقد كانت واضحة لرونشتد احتمال حدوث غزو الحلفاء للغرب عام (١٩٤٣) ، وذلك لتردي موقف قوات المحور ، وكانت سواحل اوروبا الغربية في الغرب والجنوب في الحقيقة غير مدافع عنها بل محمية فقط على طوار جبهات لامتناهية تحتلها قطعات متباعدة .

لقد اصبحت اوروبا الوسطى قلعة ، ولكنها لم تكن رصينة القوى ولا ذات قطعات كافية ، وكان الحلفاء قد طوقوا تماماً هذه المنطقة السوقية ، وكان بإمكانهم التعاون بهجوم منسق ، وكانت قواهم الجوية في موقف تستطيع معه الطيران الى الداخل من ثلاث جهات لتركيز هجماتها .

وقد سيطر الحلفاء على البحر ، فكانوا قادرين على الانزال في أي وقت وفي أي مكان من غربي اوروبا وجنوبها ، بما يستمدونه من منابعهم الهائلة ، وكان في مقدورهم بوساطة بحريتهم القوية وتسهيلات المواصلات اجراء تنقلاتهم كما يشاءون والانهاك في مناورات تضليلية في جميع الجهات !

ولم يكن المدافعون الالمان في وضع يستطيعون معه الزج باحتياطات سريعة مهمة في السبل البرية من الشرق الى الغرب ، او من الشمال الى الجنوب ، لغرض حماية النقاط المهددة ، ولقد 'جمدت' عدة جبهات ، مثال ذلك الجبهة النرويجية والفرنلندية والبلقانية ، لأن قلة السكك الحديدية والبواخر جعلت سحب القطعات من هذه المناطق يتم ببطء شديد ان لم يكن متعذراً ، وكانت القوات الجوية الحليفة تشيع الاضطراب في السكك الحديدية بصورة مستمرة يوماً فيوماً ، مما أدى الى عرقلة تنقلات التشكيلات الكبرى من جبهة الى اخرى ؛ ومنذ عام (١٩٤٣) دأب الحلفاء على التعرض السوقي ، بينما أرغمت المانيا على الدفاع ، لهذا انقلب ميزان القوى كما حدث في القسم الثاني من الحرب العالمية الاولى .

وكثيراً ما لاحظ رونشتد بأن المانيا باعتبارها دولة برية ، محاطة بدول قوية في اوروبا الوسطى ، ينبغي ان تنتهج بصورة خاصة - منهجاً سياسياً حاذقاً ، والا فيكون مصيرها التحطيم بالقوى المحيطة بها ، وكان يقدر كل التقدير الاتصال الوثيق بين السياسة والسوق (الاستراتيجية) .

كان هتلر يتوقع الغزو في تلك الايام ، والحق انه كان معنياً بمقى وأين سيقع الغزو ؟ وعلى سبيل المثال ، فقد توقعت القيادة الالمانية انزالاً بالقرب من (جنوى) او في جنوب ايطاليا وفي اليونان ايضاً .

لقد كانت وجهات النظر تتبدل باستمرار ، اذ كلما تواردت معلومات سرية او ظهرت بعض الاشاعات او ارسلت تقارير كاذبة عن قصد - كلما توارد ذلك ؛ أصبح هتلر اكثر شكاً !

لقد حدث تبدل كامل في جوهر معتقدات هتلر السوقية ، فقد اعتقد بضرورة الدفاع لآخر طلقة وآخر جندي عن كل شبر من الارض ، وذلك نتيجة لانزعاجه من تبدل الحظ في سنة (١٩٤٣) ، وبذلك استبدلت قابلية الحركة وفن القيادة بفنه هذا الذي كان يرتكز على الاطاعة المطلقة لأوامر جازمة تنص على عدم التخلي عن شبر من الارض ، وعدم اخلاء أي موضع دون أخذ موافقته .

لا بد وان اعداءنا لاحظوا بدهشة بأن القيادة الالمانية العليا لم تعمل شيئاً منذ عام (١٩٤٣) حتى نهاية الحرب اكثر من التمسك الشديد بخطط دفاعية جامدة والحووم حول جميع الجبهات . وكان وقت صدور الأمر بالكف عن الدفاع المستमित يأتي متأخراً جداً ، مما ضاعف الخسائر بالأرواح والمواد ، والأهم من ذلك هو فقدان (الثقة) .

لقد كان القادة العسكريون الألمان في سنة (١٩٤٣) مقيدين بأغلال ثقيلة ومحرومين من كافة استقلالهم الموروث ، وقد وصل ذلك الى أقصى ذروته حينما كان مشيرون أقدمون وقادة عامون لمناطق كبيرة ، لا يجرأون على تحريك ما يعادل فرقة واحدة بدون أخذ موافقة هتلر ، وحتى أعضاء هيئة ركن هتلر أنفسهم كاللواء (جودل) كان عليهم اولاً أن يلتمسوا الأذن منه ، ونتج عن ذلك تقويض استقلال القيادة ، كما نتج عنه تأخر جميع التدابير المقابلة تأخيراً كبيراً جداً . كان مقر هتلر في بروسيا الشرقية ، ففي خلال الوقت الذي يحتاجه لاجراج خريطته هناك في مقره لاصدار قرار ما بشأن فرقة من فرقته في الشرق او في افريقيا او في الغرب ، فإن الموقف التعبوي يكون قد تبدل منذ أمد طويل .

ولم يكن خط الساحل كل ما ينبغي احتلاله ، ولكن كان هناك الجزر الكثيرة التي غالباً ما تقع أمامه ، ولقد خصص لبعض هذه المواضع في كثير من الحالات من عشرين الى ثلاثين جندياً ، وفي الحقيقة كانت القيادة الغربية الكبيرة ليست

إلا جزءاً من الجبهة الأوروبية، ولكنها كانت جزءاً هاماً جداً ، وكانت الغزو محتملاً في أي وقت من هولندا أو بلجيكا أو فرنسا ، وكانت الطريق إلى قلب ألمانيا ومنطقة الرور يمر مباشرة مخرقاً بلجيكا - شمال فرنسا إلى (كولون) ، وعند ذاك فإن القيادة الغربية بكاملها وبالحقيقة الجبهات في شمال إفريقيا وإيطاليا تكون قد قطعت عن ألمانيا .

وعلى هذا الأساس ، كان رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات يقدرون دائماً أن الأنزال الرئيس سيحدث بين (كاليه) ومصعب (السوم) ، يتبعه اندفاع الحلفاء السريع على أسلوب تقدم (كودريان) خلال بلجيكا على (الأيسن - كولون) ، أي حوالي (٢٠٠ - ٢٥٠) ميلاً بصورة مستقيمة ، ولم يكن هذا أمراً خارجاً عن المعتاد ؛ وكان رونشتد يعتقد أن خدمة استخبارات الحلفاء ، لا بد وأن علمت بأن الجدار الأطلسي على جانبي (كاليه) المؤثر بظهوره فقط ، لم يكن قوياً بأي وجه من الوجوه ، كما قدر رونشتد بأنه من الواضح حصول الحلفاء على معلومات تفيد عدم تيسر احتياط من القطعات فعلاً في بلجيكا ، وأن الجدار الغربي في الحدود الألمانية بدون حاميات ، وأن مناطق الراين والرور بدون حماية .

لقد كان هناك عدد كبير من الأجانب المستخدمين في جميع أنواع العمل ، لذلك يمكن اعتبار خدمة استخبارات الحلفاء في المستوى الذي يؤهلها للعمل كخدمة الاستخبارات الألمانية سواء بسواء ؛ وقد افترض رونشتد ورئيس هيئة ركنه أن ممر قوات الحلفاء على علم بكل ما يتعلق بالموقف ، وأن هجوماً رئيساً على طول خط (كاليه - ابفيل) نحو (ايسن - كولون) والذي كان قد توقعه رونشتد ، يعرض الجبهة الأوروبية : الغربية والجنوبية بكاملها إلى الانهيار ويقطعها عن ألمانيا ، وسأبين أخيراً بأن هذه الآراء قد تبدلت قليلاً في مستهل سنة (١٩٤٤) .

ولربما كان لدى الحلفاء الغربيين اسباب وجيهة لعدم القيام بالهجوم الذي توقعه رونشتد ، ولربما كانت هناك اسباب بحرية لم تكن واضحة للألمان ، وقد بدا الهجوم الذي توقعه رونشتد يؤدي الى اقصر خط مواصلات من انكلترا ، كما انه يقدم تسهيلات مماثلة لقوات الحلفاء الجوية ، ولكن ربما خشي الحلفاء تعرضاً المانياً كبيراً من الجنوب باتجاه جناحهم ، ولكن هذا التعرض لا ينجح ، لأن القسم الأعظم من الفرق الالمانية كان محروماً من قابلية الحركة ومنتشراً على الساحل الشاسع ، ولربما كان الأمر يتطلب اسابيع قبل إمكان جمع عدد كاف من القطعات ، ولربما لم تعد هذه القطعات تملك القوة الكافية للتغلب على الحلفاء المجهزين تجهيزاً ممتازاً بالمواد فضلاً عن تفوقهم الجوي الساحق . وينبغي ان نسجل بأن رونشتد وصف الجدار الاطلسي (المقدس) بصراحته اللاذعة بأنه : « خدعة من خدع الدعاية تماماً » ، كما كان هذا رأيه عن الجدار الغربي ايضاً .. وقد عبر عن رأيه هذا للزائرين الأجانب متفكهاً ، ولكن بطريقة معقولة لقد شب رونشتد وترعرع على تقاليد مولتكه وشليفن القديمة ، وكان قائداً متمكناً من سوق الجيش يؤمن بقابلية الحركة ، وكان يرى في الدفاع السيار الأسلوب الوحيد لفن الحرب ، ويرى في الدفاع المستكن الموت الأكيد لفن الحرب .

انه من المهم للقراء كافة ان يفهموا عقيدة رونشتد هذه بوضوح ، وبدون ذلك لا يستطيعون تفهم الحوادث القادمة تفهماً وافياً .

ارسل تقرير الموقف الى مقر الجيش الالمانى وقُدِّم الى هتلر في ربيع عام (١٩٤٣) ، فلم يكن لهذا التقرير لسوء الحظ - كما سبق ان ذكرت - استجابة فورية ؛ ولكن القيادة العليا بدأت بالتفكير ، غير انها لم تتخذ اجراءات حاسمة حتى (١٩٤٣ - ١٩٤٤) ، بعدما قدم رونشتد تقريراً جديداً في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، ذلك التقرير الذي اهب كافة الرؤوس الكبيرة في مقر الجيش .. وسأطرق بالبحث الى ذلك باسهاب في فصل آخر .

كان على الجيش الخامس عشر ان يدافع عن القاطع الساحلي بين (اوستند) وغرب (الهاقر) ، وقد اخبر هذا الجيش رونشتد حوالي صيف (١٩٤٣) ، بأن منشآت ضخمة تشيدها في المنطقة منظمة (تود) دون ان يعلم الغرض من تشيدها ، وكانت هذه الانشاءات تشاد بصورة سرية حتى ان القائد العام للجيش الخامس عشر لم يجرأ على دخول منطقة هذه المنشآت . لقد كان من الطبيعي ان يرفع هذا الجيش احتجاجاً على اقامة هذه المنشآت في منطقته دون احاطته علماً بأغراضها ، كما ان هذا الجيش شعر بخطورة وجودها في منطقته ، لأنها ليست الا وسيلة لاغراء العدو بقصفها ، مما يهدد سلامة القطعات الموجودة حولها بالخطر .

وكان رونشتد وهيئة ركنه في جهل مطبق لهذا العمل السري ، لذلك استفسر رونشتد من المقر العام عن الغرض من هذه المنشآت ، فدهش الذين كانوا في مقر هتلر عندما علموا بأن القيادة الغربية لم تخبره ذلك ، ووعدوا بأصلاح هذا الخطأ غير المتعمد ، وتم ذلك شفهاً فقط مع التشديد على الحرص التام على سر هذه المنشآت ، وفعلاً قام بضعة من ممثلي عينة الجيش وشعبة التموين ولواء من المقر باخبار رونشتد خلال الاسبوع التالي بالمعلومات التالية :

بعد فترة قصيرة سيجري استخدام اسلحة جديدة مبتكرة في الغرب قد تكون حاسمة النتائج : سلاح النصر الرقم ١ ، وسلاح النصر الرقم (٢) ؛ وكان السلاح الرقم (١) نوعاً من انواع الصواريخ الكبيرة ينفجر عند الاصطدام انفجاراً هائلاً ، وقد ترك امر صنعه واستخدامه للقوة الجوية ، وسيجري رمي هذا السلاح من مواضع عديدة انشئت خاصة لهذا الغرض على غرار مواضع بطرية ثقيلة ، وكانت طريقة الرمي لا تزال سرّاً مكتوماً ؛ غير ان السلاح الرقم (٢) كان قذيفة صاروخ اخترعه اللواء (دورن بيركر) من شعبة عينة الجيش ، وكان تأثيره اشد كثيراً من تأثير السلاح الرقم (١) ، لذلك كان هذا السلاح شبيهاً بخواص المدفعية الثقيلة جداً ، وكان لكلا السلاحين مدى طويل للغاية ،

يمكنها من الوصول الى مسافة بعيدة في جنوب انكلترا . وبعد وقت متأخر وصل امر هتلر الذي ينص على اشتراك رونشتد بالاستخدام التعبوي لهذه الاسلحة ، ولهذا الغاية وضعت بأمرته هيئة ركن خاصة ، اخفيت حقيقتها عمداً بالاسم التالي : - (المقرر العام للاستخدام الخاص) ، وكانت هذه الهيئة مؤلفة من ضباط ومهندسين من القوة الجوية وشعبة التموين وعينة الجيش وبعض ضباط المدفعية الثقيلة ، ولكن سرعان ما استبان ان هذين السلاحين لا سيما الرقم (٢) لن يكونا معدين للاستعمال قبل مضي وقت طويل ، لانها كانا لا يزالان رهن التجارب ، وقد بدت اخطاء كثيرة متنوعة في صنعها ، وذلك في التجارب التي جرت في شرق المانيا. لقد قيل ان مدى السلاح الرقم (١) يتراوح بين (١١٠ - ١٢٥) ميلاً ، ومدى الرقم (٢) يتراوح بين (١٦٠ - ١٩٠) ميلاً ، وان تحسيناً آخر قد يؤدي الى رفع مداه الى خمسمائة ميل او الى اكثر من ذلك فيما اذا سمح الوقت ، وكان المفروض ان السلاح الرقم (١) يستخدم اولاً ولم يكن وقت استخدامه معروفاً ، وكانت مواقع السلاح قد انتشرت بين (كاليه) ومصب (السين) وجرى ترتيبها وانشاؤها بشكل ابنية ريفية ، الا انه سرعان ما انكشفت هذه الاستحضارات لوكلاء العدو ولقوة الحلفاء الجوية ، ففرشت منطقتها ببساط من القصف ، وقد كانت مواضع السلاح الرقم (٢) بارزة للعيان بوضوح مما جعلها أهدافاً مناسبة للقصف المعادي . واقترحت القيادة الغربية بعد التجارب القاسية انشاء مواضع السلاح الرقم (١) بأسلوب اكثر بساطة وبصورة طبيعية ، حتى لا تكون واضحة للعيان ، فوافق هتلر على ذلك وبدأ انشاء هذه المواضع بشكل جديد يتراوح عددها بين التسعين والمائة .

وعندما بدأ الغزو عام (١٩٤٤) ، كان قد تم إنشاء ما يتراوح بين (٩٠ - ١٠٠) موضع من هذه المواضع بين كاليه وهافر . وكانت قضية السلطة المهيمنة على هذين السلاحين غير واضحة ايضاً ، فقد كان وراء السلاح الرقم (١) القوة الجوية ، ووراء السلاح الرقم (٢) عينة الجيش وشعبة التموين ، وكان بناء المواضع

مختصاً بمنظمة (تود) ، وكان الاستخدام التعبوي منوطاً بالقيادة الالمانية ، وعندما كان السلاح الرقم (٢) جاهزاً الى حد ما للاستعمال ، انتزعه رئيس الفستابو^(١) هملر من الجيش ا

كون رونشتد رأياً حذراً عن هذين السلاحين ، فقد اقتنع بأنها من غير شك يؤديان الى التدمير ، ولكنها لا يؤديان الى نتيجة حاسمة في الحرب ، فضلاً عن ذلك كان في السلاح الرقم (١) نواقص معينة . . . وقد حدث في بعض الاحيان ان انحرف هذا السلاح الطائر عن اتجاهه نحو العدو الى الخلف ، فسقط في بلجيكا ! وكان سبب ذلك يعود الى أخطاء في صنع جهاز قيادة هذا السلاح ، وقد خشي رونشتد ايضاً من ازدياد فعالية العدو الجوية في منطقة الجيش الخامس عشر ، فيؤدي الامر الى وقوع خسائر في قطعائنا تنوف على خسائر العدو في انكلترا . على كل كانت مشكلة هذين السلاحين الجديدين بكاملها فنية للغاية ، وقد استخلص رونشتد وهيئة ركنه ما أمكنه استخلاصه من معلومات عنهما من هيئة الركن الخاصة التي بامرتهم .

جربى استخدام السلاح الرقم (١) ليلة ١٢/١٣ حزيران (١٩٤٤) ، ولم يستخدم السلاح الرقم (٢) إلا في خريف (١٩٤٤) ، وبطبيعة الحال كانت المفارز الفنية لهذين السلاحين تحتاج الى قطعات مدربة تدريباً خاصاً .

لقد حدثت صدفة في مايس (١٩٤٤) أن أمر هتلر باجراء الرمي لأول مرة يوم ٦ حزيران أي في نفس يوم ابتداء الغزو .

كانت منشآت السلاح الرقم (٢) تقع بصورة رئيسية حول (آراس) في

(١) الفستابو : اسم هيئة الامن كما يطلق عليه في العراق . وهيئة المباحث كما يطلق عليه في الجمهورية العربية المتحدة .

(العرب)

(كونتلناتن) بين (كان) و (سنت لو) ومن ثم نقلت في وقت متأخر جداً الى هولندا .

جرت العادة في الجيش الالماني السابق على اصدار أوامر ووصايا ، وليست الوصايا امراً جازماً ، بل توجيهاً عاماً من القيادة العليا الى القادة الأقدمين حول الواجبات والنيات والخطوط الرئيسية لحركة مدبرة . لقد كان هذا الاسلوب اعتيادياً في الايام السالفة لا سيما في زمن مولتكة وشليفن ، وقد طبقته هيئة الركن الالمانية العامة في الفترة بين (١٩١٤ - ١٩٣٩) .

يؤخذ في هذه الوصايا بنظر الاعتبار المركز السامي والخدمة الطويلة وتجارب واستقلال القادة الأقدمين في العمل ، كما ان الوصايا تترك الحرية للقائد في تنفيذ الحركات كما يتطلبه الموقف .

على كل حال ، اختفى هذا الاسلوب الحصيف منذ سنة (١٩٤٢ - ١٩٤٣) بعدما استلم هتلر قيادة الجيش الالماني . وعندما اصبح قائداً أعلى ، أصدر أوامر مفصلة شخصياً او بواسطة هيئة ركنه دون ان يأخذ بنظر الاعتبار رتبة القائد مشيراً كان او عقيداً !!!

أدرك رونشتد منذ عام (١٩٤٣) بأن يديه ستكونان مغلولتين فيما اذا لاح خطر الغزو او أفلح العدو في الانزال ، إذ انه لا يكون قادراً حينذاك على ان يعمل بحرية تعودها خلال خدمته الطويلة البالغة احدى وخمسين سنة ، بل سيضطر الى ان يلتمس الموافقة قبل ان يُصدر اي قرار ، لذلك دأب على المطالبة بالحرية في العمل وباصدار وصايا عامة تصدرها له القيادة العامة ... ولكن مطالبه ذهبت ادراج الرياح .

غير ان رونشتد اتخذ موقفاً عملياً ، فأصدر أوامره للفحص بصورة نموذجية عن جميع نقاط الضعف في القيادة الغربية ، ولانجاز هذا الواجب شكلت هيئات

ركن في جميع الجيوش التي كانت بإمرته ، تتألف من ضباط من الجيش والقوتين البحرية والجوية ومن صنف الهندسة والمدفعية والدفاعات المضادة للدبابات ومهندسين من منظمة (تود) ، وكان على رأس كل هيئة من هذه الهيئات المختلطة لواء من الجيش .

كانت تقارير هذه الهيئات تقدم الى قائد الجيش المختص ، ومن ثم تقدم الى رونشتد من قادة الجيوش مشفوعة بمطالباتهم . ولغرض انجاز هذا الفحص النموذجي بأكبر ما يمكن من الدقة ، زُوِّدت هذه الهيئات بمجموعة من الاسئلة تتعلق بكل الدوائر للاجابة عليها ، وفضلاً عن ذلك منحت هذه الهيئات وقتاً طويلاً للقيام بمراقبة شاملة لمختلف القواطع في الجبهة الواسعة بكل حرية .

كانت اهم الاسئلة ما يلي :

- ١ - الحالة الراهنة وقيمتها العسكرية والصلابة والتجهيز والتنظيم وتدريب القطعات .
- ٢ - ابداء الرأي فيما اذا كانوا جاهزين للقتال أم أن هناك ما يحول دون ذلك .. وهل انهم صالحون للتعرض أم للدفاع فحسب .
- ٣ - فحص التحصينات الساحلية الدائمة وتحصينات الميدان المرتجلة كذلك .
- ٤ - قوة وتنظيم الحامية والاحتياطات والاسلحة والدفاعات .
- ٥ - هل التعاون بين عناصر القوة المسلحة الثلاثة وثيق ؟
- ٦ - فحص الخطة النارية للمدفعية والاسلحة الثقيلة .
- ٧ - هل كانت جميع التحصينات مزودة بصورة حسنة بالعتاد والخدمات الطبية والمدخرات والماء ؟ ...

٨ - هل كان نظام المواصلات بين جميع عناصر القوة المسلحة الالمانية
فعالاً ؟

٩ - ما هي التدابير المتخذة لمعالجة قطعات المظليين والقطعات الهابطة
خلف التحصينات ؟

١٠ - هل وضعت الاحتياطات بصورة تتيح تحريكها بسرعة ؟

هذه هي أهم نقاط الاسئلة التي اصدرها رونشتد ، وقد طلب من القائدين
العسكريين لباريس وبروكسل اللذين لم يكونا بامرة القيادة الغربية ، ان يشتركا
في فحص استحضارات منطقتيهما للدفاع .

وقد عُين ضباط من هيئة ركن القيادة الغربية للفحوص المشار اليها ،
وبذلك امكن اصلاح نقاط الضعف التي يمكن تصليحها محلياً . أما ما يتعلق
بالقضايا التي يصعب اصلاحها ، فقد تقرر تقديم تقرير عن نتائج الفحص الذي
جرى في الخريف الى هتلر شخصياً ... وقد قدم هذا التقرير فعلاً ، أما ما
حدث بعد ذلك فسنذكره فيما بعد . لقد أشعر رونشتد مقر الجيش الالمانى خلال
اواخر الربيع بدافع من ابداعه ، بأن ايطاليا قد تنحاز الى الحلفاء نظراً لتردي
الموقف العام فيها !

وقد ارسل هذا الخبر الى مقر هتلر ببرقية مقتضبة ، غير أنه لم يحظ
بجواب ، ولكن هذا الموضوع نوقش هاتفياً بين هيئة ركن رونشتد وبين
مقر الجيش .

لقد انتهت الحرب في افريقيا باندحار المحور ، وكان الحلفاء قد نزلوا في
صقلية ، وكان واضحاً بأنهم قد يعبرون من هناك وادي (مسينا) الى ايطاليا
الجنوبية ، وكانت جميع المعلومات تؤكد بأن القطعات الايطالية تقاتل بدون
اي رغبة ، وكانت القطعات الالمانية في ايطاليا قليلة جداً ، اذ كان المؤمل من

الايطاليين الدفاع بفعالية عن بلادهم على الاقل ، ولكن هذا الامل كان في غير محله . لقد كان تمرد الدوائر المتنفذة ضد موسوليني يزداد باطراد ، ولم يخف اغلب الضباط لا سيما ضباط الجيش اخلاصهم للملك .

ولم تعد المانيا قادرة على تزويد ايطاليا بمساعدات عسكرية وصناعية مؤثرة ، وكان على الايطاليين ان يقاسوا من فقدان ممتلكاتهم في افريقيا ، والآن يرون العدو يتهاى لقهر ايطاليا نفسها من الجنوب .

لقد كان واضحاً لرونشتد منذ امد طويل ، ان ايطاليا قد تنحاز للحلفاء ، وان نتائج ذلك على القيادة الالمانية ستكون خطيرة جداً ، اذ تكون منطقة القيادة مهددة باستمرار من الجنوب ، أي من ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، ولكن اذا استولى الحلفاء على شمال ايطاليا ، فانهم حين ذلك سيكونون وراء الدفاعات الغربية ، وبذلك تتمكن اسراهم من العمل ضد المانيا بسهولة من قواعدها الجوية في وادي (البو) ، كما يمكنها العمل من الجنوب الشرقي لاطاليا ضد فرنسا .

كان رونسشتد يخشى ألا يجشم الحلفاء انفسهم مشقة اخضاع ايطاليا بكاملها تدريجياً على البر بهجمات اسلوبية بطيئة ، فقد كان قلقاً جداً من انزال سريع في خليج (جنوى) او في (البندقية ^(١)) ، اذ يؤدي ذلك الى اجتناب كافة قتال الجبال المستحضر من (سالابريا) الى (البو) ، كما ان ذلك لا يؤدي لاطاليا فحسب ، بل المانيا والقيادة الغربية بصورة غير مباشرة في مراكز حيوية... ومن الواضح ان الحلفاء فكروا في هذه الخطة ، ولا بد انهم لم ينفذوها لأسباب وجيهة ، غير ان رونسشتد لم يكن على علم بتلك الاسباب في عام (١٩٤٣) . ان من يسيطر على ايطاليا يسيطر ايضاً على (سردينيا) و (كورسيكا) وعلى

(١) فينيسيا .

ساحل البحر الابيض المتوسط ، ومعنى ذلك تهديد الدفاعات الغربية من الجنوب ، خاصة وان ساحل فرنسا الجنوبي الذي جرى احتلاله لأول مرة في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٢) ، لم يحصن بعد تجاه أي مقصد او غرض ، بل رسمت ووضعت خطط تحصينه فقط دون تنفيذها !!

كانت القوات الالمانية بين الحدود الاسبانية بالقرب من (فندرس) و (طولون) ضعيفة جداً ، وكانت مدفعية الساحل رديئة ، وكان على هذه الوحدات ان تعتمد على تحصينات الميدان على قدر الامكان في النقاط الهامة جداً على الاقل ، وكان هناك فرقة او فرقتان من الفرق المدرعة الغربية الطراز في وادي (الرون) وحول (طولوز) ، ولكن كافة القطعات كانت تبذل باستمرار لاستخدامها في الجبهة الشرقية ، وكانت القوات البحرية والجوية الالمانية في سنة (١٩٤٣) اضعف بكثير من ان تتمكن من حماية هذه الجبهة الجنوبية الجديدة .

ولكن ما الذي سيحدث فيما اذا اضيف الى ذلك امتناع الجيش الايطالي الرابع بين (طولون) و (منتون) والذي كان يخضع لأوامر رونشتد التعموية - اذا امتنع هذا الجيش عن القتال ؟ وما هو موقف القيادة الغربية تجاه هذا الجيش ؟ وأين هي القطعات التي ستحل محله ؟ لقد كان الجواب وقتذاك بسيطاً : لم يكن هناك ابداً أية قوات متيسرة لاستخدامها بدلاً عن ذلك الجيش ! وربما يتسلم الجيش الايطالي اوامر من روما لقتال الالمان ، فما الذي سيحدث حينذاك ؟ كل هذا يفسر لماذا رفع رونشتد قبل اشهر من انهيار ايطاليا عدة تقارير لهتلر تنذره بهذه العواقب ، وكان من المناسب اجتناب كل ما يؤلم القطعات الايطالية او هيئة الارتباط الملحقه بالقيادة الغربية . لقد وجد اعضاء هذه الهيئة انفسهم في موقف صعب ، فهم كوسيلة من وسائل السياسة ، استلموا بطبيعة الحال وصايا سرية من روما ، ولكنهم كانوا من الناحية الاخرى مرؤوسين لرونشتد... لقد سهلت حكمة رونشتد موقفهم ...

عين هتلر الفريق (كودريان) في نهاية صيف (١٩٤٣) مفتشاً لصنف الدروع ، وبذلك اعتلى أكفأ رجال هذا الصنف أسمى منصب فيه ، ولكن تعيينه هذا كان مفيداً ايضاً لارشاد القيادات العليا - قيادات جمافل الجيوش وقيادات الجيوش التي كانت بامرتها وحدات مدرعة الى ما يتعلق باستخدامها الصحيح تعبويًا وسوقيًا .

ينبغي ان نعرف بأن اكثر القادة الاقدمين ومن ضمنهم اغلب ضباط الاركان العامة ، لم يخدموا بصنف الدروع ، وليس من شك في ان الاستخدام التعبوي والسوقي لهذا الصنف ربما كان يجري بصورة افضل في سني (١٩٣٩ - ١٩٤٣) لو ان استخدامه كان مفهوماً بشكل أوضح عند القادة الأقدمين .

لقد كان واجب كودريان إنعاش هذا الفهم بين القادة الأقدمين ، ولم يكن هذا واجباً سهلاً ، لأن كودريان لم يكن بإمكانه ان (يأمر) ولكن كان بإمكانه ان (يلتمس) و (يُقنع) فحسب ؛ ولأنه لا يستطيع الحضور في جميع الجبهات في آن واحد ، وكثيراً ما كان عليه ان يحضر في مقر هتلر او في محل آخر ، فقد استحدثت مناصب اضافية للدروع في أغلب القيادات المهمة ، وعين في القيادة الغربية اللواء (بارون كيرفون جوبن بيرك) قائداً لقطعات الدروع الغربية ، وكان ملحفاً بهيئة ركن رونشتد ومستشاره في كافة قضايا استخدام الدروع .

كان اللواء (بارون كيرفون جوبن بيرك) من (روتنبرغ) ومن صنف الخيالة ، وكان ضابط ركن معروفاً في كافة الاوساط بثقافته العالية ، وكان متفقاً مع رونشتد في الآراء السوقية ، إذ كلاهما يعتبر قابلية الحركة الجوهر الوحيد لفن الحرب الحقيقي ، لذلك فقد فضلاً وجود احتياط سيار قوي من الدروع تحت تصرف القيادة الغربية العليا ، وتصوروا ان تكون هذه الاحتياطات عدداً من فرق الدروع في جوار باريس ...

وفي تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ذهبت بصحبة رونشتد الى

دعوة خاصة في سانت جرمان ، وبينما كانت الجوقة تعزف بـ (البيان) دعيت فجأة الى الهاتف للتكلم مع مقر الجيش ، فأخبرت يحمل مقتضبة بأن ايطاليا قد انحازت الآن نهائياً وعلناً الى الحلفاء ...

لم يباغت رونشتد بهذه الأنباء ، ولا أراني بحاجة الى القول بأن الدعوة انتهت حالاً ...

كانت ايطاليا مهمة جداً بالنسبة لموقف المانيا العام ، لهذا قرر هتلر مصيباً الثبات في ايطاليا، ولو انه لم يقرر ذلك لاندحر الرايخ الالماني من اتجاه الجنوب، ولتسنى لقوات الحلفاء الجوية استخدام شمال ايطاليا قاعدة لهجومهم ، وقد أرسل هتلر الفرق الالمانية لاسناد القائد العام في الجنوب الغربي المشير (كيسر لوك) عندما بدأت روح القتال الايطالية تتردى يوماً بعد آخر ، فنقلت هذه النجيدات من فيينا وميونخ بالسكك الحديدية عبر الالب او من الغرب عبر مضيق (مونت سنيس) بالقطار على طوار ساحل البحر الابيض المتوسط ماراً بطولون - نيس - جنوى - الى ايطاليا . وكان خط السكة الحديدية من ليون خلال مونت سنيس والى تورين يمر على ارتفاع يربو على (٦٥٠٠) قدم خلال نفق مونت سنيس ، فاذا ما احتل او نسف هذا الجزء من الخط ، تعطل القطار واقتضى حينذاك تفريغ جميع القطارات من الجهة القريبة من النفق المخرب ، ومن ثم اجراء التحميل مرة اخرى من الجهة البعيدة منه ، غير ان كلا الخطين يمر خلال جبهة الجيش الرابع الايطالي والمنطقة الايطالية في شرق الرون . لقد كان من واجب القيادة الغربية نقل بضع فرق اكثرها من احسن الفرق الى شمال ايطاليا ، وقد أرسلت فرقتان من هذه الفرق على طريق السكة الحديدية الساحلية ، كما أرسلت فرقتان اخريان عبر مونت سنيس ، وعلى الرغم من عدم اعلان تخلي ايطاليا رسمياً الا ان الجيش الرابع الايطالي استلم وصايا سرية من روما ...

ولغرض تسهيل موقف الجيش الرابع الايطالي ، وضعت الفرق الالمانية التي كانت في منطقة الايطاليين بامرهم مع التماس السماح لها بالمرور عبر الحدود الايطالية ... لم يكن بمقدور ررنشتد ان يتصرف بحكمة أكثر مما فعله تجاه حليف عاق ... لقد بقيت هذه الفرق الالمانية أياماً في منطقة الجيش الايطالي ثم اعيدت ثانية الى شمال ايطاليا ببطىء شديد ، فأبي موقف نادر هذا الموقف؟!

ظهر أثر تبدل الوضع في ايطاليا واضحاً في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، وليس هناك من يلوم هتلر لصرامة رد فعله ، فقد امر اولاً القيادة الغربية ان تجرد جزء الجيش الرابع الذي كان بامرته فوراً من السلاح ، وكان هذا الاجراء لسوء الحظ ضرورياً في مثل هذا الموقف ؛ ويمكن القول عموماً بأنه تمّ بدون صدام ، فأصبحت بذلك الجبهة الفرنسية الجنوبية بكاملها من ميناء (فندرس) الى (مانتون) تحت سيطرة الالمان فقط ، وشكل من اجل ذلك الجيش التاسع عشر بقيادة اللواء القدير فون (سودنستيرن) .

امر هتلر بأن تسأل مفارز الجيش الايطالي المجرد من السلاح ، فيما اذا تريد طوعاً الاستمرار على للقتال بجانب الالمان أم لا؟ لقد كان امراً طبيعياً أن يرفض الايطاليون .. ولم توافق على القتال بجانب الالمان سوى بضع وحدات من المدفعية ، فوضعت بجانب الالمان على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، لأنها بطريات ساحلية ، ولكنها أصيبت بعد ذلك بمرض الحنين الى الأهل والديار ، وكان رونشتد كريماً ، فسمح لهم بأن يعودوا أدراجهم الى ايطاليا بدلاً من أسرهم ...

كان الموقف بكامله حرجاً ، لا سيما بالنسبة الى هيئة الارتباط الايطالية الملحقة بالقيادة الغربية ..

كان اللواء الممتاز (مارازاني) قد سبق استدعاؤه مبكراً ، وقد حاولت القيادة الغربية مساعدة بقية أعضاء الهيئة المؤلفة من ستة ضباط وعدد من ضباط

الصف بكل طريقة ممكنة ، فذهبنا معهم مرة الى الاوبرا في باريس ، وحقى الى (كوك) الشهيرة . لم يتمكن الايطاليون من تفهم موقفنا على حقيقته ، وحقى اليوم لا يزال عدد من هؤلاء الضباط الايطاليين يرسلون رونشتد ويراسلونني ، كما أن رئيس دائرة الجمهورية الايطالية اللواء مرزاني لا يزال يرسل رونشتد ، كما يفعل ذلك المقدم المتقاعد سكنوريني الذي يمتلك فندق فلورا الشهير في روما .

حدثت في هذا الموقف المرتبك حادثة خطيرة واحدة فقط ، وكان ذلك في مونت سليس . لقد ذكرنا سابقاً أهمية مونت سليس ، لذلك اعتبر هتلر وقوع هذا النفق المهم سالماً بيد الالمان كسباً كبيراً لهم ، اذ تمكنت القطعات الجبلية من الاستيلاء عليه بالمباغثة ، ولكن عندما تقدمت مفارز صغيرة فيه واجهتها مقاومة عنيفة عند مدخله الشرقي من القطعات الجبلية الايطالية ، ولقد نسف القسم الشرقي منه الذي كان محاطاً بأسلاك كثيرة ، فانهمر الماء في داخله ! وقد حدثت خسائر نتيجة لغازات المتفجرات ، وبذلك أصبح موقف هذه المفارز الالمانية الصغيرة صعباً .

ولأجل احتلال الهدف بسرعة ، تسلمت مفارز أخرى من القطعات الجبلية كلتا جهتي النفق وعلى السطح الشرقي للتمر ، وكانت المدفعية تسند هذه المفارز اسناداً جيداً ، فسقط هذا الهدف الهام بيد الالمان ، ومن بعد أصلح القسم المنسوف الى حد ما بعد شهرين من الاستيلاء عليه .

كيف كانت الأمور شرقي (منتون) أي في (الرفيرا) الايطالية ؟ هل كان القائد العام في الجنوب الغربي (كيسرلنك) يمتلك قوات كافية هناك لصد إنزال الحلفاء المتوقع في خليج جنوى ؟ لقد أصبحت القيادة الغربية والقيادة الجنوبية الغربية الآن متجاورتين بالقرب من (منتون) . كان (كيسرلنك) لا يزال يقاتل في جنوب ايطاليا ، فلم يكن بإمكانه الدخول في ميدان الحركات الذي كان

سينزل اليه الحلفاء بصورة مفاجئة بالقرب من جنوى ، ولذلك أصبح على رونشتد أن يجعل قواته الضعيفة باستثناء حاميات الساحل جاهزة للتقدم الى ايطاليا نحو جنوى ، ولو أن الحلفاء نزلوا هنا في (١٩٤٣) لما صادفوا مقاومة تذكر .. ولو أنهم قاموا بالهجوم نحو الغرب أي عبر الألب باتجاه (ليون) لسيطروا على قوات القيادة الغربية من الحلف ، ولو أنهم خلال هذه الأسابيع جسوا النقاط الضعيفة بين (موناكو) و (طولون) لواجهوا مقاومة ضعيفة فحسب ، لأن هذا القاطع لم يكن مهيباً للدفاع بدرجة مرضية ، بعد أن تركه الجيش الايطالي الرابع ، ولأمكنهم الاندفاع حينذاك الى الأمام نحو (ليون) ، أو التوغل حالاً نحو الشرق الى شمال ايطاليا عبر الألب .

لقد ازدادت مسؤولية القيادة الغربية بإضافة جبهة واسعة اليها بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك) ، وقد جرى في هذه الجبهة احتلال الممرات الجبلية الحيوية فقط بطريقة أمكن معها الاستفادة من التحصينات الفرنسية - الايطالية ، وكانت هذه النقاط القوية قد انشأت على أسس الدفاع من جميع الجهات ، لأنه لم يكن معروفاً عن تطورات القتال فيما بعد شرقاً أم غرباً ، وهكذا سبب انهيار ايطاليا نتائج خطيرة للقيادة العامة الالمانية عامة والقيادة الغربية خاصة .

امتدت منطقة رونشتد وجبهاته الى أبعد من هذا ، فاقتضى نقل خير فرقه الى ايطاليا ، كما احتل الجبهة الجديدة بقطعاته ايضاً ، فأثر كل ذلك على الجبهة الرئيسية في القنال والاطلسي .

ولأجل تعويق تقدم العدو على الأقل نحو الشمال او باتجاه الغرب في حالة حدوث انزال الحلفاء على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، امر رونشتد بإقامة عوائق دفاعية لحماية الطرق القريبة ، وكانت هذه العوائق مرتبة الواحدة تلو الاخرى في اودية الرون والكارون ، غير انه كان واضحاً بأن مثل هذه

الاساليب الواهنة لا تحبط ابداً هجوماً جدياً . يستطيع القارىء ان يكوّن فكرة عن صعوبة الواجب اذا قاس كافة جبهة رونشتد على الخريطة ، فقد كانت تمتد الى حوالي (٢٥٠٠) ميل ، اذا اخذنا الخليجان والهضاب الكثيرة لساحل القنال المحتل بنظر الاعتبار .

لا يمكن الاحتفاظ بمثل هذه الجبهة الواسعة بدفاعات مستكنة غير سيارة ، وبخليط من القوات المتفاوتة في قابلياتها تتراوح قوتها بين (٥٠ - ٦٠) فرقة ، الا بالخيال البعيد عن الواقع .

ينبغي دراسة الخريطة بعناية فائقة لتفهم الموقف بوضوح ، وبذلك يتسنى لنا ان نعرف لماذا اراد رونشتد ان يدير الحرب الدفاعية في الغرب على اسس تختلف تماماً عما يريده هتلر والاصرار على تطبيقها بكل دقة . لم يكن هناك احتياط قوي من صنف الدروع تحت تصرف رونشتد في المنطقة الكائنة حول باريس وجنوبها ، فهناك بضع فرق مدرعة خلف الساحل المشغول بحاميات ضعيفة ، غير ان قتالها في الشرق كان قد انهكها ، وسرعان ما تحركت الى ايطاليا او اعيدت الى الجبهة الشرقية ، وكانت هناك ثغرات واسعة في المنطقة الشاسعة ، وكان بالامكان الحركة بالسيارة ساعات طويلة في الغرب دون مصادفة قطعات المانية مقاتلة ، لذلك كان عمل (حركة الانصار) الفرنسية سهلاً ١١

وزعت تشكيلات مستجدة ضعيفة اخرى لكي تشاهد البزات العسكرية الالمانية في منطقة الساحل ، وكان مقر الجيش الالمانى قد ارسل قطعات اجنبية باستمرار من الجبهة الشرقية الى القيادة الغربية لهذا الغرض ، وكانت هذه القطعات مؤلفة من متطوعين فارين من الاتحاد السوفياتي وكانوا بصورة رئيسية من القوزاق ومن جورجيا والأرمن ... الخ من المتطوعين للخدمة ، اذ قد نقلوا الى المنطقة الغربية لئلا يتعرضوا للانتقام الروسي منهم ، وكانوا بامرة قائد

القطعـات الشرقـية (اللـواء الخـيـال كـوى سـترنـك) الـذي كان وـثـيقـ المـعرفـة بالـشرق منذ سـتـين عـديـدة خـلت . حـذر رـونـشـتـد مـقر الجـيـش الـالمـاني مـن خـداع خـرائـط المـوقـف ، فـان هـذه الخـرائـط الـتي كـانـت عـادـة بـمـقيـاس (١ / ١٠٠٠٠٠٠) لا تـقتـصر عـلى خـطـوط الجـبهـات عـلى حـافـة السـاحـل فـحـسـب ، بـل مـؤشـر عـلـيـها جـمـيـع الـقطـعـات الـتي كـانـت هـناك بـأعـلام صـغـيرة زـرقـاء . ان الشـخـص الـاعـتيـادي الـذي يـنـظر الـى هـذه الخـرائـط يـرضـى و يـسـره تـصـوّر الجـبهـات بـهـذا الشـكـل الجـذاب و يـرى ان المـناطـق الخـلفـية مـغطـاة بـقطـعـات كـثـيـفة ... ان هـذه الخـرائـط تـظـهـر دائـمـاً مـليئـة جـداً ... و لـكن هـيئـة الرـكن الـتي تـدرـس مـثـل هـذه الخـريـطـة ، تـعـلم بـأنـها تـمـثـل خـدعـة للـأبـصار ، لأن خـطـوط الجـبهـة الجـمـيـلة الـتي تـوحـي بـالثـقـة ، كـانـت فـي الحـقيـقة ضـعـيـفـة تـكـتـنـفـها الثـغـرات الواسـعة ، و كـانـت الـإشـارات الكـثـيـرة الـتي تـرمـز الـى الـقطـعـات غـير صـحـيـعة فـي دلالـتها ، و هـكـذا كـانـت هـذه الخـرائـط و سـبـيـلـة للـتـضـلـيل ؛ و لو ان فـنـانـاً اراد المـزاح فـجـهـل جـمـيـع هـذه الرـمـوز كـبـيـرة جـداً و وـاضـحة ، لأصـبـحـت مـثـل هـذه الخـرائـط ذات تـأثـير خـطـير .

كـثـيـراً ما حـذر رـونـشـتـد رؤـوسـاءه فـي مـقر هـتلـر مـن سـراب هـذه الـقطـعـات ، اذ لم تـكـن الـقطـعـات مـوجـودة فـي الـواقـع ، و لم يـكـن بـامـكان مـثـل هـذه الخـرائـط ان تـبـين فـيـا اذـا كـانـت الـامـور تـسـير سـيراً حـسـناً ام انـها لـيـسـت عـلى ما يـرام ، و فـيـا اذـا كـانـت الـقطـعـات قـويـة او انـها و حـدات رـديئـة !!

قـبـل ان نـنـتـقل الـى مـذكـرة رـونـشـتـد الخـطـرة الـتي عـالـجت خـطـورة المـوقـف فـي الغـرب ، نـورد قـصـة اسـتـمـتـع بـها المـشـير فـي و قـتها .

سـبق أن و صـفـنا مـدى الصـعـوبـات الـتي اكـتـنـفت فـتـرة انـهـيار اـيـطـالـيـا ، تـلك الصـعـوبـات الـتي جـاـهـنـها عـند إـمـرار الفـرق الـالمـانيـة الـى اـيـطـالـيـا خـلال المـنـطـقة الـتي اـحتـلـها الجـيـش الـايـطـالـي الـرابـع ، و ذكـرنا انـتـظار عـدد مـن الفـرق عـاطـلة لـمـدة ايام حـول مـديـنة (كان) و (نيس) و (مونـاكـو) للـشـروع فـي الحـركـة ، فـاسـتـغل

بطبيعة الحال الضباط وضباط الصف والجنود فترة الانتظار القسرية لزيارة منطقة (الرفييرا) الجميلة . كان ملازم شاب يستحم في شاطئ (موناكو) ، فتعرف بسيد وسيدة كانا يستحمان ايضاً . 'دعي الملازم لحضور حفلة رقص في المساء ، فلم يرفض الدعوة طبعاً ، وأبدى الضابط الشاب شعوراً رقيقاً نحو الأنسة ، فأعلننا رغبتها في الاقتران ، غير انه استبان بعد ذلك ان هذه الأنسة الصغيرة كانت ذات قرى وثيقة بأمير موناكو الحاكم ، لذلك اقتضى فتح مداولات رسمية ، لأن هذه الحادثة لم يكن لها سابقة .

اقتنع الامير بتزكية أمر كتيبة الملازم السعيد ، فاقتضى الامر ان تعرض المسألة على رونشتد وعلى دائرة الامور الذاتية في المانيا ، ولما كان الامر يتعلق بقريبة الامير الحاكم في (موناكو) التي لم تكن في حالة حرب ضد المانيا ، تدخلت الدبلوماسية في الموضوع ، فأخبر السفير الالماني في (موناكو) الذي كان قد أعيد الى منصبه في ديوان وزارة الخارجية الالمانية بهذه المسألة المعقدة ، فنشطت هذه الحرب الورقية بعنف ، لأن الأنسة كانت اجنبية ، واخيراً أصدر هتلر قراراً ضد الملازم المسكين .. مما أسف له رونشتد أسفاً شديداً ...

أوجزنا سابقاً بأن رونشتد اصدر وصاياه حول فحص شامل لجميع التدابير الدفاعية ، وانه شكل لهذا الغرض هيئات مختلطة كان عليها القيام بتفتيش دفاعات الساحل على هدي مجموعة من الأسئلة ، وقد وضعوا في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) تقارير مسببة قدموها الى القيادة الغربية ، فأصبح بالمقدور صياغة مذكرة عن الوضع السائد في الجبهة الغربية .

عزم رونشتد دون ان يكون مسرفاً في التشاؤم ، على اعطاء هتلر صورة واضحة للموقف العسكري في الغرب . ان من المهم بيان هذه الحقائق لكي نتفهم كيف ان النجاح لم يكن ليقصر سنة (١٩٤٤) على الانزال التاريخي في (نورماندي) ، بل انه سيحالف اي غزو في اي مكان آخر ..

وفيا يلي خلاصة مقتضبة للمذكرة :

١ - كانت خيرة القطعات قد نقلت الى ايطاليا والى الجبهة الشرقية ، وكان في منطقة القيادة الغربية بين (٥٠ - ٦٠) فرقة ، ولكن ما حقيقة هذه الفرق؟ لقد كانت فرقاً ساحلية ، تقيم دوماً في قواطعها المحصنة ، اي ان واجبها الرئيس هو صد الغزو ، وكان لها جبهات تتراوح بين (٢٥ - ١٠٠) ميل وحتى اكثر من ذلك ، وفي خليج (بسكاي) جنوب (بوردو) كانت القواطع واسعة سعة تضطر أمر السرية الى استعمال دراجة عند تفتيش مواضع سريته ، ويحتاج الى يوم كامل لانجاز ذلك !!

لم تكن هذه دفاعات ، حتى ولم تكن مواضع محمية ، بل كانت مجرد مراكز مراقبة ساحلية ..

كان في قاطع (اوستند - ابفيل) أقوى حامية بالقياس الى القواطع الاخرى ، ومن بعد ذلك يصبح الخط اضعف حتى (الهاغر) ، وكان في (نورماندي) و (بريتاني) قطعات قوية في القلاع ، ولكن ما بينها كان خفيفاً كالهواء ، ولم يكن بين (لاروشيل) و (بيارتيس) سوى مراكز المراقبة الساحلية التي تحتلها فرقتان او ثلاث فرق ضعيفة مسؤولة عن حوالي ثلاثمائة ميل . وكان يجوار (البرانيس) مجرد حماية للممرات الهامة جداً في الارض الفرنسية ، وكانت جبهة البحر الابيض المتوسط من (فندرس) الى (منتون) في طريقها الى الانشاء ، ولكن لا عدد الفرق ولا قيمتها العسكرية ولا التحصينات كافية للدفاع ضد هجوم الحلفاء .

اما في جبهة الألب بين (منتون) والحدود السويسرية بالقرب من (مونت بلانك) ، فلم يكن هناك سوى نقاط قوية في الممرات القليلة ، وبالإضافة الى هذه الفرق الساحلية الدائمة ، كان عدد الفرق متغيراً ، وكانت هذه إما من ضمن مجموعة الساحل واجبها واجبات الفرق الساحلية ، وإما كانت في الخلف احتياطاً

قريباً ، ولكن كثيراً من هذه التشكيلات كانت قد أعيد تنظيمها في وقت قصير ودون تدريب كاف . لقد كانوا يسمونها فرقاً ولكن كفاءتها في القتال كانت مختلفة ، وكان هناك أيضاً ما ذكرنا مراراً ، وهو الفرق المستجدة التي كان ينبغي لها في الحقيقة ان تمكث في المانيا ولكنها نقلت الى الغرب لكي تحسب فرقاً عسكرية حقيقية ، وكان على هذه التشكيلات المستجدة ان تحتل في بعض الاحوال قسماً من الساحل للقتال في الحالات الضرورية ، كما كان عليها ان تنشئ المواقف وتدريب مستجديها ليرسلوا من بعد امدادات للشرق ، وكان في منطقة رونشتد القطعات الشرقية الروسية بمختلف انواعها منظمة بأفواج واحياناً مندمجة في الفرق الالمانية لتعمل محل الافواج الشاغرة ؛ واخيراً كانت هناك قطعات الأمن التي بامرة القائدين العسكريين لباريس وبروكسل والتي أعيرت الى القيادة الغربية لغرض الدفاع الساحلي .

لقد كانوا بصورة عامة خليطاً مختلفاً من جميع التشكيلات الممكنة، وكثيراً ما كانت قابلياتهم العسكرية موضع الشك، وكان ينبغي تجربتهم قبل استخدامهم بواجب ما لمعرفة الواجب الذي يناسبهم . ولكن حتى هذه التجربة لم تكن كافية ، ولأجل التعويض عن الخسائر الفادحة ، كانت القيادة الالمانية مضطرة الى سحب أقوى الجنود واصفرهم سنّاً لارسالهم الى الشرق ، وكانت القيادة الغربية تعوض عنهم برجال اكبر سنّاً، وكثيراً ما كانوا من مصابي الحرب، وبذلك تزداد الفرق الغربية رداءة ...

وعلى سبيل المثال: كانت الفرقة السبعين مؤلفة من رجال يعانون اضطرابات المعدة بسبب الطعام ، ولم يكن الضباط ذوو الاطراف الاصطناعية تادرين في فرق كثيرة .

لقد قاتلت هذه الفرق بعد ذلك ببسالة ضد قطعات الحلفاء الغازية ، ولكن في حدود قابليتها فحسب . وكانت الفرق المدرعة الموجودة في الغرب ذات

قوة على الالتصال اكبر بطبيعة الحال ، وكان عددها يتراوح بين (٥ - ١٠) فرق ، وغالباً ما تبدل بين الشرق والغرب ، وكان عدد كبير من هذه الفرق بدون دروع نهائياً او محتوي على عدد قليل منها ، لأن الشرق ابتلع تلك الدروع التي صنعت حديثاً ، لذلك كان هناك بعض الفرق المدرعة بدون دروع ، وفرق فيها ثلاثون او خمسون او ستون عجلة مدرعة ، وكان وجود ثمانين عجلة مدرعة صالحة يعتبر نعمة كبرى ، وكانت فرق الصاعقة المدرعة افضل من فرق الجيش ، لأنها كانت في سنة (١٩٤٣) مجهزة بالرجال والمواد بكية افضل من فرق الجيش الى حد كبير .

٢ - انشاء دفاعات الساحل : - سبق أن ذكرنا الكثير عن هذا الموضوع . لقد كان اقوى الدفاعات ما يقع بين (اوستند) و (السوم) ، لأسيا على كلا جانبي (كاب كريكز - يلا) ، وكانت قوية على الساحل الهولندي الذي كان من ضمن منطقة رونسند ، ولكن الى الغرب والى الجنوب يصبح الجدار الاطلسي أضعف وأضعف ، ثم سرعان ما يتلاشى ، ولأجل تقويته أنشئت تحصينات الميدان ، ولكن لم تكن القوات اللازمة لتحسين المواضع متيسرة بسبب ضعف الحاميات ، اما عدم تعليق المشير أهمية كبيرة على هذا الخداع ^(١) ، فقد سبق لنا بيانه .

٣ - فقدان قابلية الحركة : تتطلب الحرب الحديثة درجة عالية من قابلية الحركة في الهجوم والدفاع ، ولكن الفرق الساحلية وفرق المشاة ايضاً كانت على الاكثر تعتمد على الخيل في نقلتها ، ويعتبر هذا من وجهة النظر الحديثة فقداناً لقابلية الحركة .

(١) يقصد خداع الدعاية الالمانية التي بالغت كثيراً بقوة ومتانة ورصانة الجدار الاطلسي لغرض تخويف الحلفاء من محاربة اقتحام هذا الجدار .

(المغرب)

لقد كان ذلك من أهم النواقص

٤ - شددت المذكرة - بعد هذا - على نواقص الدفاع ضد اندفاعات والمدافع الخارقة للدروع والمدافع المضادة للجو ، كما أكدت بالاضافة الى ذلك على عدم صلاحية تجهيزات صنف المدفعية وأسلحة المشاة الثقيلة المأخوذة من الجيوش الاجنبية المنهارة التابعة لجميع البلاد المحتلة ..

٥ - كان النقص في الوقود بارزاً الى درجة أن آمري الكتائب لم يكن بإمكانهم التجول بسياراتهم في قواطعهم الطويلة إلا مرات قليلة في الشهر . ان الأمور التي لا يمكن التطرق اليها الآن إلا بإيجاز ، عولجت بطبيعة الحال بصورة مفصلة كاملة من رونشتد في مذكرته ، وقد أرفق بهذه المذكرة عدداً كبيراً من المخططات ، ووصفت كل فرقة من هذه الفرق الستين على حدى حسب قابلياتها العسكرية .

كان على القائد العام لجحفل البحرية الغربي ان يقدم تقريراً مباشراً حول البحرية ، وكان التنويه الوحيد بالبحرية في مذكرة رونشتد يختص بتقويتها عددياً لكي تقوى على التأثير بخطورة في البحر ضد الغزو بواسطة مدمراتها وزوارقها البخارية القليلة العدد ، ولم يكن في وسع شجاعة العالم كلها ، ان تجعل هذا العدد القليل من البحرية مؤثراً ؛ وعلى سبيل المثال : وجدت الغواصات الالمانية عمقاً دون حاجتها لكي تقوم بواجبها في بعض المناطق الخطيرة !!

ورفعت القوة الجوية ايضاً تقريراً مباشراً بوساطة القائد العام للاسطول الجوي الثالث . لقد كان للقوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية عام (١٩٤٣) عدد قليل للغاية من الطائرات (القاصفة) والمقاتلات ، فلم تكن في وضع تستطيع معه مكافحة السيادة الجوية الانكلو - امريكية بنجاح .

ارسلت مذكرة رونشتد الى مقر هتلر في بروسيا الشرقية بيد ضابط في نهاية

تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، وقد وضعت حالاً امام رئيس الدولة .

لم يحدث أي شيء لمدة بضعة ايام ، ومع ذلك شعرت القيادة الغربية بأن هذا التقرير المبني على المنطق السديد ، لا بد وان يفتح عيني هتلر . ان اهمال القيادة الغربية لحد الآن لم يكن عن قصد بكل تأكيد ، بل أملته الضرورة . لقد كان القسم الاعظم من الجيش الالماني يقاتل ليلاً ونهاراً بين البحر الاسود وبحر البلطيق منذ (١٩٤٢) ضد الروس الذين تبين ان كتلهم تزداد دوماً . لقد اقتضى ارسال كل شيء قادر على الخدمة الى الشرق ، وكان القتال العنيف يجري في شمال افريقيا ايضاً ، وبعد انتهاء الحرب الافريقية وانهيار ايطاليا امتدت الحرب اليها نفسها ايضاً ، وكان الهدوء النسبي يسود الغرب فقط باستثناء الهجمات الجوية او الغارات الارضية البسيطة بين حين وآخر .

لقد تدهور الموقف الداخلي كثيراً في سنة (١٩٤٣) عندما بدأت حركة المقاومة تنمو وتشتد الى درجة التهديد السوقي .

كان رونشتد ينظر الى الامور دائماً نظرة شاملة عامة لا محلية ، وكثيراً ما كان يدقق خريطة الشرق اكثر مما يفعل في خريطة الغرب ؛ ولما كان قد مارس حربين في الشرق ، فقد كان يمعن النظر في قراءة تقارير الجبهة الشرقية مشوقاً اكثر من شوقه في قراءة تقارير الجبهة الغربية ، لهذا السبب وحتى نهاية سنة (١٩٤٣) ، لم يبتخل ايضاً بالتنازل عن فرقة للشرق او للجنوب ، والحقيقة انه قدّم فعلاً تشكيلات بمحض ارادته عندما شعر ان الامور تبدو يائسة في الشرق ، وهذا ما لا يفعله الا الاقلون من القادة بعيدي النظر ، اما اكثرهم فيتمسكون تمسكاً شديداً بما لديهم من قوات .

كان عليه الآن ان يخبر هتلر بأنه لم يعد في موقف يساعده على ارسال تقويات مستمرة على نطاق واسع الى الشرق ، او الى ايطاليا ، لأن الخطر في الغرب كان

في ازدياد مستمر . لقد كانت عليه مسؤولية ثقيلة جداً ، وقد حل الآن وقت تهيئة الرجال والمواد للقيادة الغربية ، على الرغم من جميع الاخطار المحدقة بالجبهات الاخرى ، وسوف نرى ما الذي عمله هتلر لتقوية الغرب .

كان القلق يزداد بين حين وآخر من نزول الحلفاء في البرتغال او في اسبانيا او في جزائر البليارد أي في الجنوب لغزو منطقة القيادة الغربية ، لذلك وضعت عدة خطط ذات اسماء رمزية ، وهي على كل حال ليست مما يستمتع بقراءتها القاريء الاعتيادي .

لم يكن رونشتد نفسه يعتقد بأن الحلفاء سيطبّقون مثل هذه الخطط ، وكانت أسباب اعتقاده هذا ما يلي : — ان ذلك يتطلب خرق الحياد ، وهو ما لا يقدم عليه الحلفاء لأسباب سياسية . كما انه كان ينظر نظرة عالية الى الاسبانيين ، وكان واثقاً بأنهم سيدافعون عن انفسهم ضد أي هجوم يقوم به الحلفاء او الالمان . كما ان هجوم الحلفاء في هذه الحالة لا يسد ان يسلك الطريق الطويلة عبر البرانيس باتجاه الشمال ، ولم تكن الطرق الاسبانية وشبكة السكك الحديدية منها بدرجة من الكفاءة تتيح للحلفاء اقامة قاعدة حركات في وقت قصير ، مع ان هذا سيكون ضرورياً لأجل البدء بغزو حاسم نحو جنوب فرنسا من هناك .

اعتاد رونشتد ان يقول عند مناقشته هذه الخطة : « ان الحلفاء ليسوا من الغباء بحيث ينتهكون حياد اسبانيا ، وان الاسبانيين لن يسمحوا بذلك . ان بإمكان الانسان الاعتيادي ادراك صعوبة تقدم الحلفاء من هناك عبر البرانيس والكارون واللوار ، وكل هذا يمكن الحصول عليه بثمن اقل يالانزال في القنال والاستناد على قاعدة امينة في انكلترا ، كما ان المسافة الى الرور من هناك اقصر منها في حالة انزالهم في اسبانيا ... »

لقد كان هتلر مصيباً في تقديره للاسبانيين ، فأمر باجتنباب كل ما يثيرهم ،

لذلك بقيت خرائط الحركات هذه في محافظ القيادة الغربية ، لأنه لم يطبق منها شيء .

لقد كان مقر الجيش الألماني شاعراً بأن الانزال في الغرب لا يمكن ان يتأخر كثيراً . لقد انتقل الروس الى التعرض ، وكانوا يدفعون الجبهة الألمانية التي تزداد ضعفاً الى الحلف بأعداد متفوقة تفوقاً ساحقاً ، وكان الكفاح يشق طريقه ببطء الى مسافات أخرى فأخرى مجتازاً قاطعاً قلو آخر من الجنوب الى الشمال ، وكان معروفاً بأن الحلفاء يهيئون استحضارات خطيرة للقيام بهجوم واسع النطاق في الغرب .

لقد احدثت مذكرة رونشتد التي قدمها في تشرين الاول (اكتوبر) تأثيرها على هتلر ، فأصدر اوامر جديدة بسرعة وحزم لتقوية القيادة الغربية على جعل الرجال والمعدات ، وبطبيعة الحال كان هذا الاجراء متأخراً جداً ، لأن افعال الجبهة الغربية لم يعد بالامكان تلافيه في بضعة شهور ، ومع هذا أنجز كل ما في المقدور حينذاك .

ان وصايا الفوهرر الرقم (٥١) كانت مسهبة للغاية بدرجة يتعذر ابرازها هنا بنصها الكامل ، ويكفي ان ننقل جوهرها .

فقد شدد هتلر في هذه الوصايا قبل كل شيء على ان غزو الحلفاء في الغرب محتمل وقوعه قريباً ، أي في سنة (١٩٤٤) ، وان نتيجة الحرب معلقة على نجاحه او فشله ، وكان من المتوقع حدوث الغزو على ساحل القنال في منطقة الجيش الخامس عشر ، اي بين اوستند والهافر بصورة تقريبية . وكانت وجهة النظر هذه تتفق مع وجهة نظر رونشتد ووجهة نظري ايضاً ، ولكن المبدأ الأساسي لتنفيذ هذا الامر كان : « ينبغي ألا يجري التخلي عن شبر واحد من الارض » ، ومعنى ذلك الاحتفاظ بالساحل بكل ثمن ، ولم يكن هذا ليعبر أبداً عن وجهة نظر رونشتد . لقد أشرت مراراً الى الاختلاف الرئيسي بين مبدأ

هتلر في الدفاع المستكن الجامد ومبدأ المشير رونشتد في الحركات السيارة الحرة، وينبغي ان نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا ، لأنها ستلعب دوراً يفوق في أهميته اي شيء آخر حتى تقاعد رونشتد في بداية تموز (١٩٤٤) ، وأهم من كل ذلك انه لم يتم تأليف الاحتياط المركزي الذي طلب تشكيله بالحاف من خمس الى ست فرق مدرعة وثمانى الى عشر فرق مشاة في منطقة باريس والى جنوبها . حقاً لقد كان هناك لهذا الغرض بضعة مقرات لقطعات التعويض عن الخسائر ووحدات تدريب ومدفعية الجيش وتشكيلات صغيرة اخرى متناثرة في ارض الساحل ، غير ان هذه لم تكن لتعوض عن الاحتياط السوقي الكبير الذي أراده رونشتد . يضاف الى ذلك ان رونشتد وُعد بامداده بقوات جوية مقاتلة قوية من الشرق ومن الرايخ ، فقد أخبر القائد للعام للأسطول الجوي الثالث المشير (اسبيرل) بعدد هذه التقويات ، وأخبر بدوره رونشتد بذلك ، وكان هذا التدبير ضرورياً جداً ، لأنه يكون الأساس الذي يركز عليه الدفاع السوقي الذي تريده القيادة الغربية ؛ ولكن ينبغي ان نعترف بأن هتلر كانت لديه اسباب حملته على اتخاذ شكل دفاعي جامد في سواحل الغرب ، وكان هتلر بمن يرون أن قوات المانيا لم تعد بوضع يسمح لها بالحركات السيارة في جميع الجبهات ، وقد امكن ذلك في الشرق فقط حيث المساحات الواسعة ان تطبق مثل هذه الحركات . وكان : أما الاحتفاظ بالساحل في الغرب اذ المساحات محدودة ، لأن التخلي عن الساحل يؤدي الى وصول العدو بسرعة الى الحدود الالمانية ويقدم قواعد الجوية الى الشرق .. كما ان جميع قواعد اسلحة النصر الرقم (١) و (٢) مقامة في الغرب ، وكان لا بد من ان نخسرها حالما يتقدم العدو داخل فرنسا .

لقد كانت هذه الاسباب جلية كل الجلاء ، غير ان رونشتد كان يرى خلاف ذلك ، فهو يرى ان المانيا خسرت الحرب عسكرياً على كل حال ، وان حلول النهاية يتوقف على الوقت فحسب ... ومن واجب السياسيين ان يجدوا مخرجاً اذ لم يعد الجندي وحده قادراً على تبديل هذا الوضع ، وفي الحقيقة كان رونشتد

وغيره من القادة يرون ان المانيا خسرت الحرب منذ اعلن هتلر الحرب على روسيا .

كانت اوامر الاحتفاظ بالساحل في جميع الظروف نظرية بحتة ، اذ لم تكن الدفاعات الضعيفة التي سبق لنا وصفها لتسهل تنفيذ مثل هذه الاوامر الصارمة ، لأنه يتعذر على الفرقة الساحلية الضعيفة الرديئة التجهيز ، ان تدافع عن قاطع يتراوح بين (٢٥ - ٣٠ ميلاً) ، وليس بمقدور الاوامر الصارمة ان تبذل ذلك ، ومن ثم لم يعد يسمح حتى في الشرق باستخدام الاساليب السيارة ، فقد جرى هناك ايضاً تطبيق (المبدأ اليائس) وهو : (اثبت حق النهاية) !! ..

كانت آراء رونشتد عن ادارة الحرب الدفاعية ، تختلف كل الاختلاف عن آراء القيادة العليا ، مثال ذلك : انه كثيراً ما عبر عن رأيه : « ينبغي التخلي عن جنوب فرنسا كله من جنوب اللوار وانصحاب جميع القطعات الموجودة هناك لتكون احتياطاً في منطقة باريس ، وذلك في حالة انزال الحلفاء عبر القنال ...

ان اقتراحاً رسمياً يقدم الى هتلر على ضوء هذه الفكرة ، يكون مصيره الاخفاق حتماً ، لأن رغبة هتلر السافرة ، هي : الاحتفاظ بالخمسائة والالفي ميل من الجبهة الساحلية بأسرها !

لقد اوضحت نتيجة لذلك هذه الفكرة للفريق (جودل) في رسالة بعد الاتفاق مع القائد العام ، ولا حاجة الى القول بأني لم استلم جواباً ... كانت مقترحات رونشتد بالنسبة لما كان يفكر فيه هتلر بدرجة من الهول جعلت (جودل) لا يتجرأ حتى على لفت نظر هتلر اليها .

ولكي يقتنع القارئ بنقص القوة الجوية الالمانية في الغرب في نهاية (١٩٤٣) ، نقتطف هنا الارقام التالية :

- ١ - طائرات الجيكر (المقاتلات الخفيفة) كان عددها (٣٤٣) طائرة ، وكان الصالح منها للخدمة (١٨٠) طائرة فقط .
- ٢ - المقاتلات (٣٤٠) طائرة منها (٢٥٠) صالحة للخدمة .
- ٣ - الطائرات القاصفة (٢٩) طائرة منها (١٣) صالحة للخدمة .
- ٤ - طائرات الاستطلاع البعيد (٨٠) طائرة منها (٢٨) صالحة للخدمة .
- ٥ - طائرات الاستطلاع القريب (٤٠) طائرة منها (٢٥) صالحة للخدمة .
- ٦ - المدافع المضادة للطائرات (٣٣٩) بطرية ثقيلة و (٤٠٢) بطرية خفيفة .

يستطيع حتى القاريء المدني ان يدرك بأن القيادة الغربية لم تكن تستطيع القيام بحرب دفاعية على طول (٢٥٠٠) ميل بهذه الاعداد التافهة تجاه سيادة جوية مطلقة للحلفاء . لقد كان هذا العدد الصغير المذهل للطائرات المتيسرة ناجماً عن قلة الوقود ، الذي لم يكن ليسد الا حاجة جانب من هذه الطائرات القليلة ، غير ان هؤلاء الطيارين الالمان صارعوا الالهوال ببطولة نادرة في كفاح يائس مما يستحق الاكبار والتقدير .

كانت قوة الحلفاء الجوية في بداية الغزو يوم ٦ حزيران ١٩٤٤ كما قدرها اللواء (فولر^(١)) في كتابه الممتع : (الحرب العالمية الثانية) كما يلي :

- ١ - طائرات قاصفة (٢٢١٩) طائرة .
- ٢ - طائرات نقل (٢٣٩٥) طائرة .
- ٣ - زلاقات (٨٦٧) زلاقة .

(١) من اشهر الكتاب العسكريين البريطانيين .

وكان هناك بطبيعة الحال أيضاً الطائرات المقاتلة ا وحتى لو كانت حقيقة هذه الأرقام أقل مما ذكرها (فولر) ، فإن السيادة الجوية للحلفاء كانت بادية للعيان . لم تكن القيادة الغربية حينئذ تعلم الشيء الكثير عن قوة ومقاصد العدو ، ولم يكن لديها جهاز جاسوسية خاص بها ، لأن خدمة الاستخبارات السرية كانت ضمن منطقة الدفاع التابعة للجيش الألماني ، فكانت القيادة الغربية تستطيع التقاط نتف من الاخبار من هذه السلطة أحياناً أو من مقر الجيش أو من مقر الأسطول الجوي الثالث أو من جحفل البحرية الغربي والقائدين العسكريين في باريس وبروكسل والسفير الألماني في باريس ، أو من طعبة الاستخبارات الخاصة بقوات الصاعقة .

لقد كان رونشتد يعمل دائماً تقريباً في الظلام ، وكان يستهدي المعلومات التي تأتيه من مقر هتلر ولو أنها كانت قليلة لا تغني وموطن ريبة . حقاً كان بالامكان طلب الاستطلاع الجوي من الأسطول الجوي الثالث فوق القنال وانكلترا أو غرب البحر الأبيض المتوسط حتى حوالي سردينيه ، ولكن هذه الطائرات لم تستطع غالباً الوصول الى أهدافها ، بل كانت ترغم على النكوص على أعقابها تجاه تفوق مقاتلات العدو الساحق . لقد كان في الامكان طبعاً الحصول على لمحات خاطفة هنا وهناك لا سيما في الاستطلاع الليلي عن التنقلات العسكرية في جنوب انكلترا ، غير انه لم يكن في هذه اللمحات فائدة كبيرة .

كان جحفل البحرية الغربي المؤلف من وسائط صغيرة قليلة ، اضعف كثيراً من ان يقوم باستطلاعات مستمرة ، فلم يتمكن إلا من استمكان بعض القوافل فحسب من حين الى آخر بالقرب من ساحل انكلترا الجنوبي ، ولكن ما هي الحقيقة ؟ لم يكن احد يعرف ماذا كان يجري هناك !.. لقد كان في انكلترا نفسها عدد قليل من الوكلاء مزودين بأجهزة لاسلكية ، وقد تمكنوا من اعطاء

بعض المعلومات من حين الى آخر. وعلى كل حال عملت خدمة الامن^(١) الداخلي البريطانية بصورة ممتازة وبقيت انكلترا بالنسبة لرونشتد ارضاً حراماً .

كان من المعروف في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) وجود جحفي جيشين في جنوب انكلترا ، احدهما بقيادة اللواء آيزنهاور ، والآخر بقيادة اللواء مونت كومري ، ولكن كيف تم تنظيمهما ؟ لم يكن احد يعرف ؟ على كل حال علم رونشتد بوجود تشكيلات كبيرة جاهزة في جنوب انكلترا ، وان تقارير خاصة بالانزال كانت تجري هناك ، وان منطقة الساحل اصبحت منطقة محرمة تحريماً كلياً على المدنيين ، كما علم بواسطة الشيكات الدبلوماسية للأقطار المحايدة ، بأن الأجازات كانت تلغى من حين الى آخر ، كما لاحظ بعض رجال الطيران الالماني تنقلات محلية لأرغال آلية كان اتجاهها نحو الجنوب واضحاً ، كما كان استراق الرسائل اللاسلكية للحلفاء مصدراً مهماً للألمان ، ولكن لم يجمع كثير من المعلومات .

وبالطبع روقبت باهتمام خاص المنطقة المحيطة بجزيرة (وايت) التي توازي (بورت سموث) ، ولكن تدابير الامن هناك كانت قوية بصورة خاصة . ينبغي ان نقرر الآن بأن رونشتد وهيئة ركنه نقحوا سنة (١٩٤٣) رأيهم الاصلي في توقع هجوم الحلفاء بين اوستند والهافر ، وكان انتباههم يتجه تدريجياً وبصورة متزايدة يوماً بعد آخر نحو (نورماندي) او (بريتاني) .

اعتقد رونشتد بأن منطقة جزيرة (وايت) يمكن ان تكون موضع الوثوب الى (نورماندي) بسهولة ، لذلك كانت التقارير ترفع الى هتلر مطردة بأن الغزو المرتقب لا يزال يحتمل توجيهه ضد (نورماندي) . لم تكن المرافىء الاصطناعية

(١) خدمة الامن: هي خدمة المباحث كما يطلق عليها في الجمهورية العربية المتحدة، والمكتب الثاني كما يطلق عليها في الجمهورية العربية السورية .

(العرب)

في هذا الوقت معروفة إلا قليلاً^(١) ، وقد فرض بأن العدو قد يقوم بانزال في محل مكشوف على الساحل ، ولكن في منطقة ذات مرافئ سوقية ، وكانت (شاربورغ) مرفأً سوقياً يمكن فصلها بجرأ من جانبيها . لقد ازدادت الشكوك حولها بالنظر الى أن حالة الساحل والمياه بين مصب (السين) و (شاربورغ) غير ملائمة من وجهة نظر الاسطول لانزال واسع النطاق ، فلم تكن هناك أسس ثابتة يستند اليها التنبؤ بالانزال ، لان وسائل الاستطلاع كانت محدودة للغاية .

كانت الامور بالنسبة لشعبة استخبارات الحلفاء اسهل من هذا كثيراً ، اذ كان تحت تصرفها قوة جوية متفوقة تفوقاً ساحقاً واستطلاع جوي ممتاز ، وكان العدو مسيطراً على البحر ، وكان تحت تصرفها ايضاً شبكة جاسوسية متوغلة منظمة تنظيمياً دولياً وهي ذات اوكار في سويسرا والاقطار الأخرى ، واكثر من ذلك فان خدمة الجاسوسية للحلفاء كانت تستطيع العمل تقريباً دون عقبات في فرنسا او بلجيكا وهولندا ، ومن ذا الذي كان يعترضها ؟ لم يكن هناك دفاع ذا اثر تجاهها ، وكانت تستطيع ان تحظى بتأييد الكثيرين من السكان ، لا سيما بين حركة (الانصار) التي كانت خطورتها في ازدياد مستمر .

نحن نعلم بأنه كان يوجد حوالي ثلاثمائة كلمة رمزية تستعمل للاتصال السري بين انكلترا وحركة (الانصار) في الغرب ، وعلى سبيل المثال : كانت إحدى هذه الكلمات الرمزية ما يلي : « كلب الصيد يقتنص الارنب » ، وكانت تدل على معنى يختلف تماماً عن معناها الظاهر ، وكانت معاني ما يقرب من مائة وخمسين كلمة رمزية معروفة لدينا ، اما معاني القسم الآخر من الكلمات فلم نكن نلم بها . على كل حال نتج عن استراق الرسائل اللاسلكية في هذه المنطقة

(١) اي غير معروفة بالنسبة للامان . لأن الحلفاء كانوا يعملون ليلاً ونهاراً لإنجاز صنع هذه المرافئ الاصطناعية .

(العرب)

— على الأقل — بعض ما يجدي ، ولكن على العموم لم تسنح لرونشتد حق ابتداء الغزو فرصة تمكنه من النفوذ الى ما وراء الستار الذي اقامه العدو ! وكان يعلم بأن الهجوم سيكون خلال انسب فصول سنة (١٩٤٤) ، ولربما تم ذلك في مايس ، ولم يكن يعرف اكثر من هذا !

لقد صوّرت ثقافة منابع الاستطلاعات الالمانية في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) بقصة فكاهية دعت الى الاغراق في الضحك ، فقد وردت يوماً ما أنبياء تنذر باتجاه اسطول نقل كبير كان يتحرك نحو الشرق خلال خليج بسكاي الى (لاروشل) او الى (بوردو) ، فأنذر الجيش الاول حالاً الذي كان مسؤولاً عن تلك المنطقة ، وطلب الى الاسطول الجوي الثالث وجحفل البحرية الغربي اجراء الاستطلاع وتعيين ماهية ذلك الاسطول بصورة تقريبية ، ومع وجود بضع طائرات فوق الهدف ، فانها لم تتمكن من معرفته بدقة ، ولم يتسن معرفة ماهية هذا الاسطول حتى اقتربت بضع مدمرات بحرية من هذا الاسطول الغامض ، فعرفنا عند ذاك ما هو : سفن صيد اسبانية مسالمة ! لقد كانت مبحرة من شمال اسبانيا ، فألقت شباكها بعيداً الى الشمال ، ولذلك اصبحت موطن شك في انها اسطول غزو معاد ، ولكن رونشتد لم يستلم الأنباء الحقيقية حولها حتى انه . . . نهار ذلك اليوم . وهناك فن خاص في تضليل العدو تعبويًا وسوقيًا لتوجيه اهتمامه توجيهًا خاطئًا ، لذلك كانت الاخبار الكاذبة تنشأ عن قصد في الدوائر الدبلوماسية في باريس او بين السكان . حاول رونشتد ان يقوم بخدعة سوقية بهذه الطريقة في سنتي (١٩٤٣ - ١٩٤٤) مستهدفًا افهام العدو بأن احتياطات قوية ستنتقل الى جنوب فرنسا ، وكان ذلك يتطلب خطة دقيقة في جميع تفاصيلها ، لأن خطأ منطقيًا او نفسيًا واحداً قد يؤدي الى وأدها في المهد . وفضلًا عن ذلك كان من اللازم تضليل السلطات العليا والقطعات نفسها ايضًا ، فحينما يعتقدونها اعتقاداً جازماً يستطيعون إنجاز ادوارهم التضليلية بصورة مقنعة .

جرى البدء بهذا التضييل في المانيا ، فوصل ضباط من الرايخ الى منطقة القيادة الغربية لنقل القطاعات الجديدة من هناك الى الجنوب ، كما التُمست السلطات الفرنسية لتأمين مناطق لتأمين تلك القطعات وإسكانها ، كما تلقت السكك الحديدية الفرنسية وصايا حول التنقل ، واستلم القادة العامون للجيش المرؤوسه الأوامر الخاصة بإسكان القطعات ؛ لذلك آمن كل واحد بورود هذه التقويات التي لم تصل مطلقاً . ولغرض ابقاء تأثير هذا التضييل فترة قصيرة ، تحركت قطعات صغيرة بالقطارات المهيأة للغرب حسب جدول التوقيت ! كان رونشند يعلم بأن مثل هذا التضييل ربما يكون مجدداً لمدة تتراوح بين الأربعة والستة اسابيع ، ولكن ليس اكثر من هذا ...

لقد أصبح وجود جهاز السكك الحديدية مهماً للغاية ، لأن المانيا في تلك الفترة لم تكن تمتلك اسطولاً كبيراً للنقل او اربطاً آلية تمكّنها من الاعراض عن السكك الحديدية ، لذلك كانت السكك الحديدية السوقية الكبرى التي تمتد من الرايخ الى المنطقة الغربية ومن ثم شبكة السكك الحديدية فيما بين هذه الاقطار لا سيما تلك الممتدة الى جنوب فرنسا والبحر الابيض المتوسط ذات اهمية حيوية قصوى . كانت هذه السكك الحديدية يديرها الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون ، وقد قام هؤلاء بواجبهم رغبة لا رهبة غير مكترئين بما لحقهم من خسائر. لقد سبق ان ذكرنا بأن رونشند كافأهم باطلاق اقرب ذري قربانهم من الأسر الالماني .

ونستطيع القول بصورة عامة ، بأن جهاز السكك الحديدية الممتاز ، كان لا يزال سليماً في الغرب عام (١٩٤٣) ، وقد جرت اعمال تخريبية من حركة المقاومة الشعبية (الانصار) بصورة مزعجة لا سيما في جنوب فرنسا ، فسببت خسائر خطيرة وخروج كثير من القطارات عن السكك الحديدية ، وازداد رمي القطارات الواقفة والمتحركة من متسلي العدو ، وكانت الغارات الجوية الكبرى والقصف الشامل لا يزالان قليلين عام (١٩٤٣) ،

وكانت تقدم الى رونتشتد اسبوعياً ومن بعد يومياً مع خرائط مؤشر عليها اعمال النغريب والغازات الجوية بألوان مختلفة . وقد وضع تدريجياً من هذه الخرائط بعض نبات العدو ، وكان من الواضح انه يمكن الاستدلال ايضاً على اقتراب اجل الغزو في عام (١٩٤٤) ، من طبيعة القصف وعمل حركة المقاومة الشعبية !!

لقد وضع في نهاية عام (١٩٤٣) لأولئك الذين كانوا في السلطة ، بأن الغزو المتوقع لا بد وان يتمخض عنه عام (١٩٤٤) ، اذ ارغمت السياسة الحلفاء على القيام بهجوم على نطاق واسع في الغرب ، وكانت القيادة الغربية قد علمت من دبلوماسي الاقطار المحايدة ، بأن ستالين كان يلحف في طلب هجوم تقوم به القوى الغربية ، فقد تبين انه اخبر الحلفاء بأن الروس وحدهم يصارعون العدو في حرب حقيقية حتى الآن ، وانه مضطر الى تغيير سياسته ان لم يلب طلبه عاجلاً .

عرضت تصاوير مؤتمرات زعماء الحلفاء على رونتشتد ، فاستدل منها بأن الروح السائدة بين الحلفاء حينذاك لم تكن على ذلك القدر من الوثام الذي تظهره دعاية الحلفاء للناس ، ولربما امتلكت القوى الغربية بشأن الحرب في الشرق بين الروس والالمان قد تستمر امدأ طويلاً جداً ، ولربما توقعوا بأن الجبهة الالمانية الشرقية ستكون اكثر ثباتاً ، ولكن اسباباً سياسية عليها حتمت الآن الشروع بالغزو الذي تمت استحضاراته منذ مدة من الزمن .

لم يباغت رونتشتد عام (١٩٤٤) بالهجوم العظيم ، حتى موعد حلول شهر الغزو كان واضحاً له وضوحاً كافياً ، فقد توقع الغزو خلال شهر مايس او حزيران استناداً الى احوال الطقس البحري والجوي ، ومع ذلك فلا عجب من اقتران ليلة الغزو الفعلية ووقته اي يوم ٥-٦ حزيران (١٩٤٤) بقدر معلوم من المباغتة ، لأنه لم يكن في استطاعته معرفة ذلك بالضبط ، نظراً لأن القيادة الغربية كانت لا تمتلك غير جهاز محدود للاستخبارات .

— عام الغزو

كان مبلغ علم رونشتد بالحقائق في وقت غزو الحلفاء ما يلي : — بقي رومل بعد سقوط إفريقيا دون عمل وبلا منصب ، وكان هتلر يعلق آمالاً كباراً على هذا المشير الشاب الذي كان مليئاً بالحيوية والابداع والذي احبه رجاله كثيراً ، وكان رومل نفسه يريد أن يكون في الخدمة الفعالة ، كما كان يفتش عن فرصة تعوضه عن اندحاره الذي لم يكن يستحقه في إفريقيا .

وكان المشير (كيسلرنك) القائد العام للجبهة الجنوبية الغربية يقاتل في إيطاليا ، وكانت جبهته في ذلك الوقت بعيدة الى الجنوب في الحذاء الطويل ^(١) ، لذلك قرر هتلر أن يعين المشير رومل في هيئة ركن جحفل الجيش (ب) في شمال إيطاليا ، وكان واجبه السيطرة على دفاعات خليجي جنوى والبندقية ضد الانزال في مؤخرة كيسلرنك ، وكان مسؤولاً أيضاً عن احضار القويات الألمانية الى إيطاليا عبر الألب حتى الحدود ، ومن ثم إرسال هذه القوات جنوباً الى جبهة كيسلرنك ، وكان عليه بالإضافة الى ذلك أن يشرف على تجريد القوات الإيطالية من السلاح بصورة ودية نظراً لخبرته بالإيطاليين ، ويعيد تنظيم القطعات الإيطالية

(١) تشبه خريطة إيطاليا حذاء طويل ، ويقصد المؤلف بتعبيره : « الى الجنوب في الحذاء الطويل » أي في جنوب إيطاليا .

التي تبقى متمسكة باخلاصها للاتحاد ، وذلك في حالة انهيار ايطاليا .

لم تلاثم هذه الواجبات جنودياً مثل رومل ، كما كان تقسيم الواجبات في ايطاليا رديئاً رداءته في القيادة الغربية ، لأنه ينبغي حصر المسؤولية بقائد عام واحد لا بقائدين عامين ، فكان من المنتظر نشوء صعوبات نتيجة للاحتكاك من تضارب المسؤوليات ، حتى لو كان لدى المشيرين أصدق النيات الموجودة في العالم . وتمكن من القول مجازاً : بأن رومل كان منافساً لكيسلرنك ، ولذلك عرض كيسلرنك على هتلر اختيار احدهما وافراده بالقيادة وحده في ايطاليا ، فنشأت في هيئة ركن الجيش الالماني فكرة حل هيئة ركن جعفل الجيش (ب) ، ولكن هتلر امر بتقوية هذه الهيئة ، إذ توقع حدوث قضايا هامة في الجبهة الغربية او في جبهة اخرى ، لذلك اراد الاحتفاظ بها في الاحتياط ، ولكي يشغل رومل وهيئته الى أن يتسنى له إيجاد منصب ذي مسؤولية خطيرة لهم في محل ما ، قرر هتلر أن يسند الى رومل مهمة تفتيش الدفاعات الغربية ، فزوده بوصايا لم تستطع القيادة الغربية معرفة ماهيتها بالضبط .

كان الغرض من تعيين رومل ما يلي :

أ - تعريفه بذلك القاطع من الجبهة الغربية الذي قد يكون القاطع الحاسم ، أي جبهة القنال .

ب - شد أزر تدابير الدفاعات الغربية بالمشير الشاب المتمتع بثقة هتلر التامة والذي له علاقات وثيقة بأعضاء الحزب النازي ومنظمة (تود) والوزير (اسبير) وكوبلز .. وغيرهم ، وبذلك يستطيع الحصول على أي شيء منهم .

ج - استغلال تجربة رومل في القتال ضد البريطانيين .

كانت هذه النقاط الرئيسية الثلاثة في الحق هي جوهر الوصايا الخاصة التي اصدرها هتلر الى رومل ، وقد أيد بعدئذ ضباط ركن اقدمون من بطانة هتلر

الواجبات الرئيسية في هذه الوصايا ، وقد تحدث رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) مع رومل على مدى هذه الخطوط ، وكان هتلر بطبيعة الحال قد أمر رومل باخبار رونشتد عن نتائج هذا التفتيش .

كان كل هذه التدبير بطبيعة الحال سيء الطالع كالتدبير الذي اقترح سابقاً في ايطاليا ، فأما أن يبقى هذا القائد العام او ذاك . اذ لا يمكن ان يكون مسؤولاً إلا واحد لا اثنان .

لم تكن هناك اختلافات شخصية بين رونشتد وبين رومل اكثر مما كان بين رؤساء ركنيهما ، بل على العكس من ذلك ، ولكن لم يكن بالاستطاعة اجتناب قدر هائل من التطاحن ، نظراً لتوزيع الواجبات هذا الذي يؤدي الى التداخل بين الشعب الادارية لكلا الهيئتين . لقد صرح رومل مراراً ، بأنه مرؤوس لرونشتد فقط ، كما ان رونشتد بسبب سنه وتقاليده ونشأته بلغ شأوا بعيداً في السمو أعلى كثيراً من أن يعتبر ظهور رومل ماساً به ، وعلى العكس من ذلك فكثيراً ما أفصح ضمن الدائرة التي ألفها والمحيطه به عن تقديره له ، كما كان قد فهم بالضبط لماذا كان يبحث المشير الشاب عن فعالية جديدة له .

كان من حق رومل ان يتصل بهتلر مباشرة ، لذلك لم يكن بالاستطاعة اجتناب اشتباه الجيوش التي كانت بقيادة رونشتد بأيهما في المسؤولية : رونشتد أم رومل المفتش الخاص وقد أدى ذلك ايضاً الى قطاحن شديد بين شعب الدوائر ، اما في تنظيم القيادة فقد أثر ذلك على كلا عنصري القوات المسلحة الالمانية اي الاسطول الجوي الثالث وجعفل البحرية الغربي .

امتد تفتيش رومل لاستحضارات الدفاع على الساحل الغربي حتى الدانمرك ، اي انه تجاوز منطقة رونشتد . لقد أحاط هتلر مقدماً القيادة الغربية علماً بالواجبات التمهيدية لرومل المفتش العام للساحل الغربي .

وصل الفريق (كايتمل) الى باريس في تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٣) لهذا الغرض بأمر من هتلر ، وذكر بأن هتلر يستهدف اجراء تبديل في الاشخاص ، وان رومل سيكون بامرة رونشتد في حالة الاستخدام التعبوي لجحفل الجيش (ب) ، كما أوضح كايتمل رأي هتلر في رومل وهو : « انه ليس قائداً سوقياً ، ولكنه جندي مقدم عملي ماهر في القضايا التعبوية » ؛ ومن المفيد ان نذكر هنا بأن هتلر كان دائماً يشير الى ان المشير (كلوكا) سيكون خلفاً لرونشتد عند مرضه ، وقد اخبر رونشتد بذلك مبكراً .

رغب رومل عند وصوله الى الغرب مع رئيس ركنه في ذلك الوقت اللواء (كوز) في اجراء مباحثات تمهيدية مع رونشتد ، وأفصح عن رغبته في ان يكون مقره قريباً من الساحل ، وبذلك يتسنى له الاتصال الوثيق بالقيادة الغربية ، فوافق رونشتد على ذلك ، ودبر امر تنقل رومل وهيئة ركنه (مقر جحفل الجيش ب) الى (فونتنبلو) .

زود رونشتد رومل في كانون الاول (ديسمبر) عام (١٩٤٣) بوصاياه الخاصة عن الموقف العام في الغرب ، وبمقاصد غزو الحلفاء المتوقع ، وبالامكانيات الحقيقية للدفاع ، وكان جوهر تلك الوصايا ما يلي :

يوجد في انكلترا حوالي ستين فرقة كاملة مجهزة تجهيزاً كاملاً ، ومزودة برجال من الدرجة الاولى ، وقد أجرت هذه الفرق تمارين في الانزال ولا تزال ، اما فرق العدو المدرعة وفرق المظليين فقد خنت ما بين الثمانية الى العشرة فرق ، ولا تتيسر معلومات اكثر من هذا عن العدو ... لأن استطلاعنا كان من الضعف بحيث لا يستطيع الحصول على كثير من المعلومات المفيدة .

على الرغم من هذه الانطباعات ، لم يكن مستطاعاً حتى ذلك الوقت معرفة مكان الانزال بالضبط ، كما لم نتأكد من يوم الانزال ، وبما أنه شخص جحفل

جيشي انكلو امريكي على خط (دوفر - بلايموث) ، فان الهجوم قد يقع على اي جزء من جبهة القتال . وكان اسطول الحلفاء الموجود في موانئ انكلترا يبدو مؤلفاً من قطع حربية صغيرة ، وقد تبين ان السفن الكبيرة كانت في المرافئ الوسطى والشمالية لانكلترا ، إذ بالامكان حشدها في أية نقطة ، وكانت السيادة الجوية المطلقة بيد الحلفاء ، فلم يكن الاسطول الجوي الثالث في موقف يجعله ذا أثر حاسم في القتال ، ولكن وعد هذا الاسطول بارسال نجمات جوية مهمة اليه حالما يبدأ الغزو .

قد يكون موعد الغزو يوماً من ايام الاشهر بين مايس وأيلول (١٩٤٤) ، إذ يصبح الجو حينذاك ملائماً ، وكان ساحل القنال هو المنطقة المهددة ، لأنه أقرب طريق الى الراين المكشوف غير المدافع عنه ، ولأن مثل هذا الاندفاع سيؤدي الى بتر منطقة القيادة الغربية بكاملها عن المانيا بضربة واحدة . لم يكن الغزو متوقعاً في هولندا ، لأن ارضها لا تساعد على تنقلات قطعات جسيمة إلا قليلاً . لا سيما اذا كانت تلك القطعات مزودة بالدبابات ، كما كان الساحل محصناً تحصيناً قوياً . . . وكانت قنوات كثيرة وانهار وارض مشبعة بالمياه تساعد على تقوية الدفاعات الالمانية .

من دراسة كل ذلك لم يستبعد الانزال في نورماندي ، ولو ان ذلك يؤدي الى اطالة وقت الحركات ، بالنظر لأن الطريق التقريبي منها الى المانيا بعيد ، ولكنه ليس خطيراً كالطريق التقريبي من (كاليه) الى المانيا .

واخيراً لم يستبعد احتمال نزول العدو على كلا جانبي (الهافر) ، لأجل الوصول الى باريس مدفوعاً بأسباب سياسية ولأجل رد (الاعتبار) .

وكان الانزال ممكناً في (بريتاني) ايضاً وكذلك جبهة خليج (باسكاي) ، ولكنه غير محتمل نظراً لضرورة الاسناد الفوري للقطعات الارضية بناقلات

جوية ، ولا يمكن الحصول من الانزال في خليج (باسكاي) على نتائج سوقيّة ذات بال ، لطول الطريق منها الى المانيا ، وبالعكس من ذلك فقد بقي ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي مهدداً ، اذ في الامكان مهاجمته من ايطاليا او افريقيا او من (سرديلية) و (كورسيكا) ، لهذا كثيراً ما ثار الجدل حول التخلي عن ساحل جنوب فرنسا ونقل القوات التي تحتله الى المنطقة الوسطى الكائنة حول باريس .

وزوّد رومل بمعلومات وافية عن القطعات وتجهيزاتها وأسلحتها وإنشاء التحصينات وغير ذلك ، وكان رونشتد أثناء حديثه مع رومل يشير متهاكماً الى (الجدار الاطلسي) ، ناعثاً إياه باسم : (جدار الدعاية) ، وأخيراً علم رومل بعدم تيسر احتياط سوقي مؤثر لا سيما من الدروع وفرق المشاة الجيدة . لم تكن هناك مواضع في الخلف ، بل كان هناك مجرد خط مؤشر على الخريطة يمتد تقريباً : من (سوم - مارن - ساؤون - الحدود السويسرية) ... ونظرياً فقط .

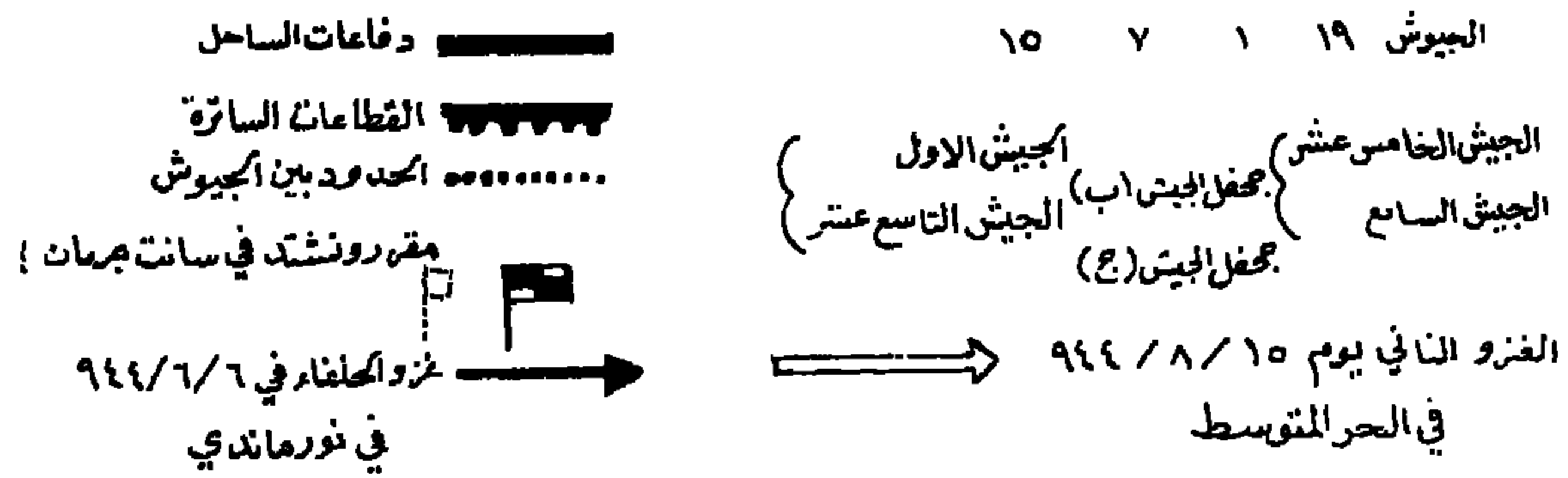
انتهت المناقشة مع رومل بتعليق رونشتد المختصر المفيد : « تبدو الأمور قائمة ، ١ »

كان تأثير رومل واضحاً ، ولكنه كان قوي الأمل في سرعة معالجة الموقف ، بتأثيره العظيم على هتلر وعلى من يليه من رجالات الرايخ ، وقد ذكر رومل في المانيا بصورة خاصة خلال دعايات (كوبلز) ، وكثيراً ما كان اسمه يظهر في نشرات الاخبار الاسبوعية .

والحقيقة ان المفتش العام وقف نفسه على واجبه بحماس عظيم ، فقد ارتأى دون ملل كل قسم من الجبهة اساحلية ، متنقلاً من جيش الى جيش ومن فيلق الى فيلق ومن فرقة الى فرقة ، وببذل جهده في انجاز وصايا هتلر في تقوية التدابير الدفاعية ؛ ولكنه لم يكن يستطيع اصدار اوامره الى الجيوش ، لأنه كان



منطقة الشيرونشتد (القيادة العربية)
قبل الغزو مباشرة



اولاً وقبل كل شيء مفتش الفوهرر ليس الا ، وبطبيعة الحال حدثت ملاحاة عنيفة بين المفتش وبين القادة العامين الذين كانوا بأمره رونشتد ، فأدى ذلك الى التجاني بين القادة الغربية وبين رومل ، مما حدا برونشتد الشهم ابدأ الى ان يقترح على هتلر تبديل الموقف .

لم يكن هناك احتمال اكتفاء رومل بواجبه الحالي ، لأنه كان بسبب (لا فافخاً ولا ضارماً^(١)) ، لذلك قدّم رونشتد الى هتلر المقترحات التالية نزولاً عند رغبة رومل : ضم رومل وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) الى منظومة الدفاع ، وجعله مسؤولاً عما يلي :

أ - القيادة التي تشمل قاطع الدفاع في الاراضي المنخفضة ، اي في ساحل هولندا .

ب - الجيش الخامس عشر بين اوستند وغرب الهافر ومصب اللوار ، اي يشمل شبه جزيرة نورماندى وشبه جزيرة بريتانى ، لذلك كان لرومل اخطر قاطع اي قاطع القنال وشبهها الجزيرتين المذكورتين . والآن اصبح (رومل) هو المسؤول عن هذه المنطقة ، يتمكن من اصدار اوامره في منطقته بصفته قائداً هاماً لها .

كان جحفل الجيش (ج) متصلاً بقيادة الفريق (بلاسكوويتس) وبأمرته ما يلي : -

أ - الجيش الاول من مصب اللوار الى (بيارتيس) اي جبهة خليج باسكاي .

ب - القطعات الساترة على السفوح الشمالية للبرانيس .

(١) مثل عربي سائر ، معناه : لا في العير ولا في النفير ، اي انه ليس في منصب مؤثر له قيادة معينة وواجب معين ذي اثر حاسم على سير الحرب في الجبهة الغربية الالمانية .
(العرب)

ج - الجيش التاسع عشر في البحر الابيض المتوسط من (فندرس) الى (منتون) .

د - القطعات الساترة في الألب بين (منتون) و (هونت بلانك) .

وهكذا كان بإمرة رونشتد باعتباره قائداً عاماً في الغرب ما يلي : -

أ - جحفل الجيش (ب) بقيادة رومل .

ب - جحفل الجيش (ج) بقيادة بلاسكوويتس .

وفضلاً عن ذلك يتعاون مع الاسطول البحري الثالث وجحفل البحرية الغربي وكلا القائدين العسكريين ، وبعد استفسارات اخرى لهتلر وافق على اسس اقتراح رونشتد هذا ، وأصدر اوامره اللازمة حول ذلك ، ولو ان نظام جحفل الجيش (ج) لم يأخذ شكله هذا الا مؤخراً . لقد احدث هتلر بالطبع تغييراً ولكنه كان تغييراً ظاهرياً فقط ، وفي جنوب فرنسا كان من المحتمل ان يقر بلاسكوويتس في قيادة جحفل الجيش (ج) ، ولكنه لم يفعل ! وذلك لأسباب شخصية فقط ، اذ ان بلاسكوويتس كان جندياً ممتازاً ، ولكنه كان غير محبوب من هتلر كثيراً ، فوصل الى منصب قائد جحفل جيش فقط ، ولربما لم يرغب هتلر في ان يجعله نداً لرومل ، على كل نشأت الآن علاقات واضحة بين رونشتد ورومل ، اذ كان لكل منهما واجب معلوم مسؤول عن انجازه ، ولكن بقيت بعض المشاحنات في الايام الاولى ، لأن رومل كان لا يزال مفتشاً لجميع السواحل ، وبهذا كان له الحق ان يشرف على جبهة جيوش بلاسكوويتس من الناحية الدفاعية ، ولكن هذا الحق ذهب من تلقاء نفسه ايضاً ، لأنه اصبح مشغولاً بتقوية قاطعه الخاص .

جرت في باريس في مستهل سنة (١٩٤٤) تمارين عن الثمين ، حضرها مدير الميرة في الجيش ، وكان الأساس السوقي في التمرين من عمل رئيس شعبة حركات القيادة الغربية الفريق القدير (زمرمان) الذي اشرنا اليه سابقاً .

كانت الأسس التي بنيت عليها التارين مشابهة للحقيقة الى حد بعيد ، وقد مثلت الموقف كما كان إبان الغزو تمثيلاً قريباً جداً من الواقع ، فقد فرض قيام الحلفاء بانزال قوې من الجو في (نورماندي) وانزال على الساحل الشمالي في (كوتنتين) .

ظهر قلق هتلر عن الغرب لاسيما بعد مذكرة رونشتد المسهبة التي قدمها اليه في تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٣) ، فأرسل رئيس اركان الجيش الالماني الفريق (جودل) الى الغرب ، ولم يكن هذا شيئاً اعتيادياً ، لأن هتلر كان لا يرغب في ابتعاد أعضاء بطانته عنه الا في حالة الضرورة القصوى .

كان على (جودل) ان يفتش ساحل القنال اي الجيش الخامس عشر ، وجيش اللواء بارون فون (بتلر) وهو الجيش السابع (نورماندي) و (برتياني) واللواء (ويرلي مونت) في الساحل الجنوبي ، وإخبار هتلر بموقفهم .

قام (جودل) بإخبار رونشتد بموقف الجيوش ، فانتهمز رونشتد الفرصة ليعبر عن رأيه الصريح لرئيس اركان الجيش الالماني عن الموقف العام وعن أساليب القيادة العليا . انه يمكن القول بصورة موجزة أن هناك رأيين متعارضان يسودان في الغرب :

أ - يرى رونشتد ورئيس هيئة ركنه ورئيس شعبة الحركات ، انه يتعذر الاحتفاظ بالساحل نفسه على جبهة ألفين وخمسمائة ميل بوجود قوات ضعيفة ، إذ يتمكن العدو من النجاح بتحشيد منابعه القوية لاختراق اي نقطة من دفاعات الساحل الرديئة العديمة المرونة ، والنتيجة ان الفرق تستطيع إعاقه ازال العدو وتأخير بلا شك ، ولكن ينبغي ان يصبح الدفاع في الغرب من بعد ذلك سياراً ، اي يصبح دفاعاً سوقياً ، لذلك من الضروري وجود احتياط مركزي كبير حول باريس وهو ما أشير اليه مراراً ، ومن الضروري وصول النجندات الجوية الموعودة .

ب - يرى رومل على ضوء تجاربه في افريقيا وايطاليا ، ان الامر ينحصر في الاحتفاظ بالساحل ، ولهذا الغرض يرى وضع جميع الفرق ومن ضمنها الفرق المدرعة في الجبهة الساحلية او ورائها مباشرة .

لقد كانت عقيدة رونشتد سوقية ، اما عقيدة رومل فكانت تعبوية .

لقد كان على رونشتد باعتباره قائداً عاماً ، ان يضع نصب عينيه أنه مسؤول عن جميع الجبهات ، بينما كان بإمكان رومل ان يتفرغ للقسم الخاص به من القيادة الغربية . لقد كان مفهوماً بأن رومل ينبغي ان يكون مهتماً بقاطعه الوحيد من القتال فقط ، بينما كان على رونشتد ان يكافح الغزو الذي قد يحدث على خليج باسكاي او سواحل البحر الابيض المتوسط ، فما العمل حينذاك ؟؟

عندئذ قد تكون جميع فرق المشاة الصالحة للخدمة وجميع الفرق المدرعة مشتبكة على الساحل او على مسافة قريبة خلف الساحل ، بحيث يتعذر سحبها الا بصعوبة وتحت تأثير نيران العدو ، فما هي الوسائط التي كانت لدى رونشتد لصد هجمات اخرى في منطقته الواسعة ؟ كان لرومل على كل حال اسباب قوية لا يُجادل فيها عاقل ، ولكن رونشتد كان له مثل ذلك ؛ فكان هناك رأيان متضاربان ومسؤولية ثنائية مزدوجة في آن واحد ؛ ولو كان رومل قائداً عاماً في الغرب مسؤولاً عن المنطقة بكاملها ، لاحتفظ بلا شك ببضع فرق مدرعة جاهزة على بعد مناسب في الخلف حول باريس ، حتى يتمكن من استخدامها في جبهاته الاخرى التي تمتد الى ألفين وخمسمائة ميل . جرت مناقشات أكاديمية كثيرة حول ذلك ، وستجري حولها مناقشات اخرى ايضاً ، ولكنها في الحقيقة بسيطة جداً ، فلو كان يُعرف بالضبط في أي قاطع سيجري الانزال ، فان جميع القوات حينئذ توضع هناك سلفاً بهدوء ، كما يمكن ايضاً دفعها الى الامام حتى الجبهة الساحلية ، لكن اذا لم يكن معروفاً اين سينزل العدو بالضبط ، واذا لم يكن هناك ضمان بأنه سيصل الى تلك الجبهة فحسب وليس الى جبهة اخرى ،

فحينئذ لا تجرأ القيادة العليا على ربط قواتها في جبهة واحدة . لقد وضع جودل هذين الرأيين المتناقضين امام هتلر .

حصل انطباع خاص عند مبعوثي هتلر بوجهات نظر اللواء (ماركس) الذي كان يشغل منصب قيادة (نورماندي) والذي كان رجلاً معروفاً في الجيش بقابليته ، فقد صرّح دون تمويه بأنه بالفرقتين والنصف التي بقيادته لا يستطيع القيام بواجب الدفاع عن الساحل بل حتى ولا بواجب التعويق ، واذا وضعت قطعاته فلن تكون جبهة الساحل غير ستار رقيق يمكن اختراقه من أي نقطة في وقت قصير ! لقد اصبح جودل مقتنعاً بأن من المتعذر الاحتفاظ بالساحل بمثل هذه القوات القليلة التي تحتل خطأ دفاعياً رقيقاً ، واتفق مع وجهة نظر رونشتد بضرورة وجود احتياط قوي من الفرق المدرعة حول منطقة باريس .

وافق هتلر بصورة عامة على تقارير رئيس اركان جيشه ، وتمسك تمسكاً شديداً بالدفاع الفوري عن الساحل حسب فكرة رومل ، ولكنه وافق على تشكيل احتياطات القيادة الغربية حول باريس على ان تؤلف هذه الاحتياطات من فرق مدرعة كانت في الشرق وتحتاج الى اعادة التنظيم ، اذ لم يعد في الامكان تأمين فرق جديدة ، وبالإضافة الى ذلك اصدر اوامره بوضع هذه الاحتياطات تحت سيطرته ايضاً ، وكان ذلك شرطاً مشروطاً كما سيتضح اخيراً .

كان هتلر معروفاً بميله الى المبالغة في تقدير قيمة المنظومات الدفاعية والتحصينات التي أشرنا اليها سابقاً ، وقد اقتنع او تخيل بأن خطأ ازرق على طوار الساحل يحتوي على عدد من التحصينات وكثير من الحيل الفنية يؤدي الى اغلاق الساحل بوجه المهاجم اغلاقاً محكماً ، فقد كان يمين النظر بخرائط موقف بديعة على منضدة الخرائط ، تبعد عن الحقيقة مسافة ستائة ميل !! لقد كان لهذه الخرائط اثرها في تهدئة اعصاب اولئك الذين يمتازون بالطبيعة العصبية ، وربما بوغت هؤلاء مباغته غير سارة ، لو تهيأ لهم مشاهدة حقيقة مقدار ضعف

وفقر هذه الحاميات في مناطقها . لقد كان هتلر يحلم بإبعاد النكبة عن المانيا بمجرد الدفاع وذلك لثقلته بالحديد والسمنت ، ولتزايد قلقة من تعرض الحلفاء الذين كانوا يستحضرون له ، وقلقه على جميع الجبهات في الشرق والغرب والجنوب .

بدأ هتلر يتذبذب بأرائه ثانية نتيجة لقوة تأثير رومل عليه ، ومن الضروري ايضاح ان هتلر لم يكن ابدأ ذا ارادة قوية كما كان يتظاهر ، فقد كان رونشتد والذين يعرفون هتلر معرفة حققة ، يعلمون بأنه متردد يسهل التأثير عليه من أي شخص يعرف الطريقة النفسية المناسبة له ، وكثيراً ما بذل في الشرق الفريق هلدن رئيس اركان الجيش اقصى جهوده لاقتناعه بشيء ما ، فاذا به يصدر فجأة اوامر مغايرة ؛ وهذا معناه ان شخصاً آخر قد تقدم باقتراح آخر ، فأثر الفوهرر اقتراحه .

اعتاد رومل الاتصال بهتلر هاتفياً كل يوم تقريباً ، اما رونشتد فلم يكن يفعل ذلك مطلقاً ، وفي الامكان عند الوقوف عن كذب من رومل حينما يحاور هتلر ، ان يلمس حرارة الحديث بينهما ، اذا كان كل منهما يوقد حماسة صاحبه ، فضلا عن ذلك كانا يتكلمان ساعة حول المخترعات الفنية التي كان رومل يحبها حب هتلر إياها .

لم يخفق تأثير رومل القوي المستديم في إحداث انطباع على هتلر ، وكان هذا هو السبب الذي حدا بكوبلز وهملر وسبير والشخصيات الاخرى البارزة الى رعاية رومل وإقناع هتلر باتباع مقترحاته !!

وما من شك في ان رومل المندفع قد تمكن بتأثير إيمانه الذاتي وبمساعدة قادة الحزب البارزين من ان ينقل هتلر الى اتجاه قريب من اتجاه تفكيره ، فنتج عن ذلك التخلي قبيل الغزو عن جهاز الدفاع الغربي كله — ذلك الجهاز الذي كان قد استنفد مدة طويلة في اعداده وفقاً لمبادئ اساسية ، ولكن



المشير فون رونشتند (في اليمين) وعلى يمينه
المشير رومل قائد جحفل الجيش (ب)
« اخذ التصوير في ربيع ١٩٤٤ »

يلبغي ان تؤكد هنا بأن الخصام والتطاحن بسبب هذه الحقائق ، لم ينل من العلاقات الشخصية القائمة بين المشيرين : رونشتد وزومل .

كان رومل معتداً برأيه ، وكان وثيق الصلة كثيراً بهتلر ومعولاً على هذه الصلة ، ولكنه جعل نفسه مرئوساً لرونشتد طوعاً وهو منشراح الصدر ، فكانت علاقاتها ودية ، وكان هذا ينطبق ايضاً على رئيس هيئة ركن رومل الجديد الفريق الدكتور (سبيدل) الذي خلف اللواء (كوز) في ربيع (١٩٤٤) .

كان (سبيدل) ضابط ركن فطناً للغاية ، وكان له ذكاء فطري في تلطيف جو الخصام الذي كان من المنتظر نشوبه بين هيثي ركن رونشتد ورومل .

كان كل من رئيسي هيثي الركن للقيادة الغربية وجحفل الجيش (ب) قد عرف صاحبه منذ سنة (١٩٢٠) وعملأ معاً منسجمين ، وقد وضعاً نصب اعينها بالطبع قائديهما العامين ، كما اعتبرا أن من واجبهما التدخل كلما ظهر سوء تفاهم بين هيثي ركن المشيرين .

كان رونشتد في شباط (١٩٤٤) مجازاً في (بادتويلز) من أعمال بافاريا ، وكان وكيله بطبيعة الحال الضابط الذي يليه في القدم وهو المشير (سبيدل) قائد الأسطول الجوي الثالث ؛ وقد طلب اليّ المشير (رومل) وقتئذ تفتيش دفاعات ساحل (بريتاني) معه ، فسنحت لي بذلك فرصة مؤاتية لمعرفة رومل معرفة دقيقة . استمرت الجولة حوالي ثلاثة ايام وامتدت من (سنت نازير) خلال (اللورين) و (بريست) الى (سنت بريوس) ، ومن ثم الى قيادة الجيش السابع في (ريمس) الذي كان يشغل هذه المنطقة الفريق (دولمان) . كان رومل ينهض مبكر ويبدأ يومه حوالي الساعة الثامنة ، وكان يشرف دون كلل أو ملل على القطعات ويستجوب أمرها ويطلب اراءه جهاز الدفاع ،

وكان يبدي انتقادات حادة عندما يجد الأمور لا تتفق ورغباته ، وكان الملاحظ أن آمري الوحدات كانوا وجلين من رومل ، وكانوا يتنفسون الصعداء ساعة يفادهم ، وكانت تسبق زيارته همسات تسدر ! . كان لرومل اهتمام خاص بالمهندسين ، واعتاد ان يصرح فرحاً بأن فن الهندسة كان يستهويه اكثر من كل شيء عندما كان تلميذاً في الكلية العسكرية ، وكان يستصحب دائماً في جولاته التفتيشية قائد هندسة جحفل الجيش (ب) اللواء الدكتور (ميز) بالإضافة الى مستشاره البحري الأميرال (رانج) ، وكان من اليسير عليّ باعتباري محايداً ان الحظ مقدار ما يستنفد رومل من جهده للأساليب الفنية في الدفاع . كان أم ما يشغله ليلاً ونهاراً في ذلك الوقت ثلاث مشاكل :

١- حقول الالغام : لم يكن يستطيع الحصول على ما يكفي من الالغام ، وكان يطلب الملايين منها لزرع حقول واسعة ، وقد جعل المعامل الفرنسية تشتغل لإنتاجها بعد اخفاقه في الحصول على عدد كاف منها من المانيا . كان خياله الخصب يمدّه دائماً بأفكار جديدة ، وهكذا أراد إخفاء حقول الالغام هذه تحت شجيرات العوسج ، وكانت تخطر على باله اكثر الاساليب دهاء وحيلة عندما تزرع حقول الالغام الكاذبة لاجل التضليل .

٢ - كان الاسم الفكاهي الذي أطلقته القطعات على هذه الغابات الكبرى من الأوتاد التي أقامها هو : (فاكهة رومل المفضلة) ، وكان الغرض من هذه الاوتاد إعاقه هبوط العدو من الجو في المناطق المهددة ، فراودته فكرة تقوية هذه المناطق بجذوع الاشجار التي يتراوح ارتفاعها بين العشرة والخمس عشرة قدماً مؤملاً أنها ستعيق الطائرات من الهبوط ، فزرعت صناعياً (بوقار) أعداد لا تحصى من الأشجار ، وذلك بغرزها في الأرض ، وعزم على استدعاء السكان الذكور ليقوموا بهذا العمل ، واذاًع بأنه سيطعم العمال ويمنح الأجور للمتطوعين ، فهرعوا ! وهكذا برزت صورة تستحق الملاحظة : هي قيام

القطعات الالمانية والمتطوعين الفرنسيين للعمل معاً بهمة عالية لزرع هذه الاشجار .

٣ - كان اهتمامه الخاص منصرفاً الى الموانع في الساحل الأمامي ، وقد أراد بهذه الموانع عرقلة إنزال زوارق العدو على السواحل ، لذلك كان يغرس خلال فترة الجزر خطوطاً كاملة من الأوتاد العريضة فيكون منها حواجز ذات رؤوس مدببة . كان هذا عملاً شاقاً إذ كثيراً ما قلعت زوبعة ما المجموعة بكاملها وجرفت الأوتاد المخلوعة الى البر ، ولكن هذه الموانع البسيطة لم تشبع رغبة المشير الألماني ، فقد خطرت بباله فكرة تزويد كل وتد منها بلغم يثبت في قمة التود قمة له . من الممكن أن نتصور مقدار الجهود الجبارة التي كان على القطعات أن تبذلها لأجل تجهيز هذه الجبهة الواسعة بكل هذه الموانع ، وبطبيعة الحال كان الوقت والجهد والمواد غير كافية لتقوية جميع الجبهات ، لذلك اقتضى الاكتفاء بتحسين أكثر القواطع تعرضاً للتهديد ، وكان رومل ينزعج كثيراً إذا لم تبذل الوحدات - حسب رأيه - جهداً كافياً في العمل ، ولم يكن ليسمح بأي عذر !!

كان من الممتع عندما يتوقف رومل في وقت متأخر من المساء في محل ما لقضاء ليلته هناك ، وكان يختار عادة في مثل هذه المناسبات مركز استراحة للجنود ، حيث يستطيع إزجاء التحية لمرضات الصليب الاحمر . لم يكن رومل يدخن ، وكان يأكل ويشرب قليلاً ؛ وحينما كانت هيئة ركنه الجواله تتجمع في المساء حول مائدة العشاء ، كان هناك شعور صادق بأن رومل بعيد جداً بأفكاره عنهم : كان عقله يبحث بصورة مستمرة عن افكار جديدة .. فلم يكن ليهتم بالمناظر الطبيعية ولا بالأبنية التاريخية . لقد كان جندياً فقط .. وكثيراً ما كان يخرج قلماً وورقة اثناء وجبة الطعام ، فيخطط عليها بعض الافكار الفنية الجديدة ومن ثم يسلمها لقائد هندسته ملتصقاً منه إبداء آرائه حولها في الصباح التالي قبل البدء بالعمل ، وكثيراً ما كان يدفع رجال الهندسة

والمدفعية البحرية إلى العمل لمساءلة القطاعات الأخرى ، كما كان يطلب منهم دائماً مقترحات جديدة .

كان يذهب إلى الفراش مبكراً جداً ، وذلك ليتمكن من البدء بعمل جديد منتعشاً في الصباح ، وكان معتاداً على استصحاب اثنين من الخبزين للصحافة كانا يلتقطان التصاویر له في كل فرصة ممكنة وينشران في الصحف: رومل على الساحل . وغيرها ... وغيرها ...

ينبغي بلا شك أن نسلم بأن رومل لم يكن مشوقاً وشجاعاً وفعالاً ومليئاً بالأفكار فحسب ، ولكنه كان أيضاً ذا موهبة في التصور ، وكان قد عزم على إغراق قطاعات واسعة من الأرض. خلف الجيش الخامس عشر ، ولكن رونشتد رفض هذه الفكرة ، لأنه لم يدخل فيها حساب الأهلين الفرنسيين هناك ، ومع ذلك فقد كانت هذه الفكرة صحيحة من الناحية التعبوية ، وحينما أوشك اليوم الأخير من هذه الجولة أن يبلغ نهايته في (دنيس) ، بدأنا منها بسفرة إياب مثيرة خلال (المانيس) إلى باريس ، وكان قد سمح لبطانته بالمسير أمامه وبقي يسوق سيارته خلفهم بصحبي فقط ، فانتهمز رومل هذه الفرصة لكي يفتح قلبه على مصراعيه .

بدأ بمحدث متصل منذ مغادرتنا (دنيس) ، وكان حديثه يدور بصورة رئيسية عن الحرب في شمال إفريقيا ، فعدد انتقادات مرة لعدد من الشخصيات ذوي المناصب الرفيعة التي لن تتطرق إليها بشيء خاص ، وقد وصف الصعوبات العظمى التي لاقاها في قيادته الإفريقية والتي كانت نتيجة لرداءة التنظيم بشكل لا يصدقها العقل لأولئك الذين كانوا في القمة . كانت الأوامر تصدر إليه عن هتلر وموسليني ومقر الجيش الألماني ، بل وحتى القيادة العليا في روما أصدرت أوامرها إليه ، كما فعل أيضاً ماريشال الرايخ كورنك ، فكيف يتسنى لرجل مثل رومل أن يقود في ظروف يتدخل فيها مثل هذا العدد الكبير من الأفراد والسلطات ؟

لقد كانت الاحوال شبيهة للغاية بما حدث في الغرب كما سبق ذكره ، كما كان رونشتد ايضاً قد تعذر عليه اتخاذ التدابير المناسبة لسبب وجود التعديدات الكثيرة التي تشلّ حريته في القيادة .

لقد انتفع الجيش البريطاني حينما اضطر الى الانسحاب الى الحدود المصرية بعد قتال مرير ، إذ اصبحت نقاط تموينه المكيّنة وقواعده خلفه مباشرة على قناة السويس ، ولكن رومل من الجهة الثانية تحطم قلبه حينما لم يعد بالامكان تزويده بالتموين الضروري له على خطوط المواصلات الطويلة . لقد كان لديه حوالي الثمانين من الطائرات المقاتلة الخفيفة (الجيكر) الصالحة للخدمة وشيء قليل من الوقود والعتاد ، وكان عدد دروعه قد نقص الى درجة خطيرة ، وكانت مواد التموين تنقطع على الطريق البحري وعلى طوار الساحل بتأثير القوتين البحرية والجوية البريطانيتين ، وكان المحور قد فقد كلا السياتين البحرية والجوية في البحر الابيض المتوسط ، وقد غرق كثير من السفن الالمانية التي كانت محملة بالعتاد والتقويات والوقود . لقد رفع رومل تقارير مبكرة حول هذه الاخطار الى هتلر اكثر من مرة ، ولكن لم يحدث شيء ا على كل حال لم يحدث شيء مناسب .. لأن القوات كانت غير متيسرة ، وفضلاً عن ذلك لم يعد بالامكان وصول وسائل النقل الجوية الى الحدود المصرية .

لذلك طار رومل الى هتلر ليعرض عليه شخصياً جميع مشاكله ، وقد قصّ عليّ المشير الشاب بكلمات 'مرّة' خلال هذه السفرة الليلية ، كيف ان مقر الجيش الالمانى استقبله بتحفظ عظيم قبل كل شيء ، لعدم تمتعه بالنصر حينذاك . وقد اوضح رومل بحرية اسباب غيظه من بطانة هتلر ، ولكن الفوهرر دعاه بعد الظهر لتناول الشاي وأظهر رثاءه الشديد لموقف رومل العصيب ، فأصبحت نتيجة لذلك بطانة هتلر اكثر تودداً اليه مرة اخرى ، كما هي الحالة دائماً فيما يظهر - ليس بين رجال الجيش فحسب .

لم يتطرق رومل في هذه الليلة من شهر شباط الى شيء ضد هتلر شخصياً، بل كان الامر على العكس من ذلك ، ولكنه عبّر بكلمات 'مرة حقاً ضد نظامه بكامله ، وقد اقتصر خلال ذلك في تقدير الموقف العسكري البحت ، وبدأ أن الناحية السياسية لا تحظى باهتمامه ، وعبر عن امله في ان يمنحه الحلفاء الوقت حتى حلول مايس ، واختتم افكاره هذه بالكلمات التالية : ' بعد هذا يمكنهم ان يأتوا ' . وقد عني بذلك انه سيكون قد اتم حينذاك تقوية دفاعات الساحل بصورة كافية ، كما اوضح ايضاً : لماذا كان يريد ان تكون الفرق المدرعة قريبة من الساحل . لقد اتيح له ان يخبر اسلوب عمل القوة البريطانية الجوية في افريقيا ، فكان مقتنعاً من ان الدروع في مثل هذا الموقف لن يتسنى تحريكها ليلاً او نهاراً لانها ستهاجم من الجو مباشرة .

ليس من شك في ان هذا سبب مفر، غير انه في هذه الحالة يغدو ضرورياً معرفة مكان ازال العدو بالضبط ، اذ بدون معرفة ذلك قد توضع الفرق المدرعة في مواضع مغلوبة، وعندئذ ايضاً لن يتسنى تحريكها ، وبالإضافة الى ما تقدم ولان العدو سيغمر التحصينات بالقصف الجوي حتماً ، فقد بدأ لرونشتد ما يستوجب التفكير في ان الفرق المدرعة ستكون اكثر تعرضاً لهذه التيران المركزة في حالة وجودها قريبة من الساحل مما لو كانت على مسافة ابعد الى الخلف .

لقد كان لكلا الرأيين ما يبرهما ، لا سيما وان فكرة رونشتد السوقية السيارة كانت مبنية على الوعد بنقل تشكيلات جوية قوية الى الغرب حالما يبدأ الغزو، لذا لم يبق الا ان نأسف من عدم اقرار هتلر ايأ من هذين الرأيين بصورة كاملة ، ولكنه عمد الى حل وسط بينهما ، بموجب وضع عدداً من الفرق المدرعة بأمره رومل ، ولكنه لم يضع اي احتياط بأمره القيادة الغربية ، كما احتفظ بأمرته بفرقتين مدرعتين جيدتين في غرب باريس، لذلك كان على رونشتد الا يستخدمها قبل ان يلتمس الموافقة على ذلك من هتلر !!

تطرق رومل أيضاً خلال هذه السفرة الليلية الى الجانب الانساني من حياته ، فقال : ان رغبته العظمى بعد الحرب تتركز في انشاء حدائق فاكية وخضر كبرى في بيته داخل بيوت زجاجية وخشبية ، لأنه اعجب بمثل ذلك في هولندا . وهنا يتفق ذوقا رونشتد ورومل ، فان كليهما كان تواقاً الى الحدائق والحيوانات ، وكان رونشتد ماهراً جداً في وضع تصاميم حدائق الفاكية والخضر ، وكان ينزعج حينما يشاهد حديقته مهملة .

انهلك رومل خلال الساعات الطويلة لهذه السفرة في التحدث عن نفسه مغرقاً ، فوجدنا انفسنا فجأة في ضواحي باريس . وكان رومل يساكن هيئة ركته (هيئة ركن جحفل الجيش ب) في (لاروش - كويون) ، لذلك كنا قد تجاوزنا هدفنا مسافة بعيدة ، ومن الجهة الثانية كنت انا ساكناً في فندق جورج الخامس في باريس . لقد استمتعت خلال هذه الساعات بالتعرف الى رومل الانسان ، وبسماع شكواه ولوعته لاختفاق الحرب في افريقيا دون ان يكون الاختفاق بسبب اخطائه ، وعلى كل يمكن الوصول الى استنتاج يختلف تماماً لو نظر المرء نظرة شاملة .

لا يمكن ان يرتاب احد بما كان يتحلى به رومل من مستوى رفيع في الابداع وفي الدأب على العمل وفي عقليته الخلاقة !...

ولكن الموقف السياسي والعسكري ومنابع البشر لمانيا في سنة (١٩٤٤) كانت قد وصلت حدّاً بالغاً من التردّي ، فلم تعد الالغام والاوراد وحقول الموانع ذات تأثير حاسم على الغزو . لقد جعلت هذه الحقائق الراهنة مضافاً اليها رأي هتلر اليائس عن كفاءة القيادة في النجاح في الدفاع عن جبهة تمتد الفين وخمسمائة ميل مستحيلاً ، ولم يعد استخدام أشد الاختراعات إبداعاً بالإضافة الى الوسائط الاخرى المتيسرة مجدياً في تغيير هذه الحقيقة .

نجح الغزو يوم ٦ حزيران (١٩٤٤) دون ان تحد الموانع المذكورة من

اندفاعه ، وربما كانت معلومات الحلفاء المستقاة من استطلاعات التصاوير الجوية على البحر والساحل ومن خدمة الاستخبارات غير واثقة في البداية من حقيقة الموانع المقامة على الساحل ، ولكن سرعان ما انكشفت انها كانت وسائل لا تقوى على المقاومة الحاسمة ، وهذه هي محنة كل مدافع عن جبهة واسعة ، لا سيما عندما تكون منابع الرجال والمواد قليلة .

وكان مقر القيادة الغربية خلال اشهر الشتاء يحل فندق جورج الخامس في باريس كما نتذكر ، ولكنه نقل في الربيع الى سانت جرمان ، وكان ذلك بسبب قلة الفحم لأن التدفئة في فنادق باريس تكلف اقل مما تكلفه في بيوت سانت جرمان المنعزلة .. كان رونشتد يساكن رئيس هيئة ركته ومساعدته الشخصي في بيت ريفي ذي حديقة في سانت جرمان ، وكان هذا السكن يتفق وهوى رونشتد في حبه الخاص للحدائق ، فكان يحادث البستاني الفرنسي المجوز طويلا .

غير انه لم يكن في سنة (١٩٤٣) في هذا البيت ملجأ ضد الغارات الجوية ، فكان بإمكان أي قنبلة صغيرة تدمير البيت كله ، ولو زرت هذه الدار في سنة (١٩٤٣) لوجدتها خلواً من ملجأ للحماية ضد الغارات الجوية وبدون سياج يمنع اقتحامها ، كما لم تكن محروسة . لم يكن رونشتد يريد كل ذلك ، وكان يتجول مدة ساعة او ساعتين صباحا خلال سانت جرمان وفي حديقة المدينة ، دون ان يحمل أي سلاح او يرافقه احد غير مساعده .

لقد حبطت محاولة محققين^(١) المانيين لمراقبته عن كذب دون علمه ، اذ سرعان ما لاحظ رونشتد بأنها يعقبانه عن بعد ، فأشار اليها متفكها :

(١) المحقق : رجل الامن ، أي رجل المباحث ، أي رجل الاستخبارات .

(العرب)

بأنها متسكمان ، ومن ثم دخل في ممرات حديقة سانت جرمان واختفى فجأة في منعطف الغابة ، وكان سروره عظيماً جداً عندما لم يعد بإمكان مراقبيه ان يقتفيا اثره .

وكثيراً ما أدّت هذه المسيرات الى حوادث مسلية : كان المشير قد اعتاد التزوّد بقطع من الحلويات لتوزيعها على الاطفال لأنهم كانوا يعرفون ذلك جيداً لانتظام مواعيد هذه المسيرات ، وكثيراً ما كان يصادف فيها العمدة الذي كان قد تعرف اليه او يصادف قسيساً من الدير ، ولربما صادف ضابطاً فرنسياً يرتدي الملابس المدنية ، وكان رونشتد معتاداً على ان يتنحى على الرصيف ليوسع لغيره ، ولكن كثيراً ما يتنحى الشخص المقابل فيؤدي ذلك الى اصطدامهما في عرض الطريق !

وسمع هتلر من بعد ذلك ، بأن القائد العام في الغرب ليست لديه حماية ضد الجو من أي نوع كان . لقد كان في سانت جرمان بضعة مدافع مضادة للجو من العيار الصغير فقط والتي كان يستخدمها مؤقتاً حرس المقر من المشاة . تتناقل سكان سان جرمان الجملة التالية : « ان المشير فون رونشتد هو افضل حماية لنا ضد الجو » ، فلم يكن يسمع بانشاء أي بناء في (الفيلا) وحتى في الحدائق قائلاً : « سيان الموت في الملجأ والموت في الفراش » ، ولكن هتلر كان يرى غير ذلك ، فاستلمت امراً بأن اعد ملجأ مناسباً ، ولكن لما كان هتلر يعلم رفض المشير لذلك ، كلف منظمة (تود) بانشاء الملجأ واخباره بعد انجازه ، فاقضى الآن حسن التصرف للتوفيق بين الوجهتين .

وحينما غادرنا رونشتد الى (بادتويلز) مجازاً في سنة (١٩٤٣) ، كان كل شيء مهيباً للبدء بانشاء ملجأ وقي في الطابق الاسفل من (الفيلا) فوراً ، وعندما انتهت اجازته كان الملجأ الذي أعد في الطابق الاسفل جاهزاً ، ولكن ذلك لم يكن كافياً على رأي هتلر ، فأمر بانشاء مانعة في الحديقة يمكن ايصالها بنفق مع مسكن رونشتد ، فاقضى ثانية انتهاز فرصة ذهاب رونشتد باجازه

لانشاء ذلك، وكان الاهتمام الرئيسي منصرفاً الى تجنب مس الحديقة (المقدسة^(١)) بأقل ضرر ممكن .

لقد أمكن النجاح في هذا ، وشكراً للعناية الشديدة التي بذلها المهندسون والعمال، لأنه كان مفهوماً بأن رونشتد سيزعجه أشد الازعاج تخريب الاشجار وباحات الحديقة ، بالإضافة الى انه لم يكن من عشاق السمنت ، غير انه دمرت حافة وشيع، فسمعت رثاء واضحاً لها لما اجتازها القائد العام .

كانت الامور مختلف بطبيعة الحال بالنسبة لشعبة حركات القيادة الغربية، فقد كان ينبغي ان يتقوا بحماية قوية من السمنت مزودين بجهاز معقد من التلفونات والاجهزة اللاسلكية والبرق ، ليكونوا قادرين على العمل باستمرار عندما تبلغ الامور حداً خطيراً ، ولذلك شيدت منظمة (تود) منعة كبيرة لهذه الهيئة العاملة على مسافة ثلاثمائة يارد من (الفيلا)، ولم يكن لبقية شعب المقر ملجأ ضد الجو في مساكنها طيلة المدة التي مكثوا فيها في سانت جرمان (حتى منتصف شهر آب ١٩٤٤) .

(١) المقدسة عند رونشتد طبعاً ، لأنه كان يجب الحقائق حياً كما مر بنا .
(العرب)

— كيف فتح الدروع

أراد رومل ان تكون الفرق المدرعة في الخلف اقرب ما تكون من الساحل ، ولكن رونشتد أراد ان يكون موضعها ابعد من ذلك الى الخلف باعتبارها احتياطاً لجهة القيادة الغربية بكاملها ، وقد شارك رونشتد في رأيه كل من مفتش القطعات المدرعة العام الفريق (كودريان) وقائد القطعات المدرعة في الغرب فون (جوين بيرك) وأوصيا مشله بتهيئة احتياط قوي للقيادة الغربية حول بارس .

مال هتلر مرة اخرى الى رأي رومل ، وقد رأينا ان كلا الفريقين كانا يستندان الى اسباب مبررة ، ولكن الامر وصل الى مرحلة تتطلب تطبيق رأي أحدهما تطبيقاً كلياً . ولما كان الامر كبيره وصغيره منوطاً بهتلر ، فقد كان القرار حول استخدام الدروع يعود اليه .

كانت خرائط الموقف للقيادة الغربية في سنتي (١٩٤٣ — ١٩٤٤) تشير الى وجود ما يقرب من عشر فرق مدرعة ، وكان ينبغي ان تكون هذه الفرق كافية لو انها كانت تشكيلات حقيقية ، ولكن أغلبها كان قد تلقى ضربات شديدة في الشرق ، فلم يبق فيها غير عدد قليل من الدروع ، بينما كانت الفرق الاخرى حديثة التشكيل لم تثبت وجودها بعد وبدون عدد كاف من الدروع ... لقد كانت كلها سرايا

وضع رونشتد تمريناً طبقه قائد القوات المدرعة في الغرب ، وكان الغرض من التمرين هو الدفاع ضد الغزو ، وقد حضره رومل ورئيس هيئة ركنه اللواء (سبيلد) . ولغرض التمرين فرض ان انزالاً جرى في منطقة ساحل القنال او في (نورماندي) ، وفرضت بالإضافة الى ذلك انزالات سوقية كبيرة جرت بعيدة عن الجبهة الساحلية ، فقد جاء في التقارير الواردة من (بورما) معلومات تشير الى احتمال وقوع انزال من الجو ، كما كان (كيرفون جون بيرك) باعتباره ملحقاً عسكرياً سابقاً في لندن ملماً بالتعبية الجوية البريطانية . كان من الواضح ان القيادة الغربية ليس لديها ما تدافع به ضد انزال جوي معاد حول باريس او في مؤخرة الجيش الخامس عشر ، اذ ليس لديها احتياط عام ولا احتياط فوري ، لان الاحتياطات كلها تقريباً كانت على مقربة من الساحل ، واعبرت الحركات الجوية السوقية ما تستحقه من اهمية في عام (١٩٤٤) ، اذ عرف وجود ثنائي فرق مظليين في انكلترا .

لقد اثبت هذا التمرين النظري وجهة نظر اخرى لرونشتد، فلو ان العدو قام في البداية بانزال تضليلي ، وقذفنا باحتياطاتنا كلها لصدده ، فقد يحدث بعد ذلك الهجوم الحقيقي على نقاط مختلفة اخرى . لقد كان جحفل الجيشين (الانكلو - امريكي) الماكثين في جنوب انكلترا يمتلكان هذه الفرصة ، فانهما يستطيعان مثلاً انزال قوات ضعيفة عمداً بالقرب من (اميانس) او في محلات اخرى لجذب احتياطات الالمان الى هناك ، وربما يقع الانزال الرئيس بعد ذلك في (نورماندي) او في (بريتاني) ، وبذلك لا يبقى لدى الالمان احتياطات فورية .

ولكن ما العمل اذا انزل العدو قوات على ساحل البحر الابيض المتوسط ايضاً ؟ سيبحث المبدأ القديم مجدداً ، وهو ان القائد لا يستطيع ان ينجح في القتال ، ان لم يكن لديه احتياطات ، ولكن هذا ينطبق على المدافع اكثر مما ينطبق على المهاجم ، لا سيما اذا كان المدافع خلافاً لجميع اسس فن الحرب

قد اجبر على الاحتفاظ بخطوط محصنة للقيام بدفاع مستكن غير سيار .

لقد التمس اللواء (كيرفون جون بيرك) - التمس رونشتد ان يعرض وجهة نظره الثانية المدروسة هذه على هتلر شخصياً في مقره في (برختسكادن) فوافق رونشتد على ذلك ، وكانت النتيجة في الاخير تشكيل احتياط يتألف من اربع فرق مدرعة، ولكن هذا كان من انصاف الحلول كالعادة، اذ لم يكن باستطاعة القيادة الغربية استخدام هذا الاحتياط الا بعد الحصول على موافقة هتلر ، وهكذا غلت الايدي مرة اخرى !!!...

ظهر فضلاً عن ذلك بأن هذه الفرق الاربعة لا تستخدم مجموعة واحدة في المنطقة المحيطة بباريس ، ولكن كان يقتضى توزيعها ، فقد وضعت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة وفرقة التدريب المدرعة في المنطقة الكائنة غرب باريس ، ووضعت فرقة الصاعقة المدرعة الاولى في بلجيكا ، وفرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة جنوب اللوار الاسفل ، وتبين اخيراً بأن فرقة الصاعقة المدرعة السابعة عشرة كانت لا تزال في دور التشكيل .

وكان على القيادة الغربية ان تستثمر كافة الامكانيات وان تلجأ الى كافة انواع الابتكارات والاعمال المرجلة لخلق احتياط سيار لنفسها ، وكان تشكيل فرقة مدفعية اسلوباً جديداً ، فقد طبق في الماضي اسلوب الاحتفاظ باحتياط في المدفعية ، وكان نابليون الاول قد خدم في واحدة منها ، ولكن في هذه الحالة كانوا يستهدفون شيئاً مختلفاً عن ذلك . كان الروس قد بدأوا في الشرق بتشكيل فرق مدفعية تتألف من مدفعية مختلفة العيارات وآلية من الانواع الممتازة ، وقد اثبتت هذه الفرق بأنها اداة فعالة بيد القيادة العليا ، وكان الجيش الالماني خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) فيالق مدفعية مؤلفة من ستة انواع او اكثر من المدفعية يتراوح عيارها من (٥ و ٧) سنتمتر الى (٢١) سنتمتر وكانت هذه الفياق من المدفعية فعالة بصورة

خاصة في معركة (آخن) .

ولكن تنظيم المدفعية بهذا الشكل لم يكن قد انجز في ربيع (١٩٤٤) ، لذلك اقتضى وجود ما يعوض عنها وقتياً ، ومن بين ثلاثمائة وتسع قيادات مدفعية تقرر اختيار عشرة انواع مدفعية من عيارات مختلفة لتكوين اربع كتائب ، الا ان التضارب الكبير الذي ظهر عند تشكيلها عملياً ، ادى الى ارجاء اكمال تشكيلها حتى ابتداء الغزو .

زار مفتش الدروع العام الفريق (كودريان) الجبهة الغربية ايضاً في نيسان (١٩٤٤) ، وقد اراد ان يطلع على سير تنظيم وتدريب الدروع ، وان يناقش في استخدام الفرق المدرعة . اننا نعلم بأن (كودريان) كان يؤيد وجهة نظر رونشتد في استخدام الفرق المدرعة في منطقة الساحل لا على الساحل تماماً ، وقد اتفق في زيارته هذه مع رأي القيادة الغربية في استحالة التنبؤ بالهل الذي سينزل فيه العدو . كانت مقترحات (كودريان) ترمي الى نقل التشكيلات المدرعة من الساحل ووضعها في موضع تستطيع فيه الانفتاح على كلا جانبي السين شمالاً وجنوباً ، ولما كان نصف الجسور بالقصف الجوي أو بالتخريب محتملاً ، اقتضى إنشاء وسائل عبور مغطوشة بالاضافة الى تلك الجسور ، وقد ألح (كودريان) بالاضافة الى ذلك على اجراء كافة التنقلات عبر الطرق الفرعية وعبر الاراضي الخالية من الطرق وبعيدة عن الطرق العامة وأن تجري استعدادات كاملة لذلك .

أجاب هتلر على مقترحات (كودريان) بما يلي : « إنها مقترحات جيدة للغاية ، ولكنني اثق بكل الثقة بصحة حكم رومل !! عد الى رونشتد ورومل ثانية ومن ثم اخبرني » .

سافر (كودريان) بسيارته من (سانت جرمان) الى رومل في (لاروش - كويون) ، وهناك لم يتفقا على رأي . أصر رومل على رأيه بشدة حول وضع

القطعات المدرعة قريباً من الساحل ، وفي طريق عودته اتصل (كودريان) برونشتد في (سانت جرمان) فأيد القائدان ثانية قرارهما السابق ... وفي بداية مايس عرض (كودريان) نتيجة هذه المباحثات على هتلر ، فأيد هذا ترتيبات رومل .

كان رونشتد قد اقترح كما ذكرنا سابقاً تشكيل جحفل جيش جديد من الجيوش التي كانت في خليج (بسكاي) والبحر الابيض المتوسط مضافاً اليها القطعات الساترة في الالب ، ونتذكر ايضاً أن منصب قيادة هذه القطعات قد جعل منصب جحفل جيش لا أكثر لأسباب شخصية ، وكان القائد العام هو اللواء بلاسكوويتس ورئيس هيئة ركنه اللواء (فون كيلرن فيلدت) .. إنه نصف حل مرة أخرى .

وكان المفروض أن تكون هيئة ركن جحفل الجيش هذا حاضرة يوم ١٠ مايس لقد ازدادت الامارات الدالة على الانزال الذي طال توقعه رونشتد في أشهر آذار ونيسان ومايس ، فقد تزايد النشاط الجوي للحلفاء بالدرجة الاولى وعند زيارة (كودريان) لمنطقة القيادة الغربية لمس بوضوح مقدار السيادة الجوية التي يمتلكها الحلفاء ، إذ تتابعتم هجمات الحلفاء الجوية بانتظام ، ولم تقتصر على المطارات فحسب ، بل شملت مناطق التدريب ومواقع القطعات ؛ وكان قصف القطارات المتجهة غرباً نحو المانيا يجري بصورة منتظمة ، لذلك تضاعف عدد القطعات التي يتسنى إصاها الى باريس يوماً بعد يوم ؛ كما شمل الدمار مراكز المواصلات في الغرب من هولندا وبلجيكا الى جنوب فرنسا فأدت الهجمات الجوية للحلفاء الى إقامة عقبات كأداء في سبيل تأمين احضار التقويات والادامة ، وفي مايس بدأ التخريب المنظم لجسور السين والسوم واللوار .

لقد استهدفت هذه الهجمات عزل منطقتي (نورماندي) و (بريتاني) شمالاً وجنوباً .

من الممكن ان ندرك ان العدو اراد بذلك منع نقل فرق الجيش الخامس عشر عبر السين باتجاه الغرب ، ومنع تقدم القوات الالمانية من جنوب فرنسا نحو شمالها، وكان يجري بانتظام عزل شبي جزيرتي (بريتاني) و (نورماندي) عن منطقة القيادة الغربية ، كما ان ازدياد غارات حركة المقاومة وتخريباتها ، دلا على ان الحلفاء لا بد ان يقوموا عاجلاً بعمل حاسم .

ظلت باريس نفسها هادئة ، وكانت مراكز المقاومة الفرنسية في منطقة الالب شرقي الرون، وقد تركزت بصورة خاصة حول (طولوز) و (لي موكس) و (كليرمونت - فيرانت) ، وكان كثير منها في منطقة البرانيس وبريتاني ايضاً . لقد كانت حركة منظمة منسقة يفودها غالباً ضباط فرنسيون ، غير انه كانت هناك ايضاً عصابات عارمة تقاتل مستقلة مرتدية الملابس المدنية في بعض الاحيان وملابس رسمية في احيان أخرى ، وكثيراً ما تألفت هذه العصابات غير الشرعية من الاسبانيين او من السفاكين المشردين من الجيش الايطالي الرابع المنحل في (١٩٤٣) ، إذ لم يقتصر تأليفها على الفرنسيين فحسب ، وقد التمس السكان الفرنسيون الحماية الألمانية من هذه العصابات . وفي (١٩٤٤) كانت الأمور قد وصلت حدّاً من التردّي تطلب تشكيل قوافل مسلحة لا سيما في جنوب فرنسا ، لحماية ارجال التموين ومواد الادامة الأخرى ، وإيصالها الى محلاتها بسلام .

لقد كان اخراج القطارات عن خطوطها والقيام بالغارات الارضية وتدمير محطات توليد القوى الكهربائية ووسائل المواصلات ، عبثاً ثقيلاً ، كما كان كذلك خطراً سوقيّاً يهدد مؤخرة الجبهة الالمانية .

لقد حاول كلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل السيطرة على حركة المقاومة بمعاونة الشرطة السرية ، وقد صرح رئيس الشرطة الفرنسية

في باريس بأن قواته قليلة جداً ، وأن تسليحها أردأ كثيراً من تسليح العدو المتواري .

طلب رونشتد نزولاً عند رجاء القائد العسكري في باريس من هتلر زيادة عدد الشرطة الفرنسية وتسليحها سلاحاً أفضل على الرغم من احتمال أن يكون ذلك سلاحاً ذا حدين ، وكان هتلر يحاذر من ذلك أيضاً ، ولكنه وافق على زيادة عدد افراد الحرس الأهلي الى ستة آلاف رجل وعلى تزويدهم بسلاح أفضل ولا سيما غدارات ستن البريطانية التي كانت تلقيها الطائرات ليلاً باستمرار لحركة المقاومة .

لقد حدث كثيراً اثناء الغزو ان التحمت وحدات كاملة من الشرطة الفرنسية بالقطعات الالمانية .

لم تقدر قوة حركة المقاومة تقديراً دقيقاً أبداً ، فقد ذكرت السلطات الفرنسية بأن قوة حركة المقاومة تتراوح بين الستين والتسعين ألفاً ، ولكن كثيراً من الالمان الرسميين كانوا يعتقدون أن عددهم اكثر من ذلك . ان احد مزايها أي حركة ثورية هو تعذر تقدير عدد الأفراد المشتركين فيها ، اذ ان عددهم يزيد تارة ويقل اخرى دون إمكان حصرهم . على كل حال فان نمو الحركة بهذه الخطورة في مؤخرة الجبهة الساحلية ، كان كذلك دليلاً لا شك فيه على اقتراب موعد الغزو . لقد بقي القسم الأعظم من السكان هادئين ، بل ان أكثرهم كانوا موالين .

أخبر هتلر القيادة الغربية في نيسان او في مستهل مايس (١٩٤٤) بأن بين يديه تقارير تشير الى ان الانزال سيكون في نورماندي .

قرر مقر الجيش الالماني نزولاً عند التماس رونشتد ، نقل فرقة التدريب المدرعة التي لم يكمل تنظيمها بعد الى المنطقة الكثائنة جنوب غربي باريس ، كما

كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة متأهبة في غرب باريس ايضاً ، ولكن تقرر ان تكون كلتا الفرقتين احتياطاً عاماً ، ومعنى هذا ان هتلر نفسه سيسيطر على استخدامهما .

ارتفع العدد النهائي للفرق فبلغ حوالي ستين فرقة ، ولم يكن لدى الحلفاء في بريطانيا قوات اكثر من ذلك ، ولكن كان على الفرق الالمانية ان تحتفظ بألفي وخمسمائة ميل ، في حين ان قوات الحلفاء تستطيع ان 'تحشد في أي قاطع شاءت . كانت الفرق الالمانية مختلفة جداً في كفاءتها ومزاياها العسكرية ، وكانت فقيرة في السلاح وقابلية الحركة والوقود والعتاد ، فيما اذا قارناها بقطعات الحلفاء الممتازة . في موادها .

تلقى هتلر في ربيع (١٩٤٤) معلومات وثيقة ، هي احتمال انزال الحلفاء في (نورماندي) ، تلك المعلومات التي لم تكن القيادة الغربية على علم بها ، فزودت هذه المنطقة بالتقويات التي من ضمنها الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جواً ووحدات قوية من الفرقة (٢٤٣) المشاة ، كما كانت هناك ايضاً كتيبة مظليين من فرقة المظليين (الجيكر) الثانية التي كانت في دور التشكيل . وكان حول باريس اللواء المدرع العاشر (أ) الذي شكلته القيادة الغربية تدبيراً وقتياً وجهازته بالدبابات الفرنسية المغتزمة ، وقد شملت التقويات حتى كوتلتين ، فقد دفع الجيش السابع الذي كان يحتل هذه الجبهة فوج الصاعقة المنسوب اليه الى هذه المنطقة المهددة ، كما ساهم القائد العسكري في باريس بكتيبة من كتائب الأمن لهذا الغرض . كانت كل هذه التدابير غير كافية الجدوى بل انها ببساطة أجزاء من أعمال لا أعمالاً كاملة ، لكن لم يكن لدى القيادة الغربية قوات اخرى تتصرف بها غير تلك القوات . لقد كان بالامكان نقل بضع فرق كاملة يهدوء من منطقة الجيش الخامس عشر ، ولكن لم يكن هناك من يعلم بأن المنطقة الهامة لهذا الجيش لا تهاجم من القنال ، فهل كان ينبغي اعتبار نورماندي مجرد خدعة لجلب الاحتياطات اليها ، أم ان الهجوم

الرئيس سيحدث بين السوم والسين او الى الشمال من السوم ؟ لقد بقيت كل هذه الأسئلة لغزاً مغلقة ، كما هو الحال بالنسبة لانزال آخر سيحدث او لا يحدث على ساحل البحر الابيض المتوسط !

لقد لخص رومل الموقف في جبهة جحفل جيشه (ب) قبيل الانزال مباشرة كما يلي : -

لقد بقيت الاجهزة اللاسلكية البريطانية صامتة رداً من الزمن ، ولكنها استعادت فعاليتها يوم ٣٠ مايس ، وازدحم يوم ١ حزيران بالرسائل اللاسلكية الجفرية الموجهة الى حركة المقاومة الفرنسية ، ونظراً لأن سابلة المواصلات اللاسلكية كانت كثيرة جداً ، لذلك كان استنتاج مكان انزال العدو بالضبط امراً متعذراً . لقد دلت الهجمات الجوية المتزايدة على الجبهة الساحلية (دانكرك - ديب) وعلى جسور السين والايسن بوضوح ان مركز ثقل الهجوم الرئيس قد يكون على منطقة الجيش الخامس عشر .

رجح رومل قبل ابتداء الغزو حدوث انزال في قاطع الجيش السابع وفي منطقة الجيش الخامس عشر ، وبذلك اتفقت وجهة نظره مع وجهة نظر هتلر ورونشتد . لقد خمن رئيس هيئة ركن رومل اللواء سيبدل قوات العدو بأربعة جيوش آلية مع معظم قواتها الجوية وأساطيلها ، وقد اعتقد كل من رونشتد ورومل وسيبدل ، ان العدو بعد ان ينجح في الغزو سينطلق متوجهاً نحو منطقة باريس المركزية .

لقد أجريت الاستحضارات بصورة مفصلة وفقاً لوصايا المشير رونشتد لمعالجة جميع الهجمات الممكنة على طول جبهة القيادة الغربية التي تبلغ (٢٥٠٠) ميل ، بحيث يتاح نقل بعض الفرق من اجزاء الساحل الذي لم يتعرض لهجوم العدو الى الاماكن المهاجمة فعلاً بأسرع وقت ممكن ، ولم تقتصر

تلك الوصايا على تخصص التشكيلات المسؤولة سلفاً فحسب ، بل عينت ايضاً القوات التي تأخذ محلات تلك التشكيلات وتوزيع القواطع ، وخصصت النقلية اللازمة لكل ذلك ، وُحددت لها حق الطرق التي ستسلكها كتدبير يؤمن قابلية الحركة ، وقد انجز عمل الركن الشاق هذا رئيس شعبة حركات القيادة الغربية الفريق المحرب (زمرمان) الذي كثيراً ما ذكرناه سابقاً .

كان القائد العام للجيش السابع الذي يحتل مواضعه في نورماندي وبريتاني يطبق تمريناً حربياً في ريمس ، اشترك فيه كثير من آمري الوحدات ، وكان هذا الجيش قد قرر بنفس الوقت ان يخفف من قيود الانذار المطبق بشدة على الوحدات ، لأن التعب بدا عليها ، وكان رومل قد غادر مقره الى اهله في (أولم) باجازة من قيادة القوات الالمانية لأسباب عائلية أولاً وليزور هتلر في (برخستكادن) وليحضر مؤتمراً هناك ايضاً .

لقد كانت اشارة الأنذار الأولى للقيادة الغربية عبارة عن رسالة لاسلكية سرية صدرت من انكلترا بين الساعة التاسعة والرابع والتاسعة والنصف مساءً . كانت محتويات هذه الرسالة متوقعة ، فقد دعت حركة المقاومة في جميع فرنسا الى القتال ليلة ٦/٥ حزيران .

لقد عمد الفريق (زمرمان) الذي كان اول من استلم هذه الرسالة ، الى تهيئة المقر بموجوده الكامل للعمل حالاً ، وأبدى مشورته الى رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ، وأرسل رسالة برقية الى مقر جحفل جيش (ب) كما أحاط جحفل الجيش (جـ) في جنوب فرنسا والاسطول الجوي الثالث والجحفل البحري الغربي وكلا القائدين العسكريين في باريس وبروكسل علماً بذلك ، وكان رئيس ركن جحفل الجيش (ب) الدكتور اللواء (سبيدل) قد علم قبل ذلك بفحوى هذه الرسالة اللاسلكية ، لأنه كان قد استرقها هو ايضاً ، وهكذا انجزت كافة الاجراءات الممكنة في الساعة العاشرة والنصف

مساءً، وكان الجيش الخامس عشر الذي يحتل ساحل القنال قد أصدر أوامره مدفوعاً بإبداعه الذاتي الى قطعاته بمضاعفة الحيلة والحذر ، وحذا الجيش السابع حذوه في ذلك .

ارسلت رسالة حول الموضوع الى رونسند بعد انجاز هذه الأوامر الأولية المختصرة ، فأرسل بدوره مجموعة من الرسائل البرقية الى جميع القيادات والسلطات الأخرى الموجودة في منطقته ، وقد تم اعتراف آخر المحطات اللاسلكية في الساعة الواحدة والعشرين دقيقة صباحاً من يوم ٦ حزيران باستلام تلك البرقيات ، مما دلّ على سرعة إرسال واستلام البرقيات ، وقد أخبر المقدم مييرديترنك رئيس شعبة الاستخبارات مقر القوات الألمانية المسلحة بالموقف .

أخبر اللواء سبيدل شخصياً القيادة الغربية يوم ٦ حزيران بين الساعة الثانية والثالثة صباحاً بهبوط قوات المظليين وقطعات الزلاقات في شبه جزيرة كونتنتين . كان الوقت التعبوي الذي جرى فيه إنزال المظليين من الجو بين الدقيقة ثلاثين بعد منتصف الليل وبين الساعة الواحدة والنصف صباحاً أي لمدة ساعة واحدة بعد منتصف الليل بقليل . ولم ترد تقارير عن حدوث طيران مستمر داخل نورماندي ، وقد اشتبكت قطعائنا مع العدو النازل ولكن تفاصيل الاشتباك لم تكن معروفة وقتذاك .

لم يتصور رونسند - والانزال يجري بزخم شديد - بأن هذا الانزال كاذب وللخداع ، بل اعتقد بأنه إنزال رئيس تزداد خطورته باستمرار ؛ وقد أصبح واضحاً لديه أن القطاع الشمالي لساحل نورماندي أصبح مهدداً ، وأن هدف الانزال قد يكون مصبات النهرين الصغيرين (وورن) و (فاير) ، ومع ذلك فإنه لم يكن بإمكان القيادة الغربية حتى الآن أن تقطع برأي أكيد بأن الحوادث التي جرت حتى تلك الساعة هي مقدمة الغزو الحقيقي ، فقد

كانت بعض الشكوك لاتزال تخامر الأفكار من أن هذا الهجوم ليس إلا هجوماً ثانوياً ، اذ اقتصر على الانزال من الجو فقط ، ولم يتبعه إنزال حقيقي من البحر حتى ذلك الوقت . كان على القيادة الغربية أن تفترض بأن العدو لا يمكن أن يقوم بالانزال من الجو بدون أن يعقب إنزاله هذا بالانزال من البحر ، وإلا فان الانزال الجوي وحده معناه تضحية بدون مبرر بالتشكيلات الجوية الثمينة ، لذلك قرّر رونسند في ساعات الصباح الباكر أن يقوم بالهجوم على العدو على اي حال لافناء الوحدات المعادية النازلة من الجو ، فاذا نجح هجوم رونسند ، فربما تنكشف نيات العدو في القيام بانزاله الحقيقي على الساحل .

لم يكن بالاستطاعة الانتظار مدة اطول !.. لقد كان على جحفل الجيش (ب) الذي تقع هذه الاماكن المهددة في منطقته أن يقهر العدو قبل كل شيء بقواته الخاصة ، وهذا ما حدث نتيجة للتدابير السريعة البعيدة النظر لرئيس هيئة ركن رومل . كان رومل ايضاً كما هو الحال في القيادة الغربية ، قد اتخذ كافة التدابير الممكنة سلفاً لمقاومة الهجوم ، فلم يكن بإمكانه خلال الأربعة والعشرين الساعة الأولى ان يضيف اي شيء الى ما كان قد انجزه رئيس هيئة ركنه . لقد اشتغل المحرك تلقائياً دون أن يظهر الأثر الشخصي للقادة العامين في الحركات إلا بعد مضي أربع وعشرين ساعة ، اذ ظهرت في الميدان القوات الاحتياطية الكبيرة الأولى ، وقبل ان تشارك هذه القوات في القتال ، لم يكن هناك ابدأ ما ينم عن التدخل الشخصي . كان رومل قد أخبر فوراً هاتفياً ليلة ٦/٥ حزيران ، فسافر بسيارته من المانيا متوجهاً نحو الجبهة حالاً .

كان لدى الجيش الذي انهمك في مقاومة عملية الانزال ، اي الجيش السابع ، كانت لديه الفرقة الواحدة والعشرين فقط احتياطاً عاماً ، وكانت هذه الفرقة من التشكيلات الجديدة ، وهي ذات دبابات فرنسية من الغنائم،

لذلك لم تكن نداءً لمقاومة الدبابات الحديثة للحلفاء .

أوعز رونشتد بعد منتصف الليل بقليل من يوم ٦/٥ حزيران بأعطاء إشارة الانذار في منطقة معسكر الفرقتين المدرعتين لتكونا قادرتين على الحركة عند استلام الأمر باتجاه (كان) و (سنت لو) دونما تأخير . أصدر رونشتد أمراً جديداً لكافة المواقع بين الساعة الثانية والنصف والثالثة والنصف صباحاً، اذ أصدر على مسؤوليته الأوامر التالية للفرقتين اللتين كانتا من قطعات مقر القوات الألمانية العامة المسلحة :

« تتحرك فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة بأسرع ما يمكن باتجاه (لي سيوكس) ، وتكون فرقة التدريب المدرعة متهيئة للحركة من محطة (ابلرت) وتصبح كلتا الفرقتين عند دخولها ميدان الحركات تحت قيادة جحفل الجيش (ب) . وعلى ذلك فإن الوحدات المتقدمة من الفرقتين بإمكانها ان تدخل منطقة القنال حوالي الساعة الثامنة صباحاً، أما الفرقتان المدرعتان نفسيهما ، فتدخلان قبيل المساء .

اجرى رئيس هيئة الركن ورئيس شعبة الحركات للقيادة الغربية عدة مكالمات هاتفية مع مقر القوات المسلحة الألمانية العامة حول السماح بانطلاق هاتين الفرقتين، وقد جرت تلك المكالمات بين الساعة الثالثة والساعة السادسة صباحاً ، وخلال هذه الساعات اخبر الاسطول الجوي الثالث بأن التقويات التي وعدوا بها مراراً لن تصل اليهم ابداً من جراء الموقف الجوي في الشرق وفي ألمانيا نفسها ، ومعنى ذلك ان كثيراً من التدابير والامور المفروضة التي بنيت عليها خطط القيادة الغربية عصفت بها الرياح .

كان لدى الاسطول الجوي الثالث في صباح ٦ حزيران تسعون طائرة (قاصفة) صالحة للعمل وسبعون طائرة مقاتلة ، ولا يمكن احباط اي انزال على مقياس كبير بمثل هذه القوات .

لقد ألغي مقر القوات الألمانية المسلحة امر حركة الفرقتين المدرعتين التابعتين له، ذلك الأمر الذي كان قد أصدره رونشتد على مسؤوليته الشخصية وبإبداعه .

كان في القسم الشمالي من (كونتنتين) تشكيلات امريكية من التشكيلات المحمولة جواً مشتبهين في القتال ، وقد هبط بعضهم على مسافة بعيدة داخل شبه الجزيرة ، والظاهر ان تطويحهم هذا كان نتيجة العواصف ، وقد ادى ذلك الى اشتباك هذه الوحدات الامريكية المنعزلة ضد الفرقة الواحدة والتسعين الألمانية المحمولة جواً وضد وحدات من فرقة المشاة الثانية ، وبذلك انشغلت هذه الوحدات عن الاشتباك بالقوى الرئيسة للعدو ، وقد تمكن القسم الاعظم من القطعات الهابطة من الجو على جوار الساحل من التجمع ، وسرعان ما تأمن اسنادها من البحر .

لقد كان قائد الفرقة الواحدة والتسعين المحمولة جواً في (ريمس) ايضاً يوم ٥ حزيران مشتركاً في تمرين الجيش السابع الذي ذكرناه ، وفي طريق عودته الى فرقته ليلة الغزو تحرك بسيارته وسط قطعات المظليين الامريكان ، فقتل بنيرانهم مع مرافقه .

وبينا كانت هذه الحوادث التي قطرقنا اليها بايجاز تجري وراء الجبهة الساحلية بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحاً ، في هذا الوقت - استطاعت الدفاعات الساحلية ان تكون حاضرة للدفاع ، اذ اصبح من الواضح الآن ان التمهيديات التي انجزها المظليون والقطعات المحمولة جواً للحلفاء سيعقبها الغزو الرئيس حالاً .

اخبر جحفل الجيش (ب) القيادة الغربية بين الساعة السادسة والساعة السادسة والنصف صباحاً من يوم ٦ حزيران ، ان العدو انزل قطعاته على جبهة واسعة بين لاوون والفاير ، وانه لا يزال مستمراً في انزاله . وقد سبقت هذا

الانزال نار شديدة جداً من المدفعية البحرية وقصف جوي عنيف، وقد ارسل هذا التقرير الى كافة المواقع والى مقر القوات المسلحة الالمانية العليا ايضاً ، وحوالي هذا الوقت نفسه وصل امر القيادة الالمانية العليا الذي تضمن ايقاف الفرقتين المدرعتين الشهيرتين ، ولكي تستطيع الفرقة الثانية عشرة ان تواصل التقدم حتى (لي سيوكس) لا اكثر ، اما فرقة التدريب المدرعة فعليها ان تبقى حتماً في محلها القديم غرب باريس ، وكان على القيادة الغربية ان تتقبل كثيراً من التأيب لتصرفها بهاتين الفرقتين على مسؤوليتها متجاهلة الاوامر ودون اخذ موافقة الفوهرر .

وعندما أخبر رئيس شعبة الحركات (زمرمان) الضابط المنسوب الى القيادة الالمانية العليا ، بأن الانزال مستمر بنجاح ، والتمسه ملحقاً ان يطلق سراح الفرقتين المدرعتين ، أجابه ذلك الضابط جازماً : « انك لا تستطيع ان تقرر ذلك فان الانزال الرئيس قد يكون في مكان غير هذا » .

لقد حاولت القيادة الغربية ان تفهم القيادة الالمانية العليا ، ان الوقت الذي لا يمكن تأخير لصد الغزو قد حلّ فيجب امتثاله ، واذا هاجم العدو جبهة اخرى ، أمكن ارسال الاحتياطيات اليها على كل حال ، ولكن اذا أفلح انزال الحلفاء في نورماندي ، فانهم سيزجون بقوات اخرى في هذه الجبهة .

لقد اتصلت هاتفياً بمقر القوات المسلحة الالمانية حول هذا الموضوع طيلة الصباح وفي الساعات المبكرة من بعد الظهر ، ولكن دون جدوى ، وكان الجواب دائماً : ينبغي ان يقرر الفوهرر اولاً !!

وكان من عادة هتلر الذي كان يعمل حتى حلول الساعات المسكرة من الصباح ، ان يأوي الى فراشه ظهراً ، ولم يكن هناك في مقر القيادة الالمانية العليا من يمتلك الشجاعة الكافية لإيقاظه ، لذلك لم يستلم المعلومات المفصلة الا

بعد بضع ساعات من بلوغ الغزو ذروته ، واخيراً وبين الساعة الثالثة والساعة الرابعة مساءً أطلق هتلر سراح كلتا الفرقتين المدرعتين ، ولكن ذلك أصبح متأخراً جداً ، لأن هذين التشكيلين لا يحتمل اشتباكهما في القتال الا في وقت ما من يوم ٧ حزيران ، واكبر الظن انهما لن تشتبكا قبل يوم ٨ حزيران نظراً لخطورة الموقف الجوي ؛ وبحلول هذا الموعد يكون الحلفاء قد ظفروا بمواطىء قدم ثابتة على الساحل ، وأنجزوا تشكيل رؤوس الجسور ، لذلك كان من المشكوك فيه كثيراً إمكان نجاح الهجوم المقابل .

يسود الاعتقاد اليوم بأن الغزو بكامله كان يخفق ، لو ان الفرقتين المدرعتين كانتا قد انطلقتا بعد منتصف الليل تماماً يوم ٦ حزيران ، وكثيراً ما تناقلت الألسن وجهة النظر العسكرية البحتة هذه بعد انتهاء الحرب . على كل حال فان رونشتد ورئيس هيئة ركسه كانا في شك - بالنسبة للموقف - فيما اذا كان بالامكان نجاح منع الانزال بهذه الطريقة .

ولو ان هاتين الفرقتين حركتا حوالي الساعة الواحدة صباحاً ، لما استطاعت حتى وحداتها المتقدمة ان تصل الى منطقة المعركة خلال الساعات القليلة التي تسبق ضياء اليوم التالي (الساعة الرابعة صباحاً) ولكانتا هدفين لقصف القوة الجوية للحلفاء . ولربما كانت فرقة الصاعقة المدرعة الثانية عشرة وهي التي كانت أقرب الى منطقة الانزال ، تستطيع ان تدخل منطقة القتال بعد الظهر ، ولربما تمكنت فرقة التدريب المدرعة من الدخول عند حلول المساء على أقل تقدير ، لأنها كانت تبعد اكثر من مائة ميل عن منطقة الانزال ، لذلك اذا فرضنا بأن كلتا الفرقتين قد تحركتا معاً ولم تنشطرا قبل ان تبدأ بالعمل ، فربما كانتا تستطيعان ان تصلا في الصباح المبكر من يوم ٧ حزيران ، وكل تقدير آخر لوقت وصولها لا نصيب له من الصحة .

وحالما زجّ بالهجوم المقابل الذي استهدف المنطقة الساحلية طبعاً ، فانه لم

يصبح تحت تأثير النار الدفاعية للمعدو فحسب ، بل أصبح تحت قصف القوة الجوية الشديد ، كما أصبح ضمن المدى المؤثر لنيران اسطول الحلفاء . لقد كان لهذه النيران تأثيرها المعنوي الشديد على الرغم من انها لم تكن مدمرة فعلاً ، فقد أخبرت كافة الوحدات بأنها أصبحت تعاني قصفاً شديداً من المدفعية الثقيلة للبحرية .

يعزى نجاح الغزو بكل بساطة ، الى ما كان يمتاز به من النواحي الفنية والمادية ، اكثر مما يعزى الى بضعة أخطاء المانية ، كما ان التسليح الألماني لم يتطور منذ سنة (١٩٤٤) ؛ وسواء أ كانت الفرق جيدة او رديئة ، وسواء استخدمت بسرعة ام ببطء ، فان مثل هذا التفوق الجوي والمادي للحلفاء المركز على جبهة واحدة ، لا بد له ان يقهر الدفاع لا سيما دفاعاً غير حصين كالذي كان للامان بين سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) .

لقد أصبح واضحاً مساء يوم ٦ حزيران ، أنه لا أمل يرتجى من محاولة قهر الانزال بهذه القوات المتيسرة ، وربما ستكون هناك هجمات مقابلة محلية تحظى بالنجاح ، ولكن ذلك لن يبدل الموقف العام الراهن .

كانت الفرقة الثانية والثمانون الأمريكية المحمولة جواً ، قد تركزت حول (فالون) ، كما كانت الفرقة الواحدة بعد المائة الأمريكية المحمولة جواً في جوار (كاريننان) وتمتد منطقتها الى حوالي مصب نهر (الفار) . وقد صادفنا القطعات البريطانية الى بعد يمتد حتى اورن (داخل) ، وقد دلت التقارير على أن حدود كليهما تمتد حتى غرب (بابوكس) . لقد كان القتال المبكر ضد الفرقة الثانية والثمانين الأمريكية فاجعاً ، ولكن الهجوم الألماني المقابل لم يظفر بالنصر الحاسم .

أصبح للحلفاء الآن اتجاهان ممكنان للهجوم : نحو (الاورن) باتجاه باريس ، ونحو شمال (كونتنتين) باتجاه قلعة (شاربورغ) .

ولم تكن القيادة الغربية حق ذلك الوقت قد أدركت تماماً أثر ما أطلق عليه: (المرافق الاصطناعية)، ولذلك توقعت هجوماً مبكراً على (شاربورغ) التي كان لها ميناء حسن صالح لتموين الحلفاء؛ ولما كانت قطعائنا غير كافية لهجوم مقابل ناجح، لم يبق إلا الاقتصاد في هذه القوات وسحبها تدريجياً إلى أن تصل تقويات أخرى. لقد كان في الامكان اجراء هذا الانسحاب إلى وراء نهر (الاورن) وحشد جميع الاحتياطات على الضفة الجنوبية لغرض الهجوم المقابل، وجعل هذه الخطة اساساً تبنى عليها خطط القيادة الغربية.

كان رونشتد يشك في نجاح هذا القرار، لتفوق الحلفاء الساحق في الجو والمواد، غير أن تطبيقه كان يؤدي على الأقل إلى تطبيق اسلوب القيادة المرنة لا المستكنة على كل حال؛ ولم يكن ممكناً وضع هذا القرار موضع المناقشة، لأن هتلر لم يكن ليوافق على تطبيقه، فقد كان يتصور أن انقضاء الموقف يتوقف على صمود لا أمل فيه بالانسحاب!!

لقد بدأ روتشتد ورومل يشعران بالفراغ الناجم من عدم وجود الوصايا العامة، فدأبا على المطالبة بها.

لقد كانت في (نورماندي) مواضع مناسبة لتعويق العدو على الأقل، من هذه المواضع ما يلي:

(كان - سنت لو - إيلي سي) و (كان - سنت لو - كوتانسس)، و (كان - تيسي - كران فيل)، و (كان - فاير - افراشس) هذه الخطوط تسد بالتعاقب (كونتنتين) الضيقة وتمنع العدو المهاجم من التدخل في المناطق الفرنسية الكائنة وراءها، ولكن هذه الخطوط لم تكن ذات فائدة عملية، إذ لم تكن محصنة تدافع عنها قوات كافية! وأكثر من هذا، كان ينقصها احتياط كبير من الفرق المدرعة الذي طالما ألحف في طلبه، وبدون كل ذلك فإن الدفاع السليبي بكامله لا يتيح غير كسب وقت قليل.

من الممتع ان انزال الحلفاء لم يجرى في وقت المد كما توقعت القيادة الالمانية، ولكنه جرى في وقت الجزر ، لذلك فان موانع رومل التي كانت على الساحل لم تؤثر الا قليلا ... ثم دمرها مهندسو العدو بسرعة .

لقد صمدت فرقتان ساحليتان : هما الفرقة (٧١٦) والفرقة (٣٥٢) اللتان كانتا تدافعان عن جبهة واسعة بشجاعة ضد زخم الصولة الاولى ، ولكنها غلبتا على أمرهما بعد ذلك ، للتفوق العددي الساحق للعدو على الرغم من استمرارهما في الدفاع عن نقاط معزولة قوية . لم يعد بإمكان الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة التوغل بهجوم مقابل حسن التوجيه ، ولأن هذه الفرقة كما ذكرنا سابقاً مجهزة بدبابات فرنسية مغتنية ، فان كفاءتها الحربية كانت ناقصة بشكل بارز. لقد كان العدو قادراً على انزال قوات اخرى على جبهة واحدة بأسرع مما تستطيع القيادة الالمانية نقله من احتياطاتها . لم يبق لرونشتد نتيجة لأوامر هتلر الصارمة غير الصمود في قلعة (شاربورغ) أطول مدة ممكنة . والقتال من اجل كل شبر من الارض في (نورماندي) ، وليس هذا بالذي يلائم خبيراً في القضايا السوقية .

لقد كان واضحاً ان ساعة اندفاع جيوش الحلفاء بقبلياتها العظيمة على الحركة لاختراق آخر خط دفاعي في (نورماندي) آتية لا ريب فيها ، وحينذاك ستكون هذه الجيوش قادرة على التوغل في ارجاء فرنسا، مستفيدة من كافة الطرق العامة والفرعية ، متجهة نحو الشرق والشمال الشرقي ، لتصل سريعاً الى حدود المانيا المحرومة من الحماية الكافية . ان قطعائنا مؤلفة من فرق مشاة بطيئة مزودة بنقلية الحيوانات ، لذا فمن المؤكد انها ستلاقي نفس مصير القطعات الفرنسية التي لاقتها عام (١٩٤٠) في الصفحة الثانية من الحملة الغربية ، حينما مزقت دروع (كليست) و (كودريان) أرتالهم المتراجعة ... لقد توقع رونشتد دائماً قيام العدو بمثل هذه الحركة بعد اندفاعه من شبه جزيرة (كوتنتين) نتيجة لا مفر منها . وليس من شأن هذا الكتاب ان

يعدد كافة الحوادث المهمة التي حدثت بعد ٦ حزيران ، لذلك سأقتصر على تسجيل مداولات رونشتد الأخيرة واختلافاته مع القيادة الألمانية العليا .

لقد اقتنعت القيادة الغربية بأن غزو نورماندي هو الغزو الحقيقي وليس حركة ثانوية ، ولكن هتلر من الجهة الثانية ورومل نفسه في الايام الاولى ، كانا لا يزالان في شك من ذلك ، انهما كانا يتصوران وقوع انزال ثان في منطقة الجيش الخامس عشر ، ولذلك كانا يحتفظان حريصين بالفرق ولا يدعانا تتجه نحو (نورماندي) .

كان المشير (كايتل) هو بنفسه يتصل هاتفياً كل يوم تقريباً ليباغ أوامر هتلر وليؤكد ضرورة تمسك الجيش الخامس عشر بأعظم درجة من الحيطه والحذر ، وليطمئن الى ان هذا الجيش لم تنتقص قوته إلا لضرورة قصوى ولأقل ما يمكن .

كان لدى الحلفاء قوات أخرى متأهبة في انكلترا ، فمن كان بضمن يوم ٦ حزيران او في الايام التالية ، انه لن يجري انزال ثان في اماكن أخرى ؟ لقد توصل رونشتد شخصياً الى تقدير يختلف عن ذلك ، اذ فكر ألا ميرر لمجازفة الحلفاء بانزال على الجبهة الاقوى من القنال ، في الوقت الذي استطاعوا فيه الفوز بموطىء قدم ثابتة في (نورماندي) ، ولكن الحرب ليست معادلات حسابية ، وان المجهول فيها أهم عواملها .

كان على رونشتد في نفس الوقت ان يفكر في احتمال وقوع انزال في جنوبي فرنسا ، فلو وقع هذا وقام الحلفاء بالهجوم من الجنوب على كلا جانبي (الرون) متجهين نحو (ديجون) ، فان هذا الاندفاع يتوغل عميقاً في جانب ومؤخرة جبهتي القتال وخليج (بسكاي) ، وحينذاك يمكن بسهولة تامة قطع خط انسحاب الجيوش الألمانية من فرنسا الى المانيا .

لقد كان مثل هذا الغزو اخطر كثيراً من انزال يقع على القنال ، وقد رجّح رونشتد بطبيعة الحال ، ان يبدأ الحلفاء بتعرضهم على البحر الابيض المتوسط في وقت آخر ، أي عندما تكون جيوش الحلفاء متمركزة بسرعة منطلقة من (نورماندي) ومتجهة نحو الشرق ، وذلك لكي يضمنوا تنسيق نتائج كلا التعرضين .

لقد استولى الالمان يوم (٧) او (٨) حزيران اثناء القتال العنيف في (نورماندي) على خطة حركات فيلق أمريكي ، فكانت هذه الخطة المفصلة ذات فائدة قصوى للقيادة الالمانية ، اذ اشتملت على جميع تفاصيل الانزال وعلى خطة الحركات التي ستطبق في الفترة التي تعقب نجاح الانزال مباشرة ، وكان مرفقاً بهذه الخطة عدد كبير من الملاحق والمخططات . لقد ابرزت هذه الخطة عناية ودقة هيئة ركن الحلفاء ، فقد كانت مواضع القطعات الالمانية والتفاصيل الخاصة بها موصوفة وصفاً دقيقاً جداً ، كما احتوت هذه الوثيقة على وصف ممتاز للنواقص في تجهيز وتسليح الفرق الساحلية الالمانية . كانت هذه الخطة ذات اهمية قصوى بالنسبة لرونشتد ورومل ومقر القوات الالمانية المسلحة ، لأنها أثبتت ان الانزال في (نورماندي) كان هو الانزال الحقيقي . لقد امل الحلفاء - نظراً لما جاء في هذه الخطة - ان يندفعوا سريعاً خلال (نورماندي) ، وان يتغلبوا على المقاومة الالمانية في وقت قصير ، ولكن تبين ان تقديرهم هذا كان خطأ ، لأن القتال الذي جرى في شبه الجزيرة فعلاً ، استمر وقتاً اطول بكثير مما قدره الحلفاء . وهذا برهان قاطع على المقاومة الباسلة للفرق الالمانية الضعيفة خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) . لقد ابرزت الخطة ايضاً تفوق خدمة الاستخبارات الأنكلو - امريكية ، لأن الخرائط المرفقة كان مؤشراً عليها تفاصيل ترتيبات القطعات وخطوط المواصلات والمقرات للجانب الالماني ، كما كان فيها مخطط ممتاز عن التحصينات الالمانية ، وقد ارسلت هذه الوثيقة الى مقر الجيش الالماني فوراً بعد ان

استنسخت صورتها .

لقد جرت هجمات مقابلة مرة اخرى خلال (١٠ و ١٥) حزيران بالتشكيلات المدرعة المتيسرة ، ولهذا الغرض وضع الجحفل المدرع الغربي الذي كان يقوده اللواء فون (جون برك) تحت إمرة فيلق الصاعقة الاول ، وكان الجحفل المدرع مؤلفاً من فرقة الصاعقة الثانية عشرة والفرقة المدرعة الحادية والعشرين وفرقة التدريب المدرعة ، وكان مقر جحفل الجيش (ب) مسؤولاً عن ادارة واستخدام هذه القوات لأن القتال كان يدور في منطقته .

لم تعد هذه الهجمات المقابلة تلاقي اي نجاح ، اذ اصبح العدو قوياً جداً ، كما عانت الحركات كثيراً من تدخل قيادات عديدة ، فتهتر وجحفل الجيش (ب) والجيش السابع كلهم اصدروا اوامرهم .. وفي مثل هذا الموقف يجب ان يُصدرَ الاوامر حول القضايا العسكرية مسؤول واحد لا مسؤولون عديدون يُصدرون اوامرهم في آن واحد !!

وعلى الرغم من ان القتال في (نورماندي) وصل الى ذروة الحراجة والشدة ، الا ان ذلك لم يمنع رونشتد من تخصيص بعض جهده لتموين مدينة باريس الكبيرة بالفحم والاعذية ما استطاع ، وكان المارشال بيتان وهو في فيشي قد رجا ان تمون باريس بالاعذية ، ولم يكن هذا سهلاً ، اذ كانت السكك الحديدية قد دمرت تدميراً شاملاً من قوة الحلفاء الجوية وحركة المقاومة ، ولم يكن تهديد العدو الجوي ليسمح بحركة أرتال كبيرة من السابلة نهراً . ولقد مرت ايام لم تتسن فيها حركة غير قطارات سبعة محملة بالعتاد والوقود قادمة من المانيا الى باريس ، وفوق ذلك كانت هناك تنقل القطعات وإجلاء الجرحى والمدخرات الكثيرة التي يحتاجها الجيش المشتبك في قتال عنيف .

دبر رونشتد على كل حال امر نقل الفحم من المانيا الى باريس ، اذ كان

من غير الممكن تقريباً الحصول على ذلك من مقاطعات التعدين الفرنسية
وفضلاً عن ذلك امر رونشتد ان تحمل العجلات الفارغة العائدة الى باريس
من منطقة القتال في (نورماندي) الخضر والاعذية الاخرى الى باريس
لتموين مداخرها ..

نجح الحلفاء في الايام العشرة الاولى بالتدريج في توسيع رؤوس جسورهم
عمقاً ، تلك الجسور التي كانت على جبهة واسعة وغير عميقة ؛ ثم وحدو
رؤوس جسورهم ، فتمكنوا بذلك من اقامة جبهة موحدة . لقد تم الآن
ادراك اثر المرافىء الاصطناعية ادراكاً كاملاً ، فلم يكن الحلفاء مرتبطين بأي
ميناء مثل (شاربورغ) او (الهافر) كما كنا قد توقعنا نحن الالمان .

لقد وصل تأثير نيران المدفعية المنصبة من مدافع الاسطول بقنابلها ذات
العيار الثقيل الى مدى يتراوح بين (١٥-٢٠) ميلاً عمقاً .

ولم يجعل رونشتد أبداً من وجهات نظره عن الموقف الراهن سراً ، فقد
كانت هيئة ركنه تعرف وجهات نظره ، وكانت تتحدث عنها جازمة في
محافل كثيرة ؛ وكان قد بدأ خلال تلك الايام بالحديث عن تقاعده ، ولكن
شعوره القوي بالواجب اضطره الى الاستمرار على الرغم من ان اندحار
المانيا في الحرب اضحى الآن واضحاً لديه .

كان رونشتد مقتنعاً قبل الغزو بمدة طويلة ، بأن الوقت قد حان للسياسيين
ان يمسكوا بزمام الموقف ، وأن رجال الجيش وحدهم لم يعودوا قادرين على
معالجة الموقف ؛ بيد ان ذلك لا يتسنى ما لم ينسحب الجيش انسحاباً موقوتاً
حسب خطة مرسومة من المناطق الغربية المحتلة الى حدود المانيا ، وهذا
يتيح للسياسيين وقتاً للتوصل الى بعض التدابير ؛ ولهذا الغرض كانت هناك
ضرورة قصوى للحصول على وصايا من هتلر تلك التي ألحف رونشتد في طلبها

كثيراً لتنطلق يد القيادة الغربية في سحب القطعات الموجودة في الغرب الى (الجدار الغربي) في وقت كاف وبنظام دقيق ، كما ان رومل ادرك كذلك بأن زمام الموقف في الغرب قد افلتت من يد الالمان .

اقترح رونشتد من يومي (١٠ و ١١) حزيان اجراء مذاكرة شخصية مع هتلر ، وكان رومل ايضاً قد اخبر مقر القوات المسلحة الالمانية العليا بالموقف في يوم ١١ حزيان مستعرضاً بدقة وتفصيل خطورة الموقف .

لقد حدث في هذه الايام ان استعمل سلاح النصر الرقم (١) لأول مرة ، فظهر في ليلة ٧/٦ حزيان اخفاق استعماله لاسباب فنية ، غير انه استخدم ثانية ليلة ١٣/١٢ منه . استهدف هتلر مدينة لندن لقصفها بهذا السلاح ، بينما رغب رونشتد في مهاجمة مرافق جنوب انكلترا ، واكثر من ذلك رغب في قصف الجبهة البرية في نورماندي . لقد ساد القيادة العليا اعتقاد بأن قصف لندن بهذا السلاح سيكون ذا اثر معنوي ، الا ان رونشتد كان في ريب من ذلك . لقد خشي هتلر من ان يكون تأثير قصفه في (نورماندي) طفيفاً جداً فضلاً عن تعريض القطعات الالمانية في تلك المنطقة لخطر ذلك القصف ، فقد كانت قنابل سلاح النصر الرقم (١) تحمل الخطأ كثيراً ، لذلك تتطلب هدفاً واسعاً .

لقد تمسك هتلر بقراره في قصف لندن وحدها ، واستثمرت الدعاية استخدام هذا السلاح السحري استشاراً ضخماً ، فانتعشت آمال القطعات والمدنيين ايضاً .

ومن المعروف اليوم ان كثيراً من الاسلحة الحديثة التي اخترعها علماء الالمان ظهرت متأخرة من سنة الى ثلاث سنوات ، وكانت حينذاك في دور التجربة وغير جاهزة للاستعمال الكامل .

قرر هتلر ان يواجه رونشتد ورومل يوم ١٧ حزيران استجابة للتماس رونشتد لمعرفة وجهة نظره في خطورة الموقف ، تلك الوجهة التي يشاركه فيها رومل ، فعقد المؤتمر في (دبل يو (W) رقم ٢) وهو محل اعد منذ وقت طويل بين (لأوون وسواسون) ليكون مقر المعركة للفوهرر، وكان هذا المحل مؤلفاً من ملاجئ سميت مغطاة بعناية في مواضع مخفية موزعة على منطقة جبلية واسعة .

طلب اشتراك الاشخاص التالية اسمائهم لحضور المؤتمر : المشير فون رونشتد ، المشير رومل ، رئيس هيئة ركن القيادة الغربية ، رئيس هيئة ركن جحفل الجيش (ب)؛ وقد تقرر ان يحاط حضور هتلر بالكتمان الشديد، وقد حضر هتلر والمشير كايتل والفريق جودل وعدد من الضباط الآخرين .

نوقشت ثلاث نقاط رئيسية في هذا المؤتمر :

١ - وصف الموقف العام الخطير ، غير ان هتلر لم يحرص على التادي في ذلك مفضلاً ابراز تصاوير الاسلحة الحديثة والطائرات التي ستتمخض عنها الاشهر القليلة القادمة .

٢ - التماس رونشتد ان يحصل على وصايا سوقية على مقياس عال حول ادارة الحرب في الجبهة الغربية كي يتمتع بحرية العمل . لقد تلقى هتلر هذا الالتماس بهدوء خلافاً لما كان منتظراً ، فوعد باصدار هذه الوصايا .

٣ - يجب ان يفعل السياسيون شيئاً يمهد السبيل للمداولة مع الحلفاء ، فقبول هذا الالتماس بالصمت ، وعندما ارادوا الانصراف ، لفت رومل انتباه هتلر ثانية وهما يسيران معاً نحو سيارة هتلر الى خطورة الموقف ، وحبذا قضية التدخل السياسي .

لم يكن هتلر يؤيد هذا الاتجاه ، فقد كان من رأيه ان الحلفاء يرفضون اي حل سياسي ، اذ كان الحلفاء قد قرروا في المعاهدة التي عقدها مع روسيا افناء المانيا ، وانه سيطلع الالمان على هذه الحقيقة.. ان كل شيء الآن يتوقف على المقاومة العسكرية التي لا تعرف الهوادة .

وبينا كان هذا النقاش محتدماً ، اذ اخبر جحفل الجيش (ب) هاتفياً بأن الامريكان اخترقوا منطقة (كارنتات) من الغرب واجتازت دباباتهم الامامية طريق (كوتانسس - شاربورغ) العام ، فتلقى هتلر هذه الأنباء أثناء وجوده مع المشيرين متظاهراً بالهدوء ، ولكنه لم يقرر شيئاً ما ، إلا ان رومل التمس بعد ذلك سحب جبهة القتال انسحاباً تعبويّاً محضاً الى ما وراء (الأورن) ، حتى يخلص تشكيلاته المدرعة من اشتباكها في المعركة ، وبذلك يستطيع القيام بهجوم مقابل من الجنوب ، فكان نصيب هذا الالتباس الرفض والامال ووضع على الرف ... لقد سارت المناقشة برمتها بعد ذلك في خطوط سلبية مرة اخرى .

وبعد الانتهاء من عرض الخرائط وتصاوير كافة انواع الأسلحة وانواع المعجلات المدرعة والتحصينات ونماذج الطائرات ، حصل انطباع بأن هتلر يلهمي نفسه بهذه الاشياء ليشغلها عن التفكير في الموقف الواقعي المرير . لقد استمرت المناقشة التي سرعان ما وجهها هتلر الوجهة التي ارادها مستغرقاً في ذلك مدة اربع ساعات ، ومن ثم تناول المجتمعون الوجبة الختامية واجبن .

وبينا كان الحاضرون ينصرفون ، دوت اشارة الانذار بالغارة الجوية ، إذ قامت حوالي ستين طائرة معادية بالغارة ، فأراد رونشتد ورومل اللذان لم يكونا ليكثرنا بمثل هذا العدد الصغير من الطائرات ان ينطلقا الى مقرهما التعمويين حالاً ، ولكن هتلر لم يسمح لهما بذلك ، إذ استصحب كلا المشيرين ورئيسي هيئتي ركنيهما الى احد ملاجئ الغارات الجوية الكبرى ، فقيضوا

هناك حوالي ساعة كاملة كاد الا يقطع سكونها اي كلام . وعندما زال الخطر الجوي ، سمح لنا بالحركة ، فتوجهنا الى سياراتنا المنتظرة ، وقد حاول رومل اثناء مسيره هذه المسافة القصيرة ان يقنع الفوهرر ثانية بأن يفسح للسياسة ان تأخذ طريقها ، ولكن هتلر رفض العمل بذلك مرة اخرى .

ما كاد رونشتد ورومل يصلان الى مقريهما في ساعة متأخرة من بعد الظهر حتى وصلتها اخبار صادرة من محل المؤتمر بالقرب من (سواسون) تفيد بأن هتلر وبطانته قد غادروا المكان على عجل ميممين شطر المقر الجبلي في (برختسكادن) ، فما الذي حدث؟ ان إحدى قذائف سلاح النصر الرقم (١) لم توصل طيرانها نحو لندن ، ولكنها بسبب اخطاء فنية في تصميمها غيرت رأيها فاستدارت فجأة مندفعة في الهواء نحو الشرق بدلاً من الغرب ، فهبطت الى الأرض منفجرة كالرعد في وسط ملجأ الفوهرر الذي جرى فيه النقاش قبل بضع ساعات ؛ فلم ينجم اي ضرر عن ذلك ، ومع هذا قررت هيئة ركن مقر هتلر أن تتوارى بعيداً عن الانظار في مساء ١٧ حزيران .

سقطت (شاربورغ) في موعد اقرب كثيراً مما كان متوقفاً ، فغضب هتلر لذلك غضباً عظيماً . لقد كانت تحصيناتها كما سبق ان ذكرنا متباعدة عن بعضها تباعداً اكثر مما ينبغي بالنسبة لجبهة برية ، كما كان انشاؤها واهناً وتنقصها القطعات الكافية للدفاع الرصين . لقد نتج عن هذا أن تكافح القيادة العليا من اجل (شاربورغ) ، فقد أرادها هتلر أن تكون مزودة بقطعات قوية كافية ، وكان قد امر بعد اختراق الأمريكان من الغرب يوم ١٧ حزيران بأن تتراجع الوحدات الموجودة في شمال (كونتنتين) ، وهي التي قطع اتصالها بشاربورغ نتيجة للاختراق الأمريكي المذكور ، أن تتراجع الى شاربورغ لكي يكون في هذه القلعة قطعات قوية كافية ، وكان المطلوب من هذه القطعات التي تقاتل في جنوب الاختراق أن تشكل الجناح الغربي لجبهة (نورماندي) ، فأصدر رومل اوامره وفقاً لذلك ... ولكن بينما

كانت هذه الأوامر في طريقها الى التنفيذ أصدر هتلر أوامره المباشرة الى الجيش السابع لوقف تنفيذ تلك الأوامر التي تنص بآلا تدخل القطعات التي خصصت لشاربورغ قلعته فوراً ، بل عليها الاستمرار في إعاقه العدو جنوب شاربورغ . لم يحط رونشتد ولا رومل علماً بهذا الأمر ، وكانت نتيجة هذا الاضطراب أن وحدات قوات شاربورغ اندفعت نحو الجنوب وفقاً لأمر هتلر ، لأنها كانت لا تريد أن تحبس في القلعة ثانية ، وفوق كل ذلك جاءت أوامره التي تقضي بأن تحاول التشكيلات الباقية في اقصى الجنوب من شاربورغ إعاقه العدو المتوغل نحو الشمال مستهدفاً الاستيلاء على الميناء .

وبينما كانت هذه الوحدات الالمانية تدافع وفقاً للأوامر التي تلقتها والقلعة من ورائها، قام الامريكان بتطويقها من الغرب، فبدأ الآن سباق الماني أمريكي متجهاً نحو قلعة شاربورغ ، كانت نتيجته ان الفريقين المتسابقين وصلا نقاطاً كثيرة من شاربورغ في وقت واحد ، فتبين من ذلك ان الالمان لا يمتلكون وقتاً لاحتلال الجبهة البرية بدون قتال . لقد كان لهذه المهازل التي لا يمكن تفصيلها هنا نتائج خطيرة ، فقد سقطت شاربورغ في غضون بضعة أيام ، وقيل : ان هتلر اجتاحه الغضب العاصف ، وبعد التحري عن المقصرين وصلت هيئة تحقيقية مؤلفة من ضباط اقدمين ومعها كافة الاوامر الصادرة في المعركة ، وكان هتلر راغباً في اتخاذ الاجراءات لاحالة القائد العام للجيش السابع الفريق (دولمان) الى المحكمة العسكرية ، ولكن رونشتد صرح بأنه لن يوافق في أي حالة من الحالات على مثل هذه الاجراءات ، بل يجب ان يقتصر الامر على اعداد تقرير اعتيادي مبني على الحقائق المجردة ؛ اما رومل فأصرّ على اجراء تحرر عن الحقائق بواسطة هيئة التحقيق التي كانت بالصدفة هيئة سديدة الرأي ذكية ، إلا ان النتيجة المحزنة كانت ان قضى الفريق (دولمان) نحيبه بنوبة قلبية ، اذ انهارت صحته لما قاساه من قلق وبذله من جهد .

بدأ الحلفاء بعد سقوط شاربورغ بالتقدم باطراد الى الجنوب: الامريكيون في الغرب والبريطانيون في الشرق ، وشقوا طريقهم مندفعين من شبه الجزيرة الى داخل فرنسا . لقد أمر هتلر في هذا الموقف مرة اخرى بالقيام بهجوم مقابل مدرع بين الأورن والفاير ، وكان على هذا الهجوم ان يشتبك بادیء الامر مع الامريكان بالقرب من (بالي روى) ومن ثم بالبريطانيين ، وخصصت لهذا الهجوم اربع فرق صاعقة وفرقتان مدرعتان من فرق الجيش ، بيد ان هذه الفرق كانت قد تلقت من قبل ضربات موجعة في قتالها السابق ، كما كانت مشتبكة بفرق مشاة ، لذلك اقتضى قطع اشتباكها بالعدو اولاً .

بدأ هذا الهجوم المقابل الكبير على الورق مأمون العاقبة كثيراً ، ولكن الواقع المرير تحكم في مصير هذا الهجوم .

بدأت الانتقادات لقيادة رونشتد ورومل بعد سقوط شاربورغ واخلق الهجوم المقابل الذي امر به هتلر تظهر في دوائر هيئة ركن القوات المسلحة الالمانية ، وقد نظر الى التقارير المتشائمة لكلا المشيرين نظرة استهجان .

سلم رومل الى رونشتد في نهاية حزيران تقريراً محزناً للغاية عن الموقف العام ، فأرسله رونشتد الى مقر القوات المسلحة الالمانية مرفقاً بتعليق أقسى ، مضيفاً اليه : « انه متفق تماماً مع ما جاء في تقرير رومل » ، فعزم هتلر يوم ٢٦ حزيران نتيجة لذلك ان يعقد مؤتمراً برئاسة برناسته في (برختسكاذن) يوم ٣٠ حزيران .

صدر الامر الى الاشخاص التالية اسماؤهم بحضور المؤتمر : المشير فون رونشتد باعتباره قائداً عاماً في الغرب ، والمشير رومل باعتباره قائداً عاماً لجحفل الجيش (ب) ، والمشير امبيرل باعتباره قائداً عاماً للأسطول الجوي الثالث والأميرال (كرانك) باعتباره قائداً عاماً لجحفل البحرية الغربي .

غادر كل من القادة العاملين مقراتهم على انفراد تقلهم السيارات او الطائرات متوجهين نحو مكان المؤتمر ، اما رؤساء هيئات الركن فقد كان عليهم البقاء في مقراتهم التعبوية نظراً لخطورة الموقف .

شرع رونشتد يتحرك من (سانت جرمان) بالسيارة يوم ٢٦ حزيران دون ان يستصحب احداً ليكون في (برخستكادن) يوم ٣٠ حزيران ، ولقد سمع عند وصوله بخبر وفاة الفريق (دولمان) ، فأحزنه ذلك حزناً بالغاً .

كان الغرض من المؤتمر ، القرار فيما اذا كان الموقف في الغرب يائساً حقاً ، كما كان يصوره رونشتد ورومل دوماً في تقاريرهما . لقد أيقن هتلر بأن كلا المشيرين ينظر الى الامور نظرة تشاؤم بالغ ، فأراد ان يدمها بما يجده معنوياتها ... لقد كان جو المؤتمر برمته متوتراً .

أخبر رونشتد بعد وصوله الى مقر الفوهرر وبعد سفرة طويلة منهكة ، بأن موعد المؤتمر قد تأجل ، فلم يزد ذلك الا سوءاً في مزاجه ، ولكن عندما اجل موعد عقد المؤتمر مرة اخرى ، ثار غضبه ، لأن رونشتد لم يكن قد تعود التسويف في المواعيد .

كان هتلر معتاداً على ان ينقل نفسه والآخرين خارج نطاق الحقائق الهزينة ، وعندما انعقد المؤتمر فعلاً وبدأ النقاش حول الموقف في الغرب وما ينبغي عمله الآن ، احتكر هتلر الحديث ، فوصف لهم منهاج اعادة التسليح من جديد والذي هو في طريقه الى التطبيق ، وأطرى اسلحة النصر ، وأشار الى الطائرات القاصفة ذات المحرك النافوري التي كانت في طريقها الى الكمال ، فأذهل نفسه ومن معه بتلاوة ثبت مفصل عن كل ممكن من انواع الاختراعات . لقد كان هذا فوق ما يتحمله رونشتد ، لأنه كان معتاداً على التفكير البناء وعلى مواجهة الحقائق .

وعاد رونشتد الى سنت جرمان غضبان اسفا .

سأل المشير كايتل المشير رونشتد خلال حوار هاتفى بعد بضعة ايام :
« ايها المشير ! ما الذي علينا ان نفعله ؟ » فأجابه رونشتد بهذه الكلمات
القاسية : « عليك انت ان تنهي الحرب » .

غير ان المؤتمر افضى الى نتيجة جازمة ، فان رونشتد كان قد صرح في
برختسكادن بأنه قد ومن العظم منه واشتعل رأسه شيباً ولم يعد معافى
الجسم قادراً على تحمل اعباء منصبه ، لهذه الاسباب ينبغي البحث عن خلفه .

اخبرني كايتل هاتفياً انه رفع رغبة رونشتد في التقاعد الى هتلر بأسلوب
ملائم وهو آسف .

وصل ضابط من مقر الفوهرر الى القيادة الغربية يوم (٢) او (٣) تموز
حاملاً لرونشتد مذكرة من هتلر يعرب فيها عن اسفه ، لأنه وجد نفسه
مضطراً الى استبداله بالمشير فون (كلوكا) وفقاً لرغبته الخاصة .

كانت هذه المذكرة عاطفية جداً ومهذبة في المعنى والمبنى ، وكان معها
اوراق السنديان الخاصة بصليب الفارس لوسام الصليب الحديدي .

لقد رأيتني جامداً وراء قائدي العام ، فأبرقت الى الفريق (جودل)
واللواء (اشمندل) مدير ادارة هتلر التمس فيها اعفائي من مناصبي واستخدامي
في وحدة ما ، ولكنني لم اتلق جواباً .

وصل المشير فون (كلوكا) الى سنت جرمان قادماً من مقر هتلر ،
فأطلعه رونشتد على الموقف .

كان (كلوكا) مرتاحاً ومليئاً بالحياة والنشاط ، فقد خدم في الشرق
منذ سنة (١٩٤٠) وكان لمكوته في مقر هتلر اثر فيه ، ولم يكن قد ألف
بعد الاحوال السائدة في الجبهة الغربية ، ولم يكن يعلم ماذا تعني السيادة الجوية ،

لذلك كان مصمماً تصميماً تاماً عند وصوله على اصلاح الموقف، وفضلاً عن ذلك كان موقناً يقيناً كاملاً بأنه يستطيع ان يفعل ذلك ..

بقي رونشتد بضعة ايام آخر في سنت جرمان منتظراً قرار هتلر بشأن اعفائي من مناصبي ، فقد رغبنا في ان ننطلق معاً ؛ وعندما رفضت مؤقتاً هيئة ركن المقر العام نقلي ، غادر المشير باريس يوم ٦ تموز (١٩٤٤) مبيناً شطر (بادتويلز) في بافاريا العليا ، تاركاً امرأ وداعياً لكافة القطعات ، وآذن هيئة ركنه بالانصراف .

لقد حزن الضباط وضباط الصف والجنود على فراقه ، وشعروا بأنهم افتقدوا قائداً عظيماً !!..



_____ السِّهْمُ الْأَخِيرُ

بقي رونشتد متقاعداً منذ ٦ تموز الى أوائل ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤)، ولكي نفهم مغزى استدعائه لتسليم مهام القيادة في الغرب ثانية ، فلا بد من التطرق الى أهم الأحداث التي جرت في فترة تقاعده .

أدرك القائد العام الجديد (فون كلوكا) بعد بضعة ايام من تسلمه لمنصبه، بأن الموقف في الغرب حيث يكافح الالمان تجاه مصادر الحلفاء المتفوقة تفوقاً كاسحاً ، وأهم من ذلك سيادة الحلفاء الجوية المطلقة، أدرك ان الموقف الراهن يختلف تماماً عما كان يتخيله من قبل .

اشتبك بمشاحنة عنيفة مع رومل باديء الامر ، لأنسه كان يطلب الطاعة المطلقة من رومل . كان كلوكا مندفعاً نشيطاً للعناية ، وكان محله دائماً في الخطوط الأمامية كما يفعل رومل دون ان يريح نفسه ، وكان عليه قبل كل شيء ان يتعود اعمال منظومة القيادة الغربية المرتبكة ، فلك المنظومة التي لم يسبق له ان جرب مثلها في الجبهة الشرقية . لم يتطور الموقف في نورماندي من سيء الى أسوأ فحسب ، بل أصيب لسوء الحظ قائد جحفل الجيش (ب) رومل باصابة خطيرة ايضاً ، اذ هاجمت الطائرات سيارته عندما كان في زيارة الجبهة ، فقتل سائق سيارته واصطدمت السيارة بشجرة، فقذف رومل

خارجهما ، فأصيب بكسور خطيرة في أعضائه . وقد عولج أولاً خلف الجبهة ، ثم أرسل الى مستشفى في (فينست) إحدى ضواحي باريس .

ولما سمع هتلر بهذا الحادث ، طلب الى (كلوكا) ان يستلم قيادة جحفل الجيش (ب) بالاضافة الى مهامه ، وفي هذا الموقف اليائس كان فون (كلوكا) في موقف لا يمكن ان يدوم ، فهو قائد للجبهة الغربية وقائد عام لجحفل الجيش (ب) في آن واحد .

قرر كلوكا ان يتجه فوراً الى (لاروش - كويون) اي الى مقر جحفل الجيش (ب) ليدبر معركة نورماندي من هناك ، وقرر ان يدير اعمال القيادة الغربية العامة في سلت جرمان بوساطة هيئة ركنها ، وهكذا اصبح لديه مقران كبيران يفصل بينهما اكثر من اربعين ميلاً . كان هناك طبعاً اتصال لاسلكي وسلبي بين المقرين ، وقد كنت انا أتردد يومياً الى (لاروش - كويون) لاطلاعه على ما استجدت في مقر القيادة الغربية ، ولاستلام قراراته . وفي غمرة هذا الموقف المتوتر حدثت في الغرب حوادث ٢٠ تموز المفجعة^(١) . أنزل الحلفاء يوم ١٥ آب قواتهم على ساحل البحر الابيض المتوسط الفرنسي ، وظهرت نتائج حوادث يوم ٢٠ تموز بوضوح مطرد من اسبوع الى آخر ، وفي منتصف آب كانت الجبهة الغربية أشد خطورة من سائر الجبهات الأخرى .

لقد تجرع فون (كلوكا) السم ولما يصل الى (متر) في طريق عودته الى

(١) كان بعض قادة الجيش قد اتفقوا فيما بينهم على اغتيال هتلر للتخلص منه أولاً ، ومن ثم انهاء الحرب . وفعلًا تفجرت المفرقات في مقر هتلر ولكنه نجح بأعجوبة . وبالتحقيق الدقيق اكتشف هتلر خطوط المؤامرة واهدافها وأسماء المتآمرين ، ومنهم رومل وكلوكا وستول بناكل الخ ... وبالإمكان الاطلاع على تفاصيل هذه المؤامرة في مصادرها .

(العرب)

أمله ، فعين المشير الشاب (مودل) خلفاً له ، وكان القائد العسكري في باريس اللواء فون (ستول بنساكل) قد حاول الانتحار بإطلاق الرصاص على نفسه يوم ٢١ تموز عندما كان في طريقه الى برلين ماراً من قنسة في ساحة ممركة (فردون) ، ففقد بذلك كلتا عينيه .

حقاً ان تلك الايام كانت اياماً صعبة .

بقي (مودل) قائداً عاماً في الغرب وقائداً عاماً لجحفل الجيش (ب) فاستقر ايضاً في مقر جحفل الجيش (ب) ، وعندما بدأ هجوم الحلفاء على السين حوالي أواسط آب ، اقتضى نقل المقر الى الخلف ، فيم (مودل) وهيئة ركن جحفل الجيش (ب) شطر الموضع الكائن بالقرب من (سواسون) الذي أشرنا اليه سابقاً بمناسبة عقد هنر مؤتمره فيه بحضور رونشتد ورومل . استلمت انا امراً بنقل المقر عدا القائد العام الى منطقة الجبال المشجرة بالقرب من (ريمس) ، فأصبح البعد بين المقرين حوالي ستين ميلاً .

كان (مودل) في مقر جحفل الجيش (ب) منشغلاً كلياً بالقتال الشديد الدائر في شمال فرنسا ، وكنت ورئيس شعبة الحركات منشغلاً تماماً بادامة التماس بالاسطول الجوي وجحفل البحرية ، وأكثر من ذلك بادامة التماس مع جحفل الجيش (ج) في جنوبي فرنسا !! ليس بالامكان ابدأ ان تستمر هذه الحال على هذا المنوال !

ارتفعت في مقر القيادة الغربية اصوات كثيرة تطالب باستدعاء رونشتد الى الخدمة ، لذلك قررت بعد مؤتمر مع رئيس شعبة الحركات الفريق زمرمان ان اوجه رسالة الى الفريق (جودل) ؛ وقد وصفت في هذه الرسالة كيف ان القيادة تعاني اصعب المشاكل ، لأن القائد العام كان شخصاً واحداً ، ولكنه مسؤول عن واجبين وادارة مقرين ، فضلاً عن ان هذين المقرين منفصلان وبعيذان عن بعضهما ، وقد اقترحت اعادة تعيين المشير فون رونشتد قائداً عاماً في الغرب .



المشير فون رونشتد يصدر اوامره قبيل تعرض (الأردن)
وعلى يمينه اللواء ويستفال وفي أقصى اليسار المشير مودل

أدهشني وصول جواب رسالتي في النصف الاخير من آب ... كان يقتضي عرض الاقتراح على هتلر ، وقد سئلت ان اتحقق اولاً عما اذا كان المشير مودل متفقاً معي حول ما اقترحته في رسالتي ، فلم يكتب مودل بالموافقة بل صرح مختاراً : « هذه الفكرة ممتازة » ، وبذلك ظهر ان المشير الحازم نفسه سيكون مسروراً لعودة فون رونشتد ثانية قائداً عاماً في الغرب .

وقد نقل رأي مودل هذا الى مقر القيادة الالمانية العليا حالاً . وبعد بضعة ايام تلقينا الأنباء السارة ، وهي : ان هتلر قد رجا مرة اخرى المشير رونشتد ان يعود لتسم منصبه السابق : قائداً عاماً في الغرب .

كان الموقف بدون شك لا امل فيه ، ولكن المشير عاد ثانية . لقد سئل المشير فون رونشتد : لماذا عاد قائداً عاماً في الغرب ، وهو يعلم بأن الموقف بالنسبة الى المانيا يائس تماماً ؟ فأجاب : - « ان السبب بكل بساطة ، ان واجبي جندياً يقتضيني ألا امتنع عن الخدمة عند احداق الخطر ، كما انني اعرف مدى أسف القطعات لاعفائي من مناصبي في تموز عام (١٩٤٤) ، كما أعرف أي موقف صعب نتج عن مزج القيادة الغربية بقيادة جعفل الجيش (ب) وجعفل القيادتين بأمر فون كلوكا اولاً وبقيادة المشير مودل اخيراً ...

سيقدر قادة الحلفاء الكبار وقادة الاقطار الاخرى ما ينطوي عليه موقف فون رونشتد ويدركون مغزى عودته ادراكاً تاماً ، اذ لا بد وانهم يتصرفون كما تصرف لو ان بلادهم احدثت بها الاخطار ، كما سيدرك مغزى عودته رجال الدولة الكبار ، اذ كان رونشتد كما يشهد جميع معارفه معرضاً عن أي مطمح شخصي .

ففي سنة (١٩٤٠) ترقى الى رتبة مشير بعد انتصاراته العظيمة ، وهي أعلى رتبة يطمح فيها ضباط الجيش ، كما انه لم يكن محتاجاً الى الأوسمة والتلطيفات ، اذ تلقى منها كمية كبيرة تملأ حقيبته مكافأة له على خدماته

الطويلة ، وكان في استطاعته ان يبقى آمناً في المانيا بعيداً عن كل مسؤولية اخرى .

كزّر رونشتد مرات كثيرة بأن الموقف اصبح خطيراً منذ ابتداء الحملة على روسيا ، وفي سنة (١٩٤٣) لم يعد بالامكان تبديل هذا الموقف الخطير لقد ازدادت منزلته علواً في نظر رجاله ، لأنه لم يتركهم وحدهم في ساعات المحنة .

ما أسعدت البلاد التي تمتلك مثل هؤلاء الرجال ... الرجال الذين يخدمونها بدون امل في ايجاد يكتسبونها .

كنت قد رجوت في تموز (١٩٤٤) حينما سرح رونشتد ان انقل الى القطعات الفعالة ، وقد رفضت القيادة العليا رجائي ، ولكن الآن في بداية ايلول (سبتمبر) اجيب طلي ، فكانت خلفي اللواء (ويستفال) وهو ضابط قدير ذو تجارب عظيمة في افريقيا وايطاليا . تسنمت اولاً قيادة فيلق ثم تسنمت من بعد ذلك قيادة جيش من الغرب . لقد اسف كلانا لهذا الفراق ، ولكن بأمر هتلر لم يكن بالمستطاع تبديل شيء . وفي يوم ٥ ايلول (سبتمبر) وصلت سيارة المشير الى المقر التعبوي للقيادة الغربية في (آرن بيرك) بالقرب من (كوبلنز) فحيا الضباط وضباط الصف والجنود قائدهم العام القديم بسرور زائد .

لقد كانت القطعات تحس تماماً فيما اذا كانت تعمل بامرة قيادة حكيمة او غير حكيمة !!!

وقد احيط رونشتد علماً بتفاصيل الموقف العام ، اذ كان رئيس هيئة ركته الجديد اللواء ويستفال يعمل في مقر هتلر .

وفي يوم ما من بعد ذلك ، كتب رونشتد آراءه حول الموقف :

« الآن ونحن في بداية ايلول (١٩٤٤) ، ماذا من المحتمل ان يفعله الحلفاء ؟ يمتد الخط الرئيس للحركات كما ذكرنا سابقاً من نورماندي الى كلا جانبي باريس

والى كلا جانبي (الآخن) باتجاه مقاطعة الرور ونحو شمال المانيا والى الداخل باتجاه برلين، لذلك فإن شمال المانيا وليس جنوبها هو المنطقة الحيوية في القتال ..

« لقد عقب البريطانيون خط حركاتهم الخاص بخرقين بلجيكا الى الراين الأسفل باتجاه شمال المانيا وسواحلها ، وكان الفرنسيون مع قوات امريكية ضعيفة يتقدمون الى الأمام نحو الازراس على الراين الأعلى باتجاه جنوب المانيا حسب خططهم التقليدية منذ ايام لويس الرابع عشر ، فما الذي سيقوم به القسم الأعظم المتبقي من القوات الضاربة الامريكية الآن ؟ هل سيعمل بالتعاون مع جحفل الحلفاء الجنوبي أي باتجاه ثغرة (فرانكفورت) ، أم إنه سيعمل بالتعاون مع القوات البريطانية باتجاه (اخن - الرور - برلين) ؟؟ أعتقد أن القسم الأعظم من القوات الامريكية ستتقدم كلها باتجاه الشمال الشرقي عبر خط (ترير - إخن) باتجاه مقاطعة (كولون - رور) جنوباً نحو شمال المانيا ، وذلك بعد وصول الحلفاء الى الحدود الالمانية ، وبذلك فإن المانيا الجنوبية التي لم تتعرض للهجوم قد تسقط حينذاك من تلقاء نفسها ...

« وحينما اتضح مجرى الحركات بعد ذلك تبين أن وجهة نظري في حينها كانت صحيحة . لقد اعتقدت بطبيعة الحال - دائماً - بأن الحلفاء سيبدلون كل ما في وسعهم للوصول قبل الروس الى برلين لأجل منع الروس من التوغل بعيداً جداً عبر الأودر الى الغرب ، وليس من اجل اعتبارات المثل العليا الغربية ، أما ما يمكن في طريق هذه الحركة من الدسائس السياسية فخارج عن نطاق معلوماتي ، ...

إن نظرة رونشتد هذه المتعلقة بأفضل خطة للحلفاء في خريف (١٩٤٤) ممتعة جداً ، لأن هياكل الركن البريطانية والأمريكية والفرنسية والكتاب العسكريين انهمكوا انهاكاً شديداً في بحث هذه القضية . ان من الواضح أن المشير مونتكميري كانت له افكار مشابهة لأفكار رونشتد ، فقد ذكر ما يمكن

أن يحدث في الجانب الألماني في ايلول كما يلي :

« إن الواجب الرئيس للقيادة الغربية ، هو إيقاف حركة الانسحاب العامة وتوطيد أركان الجبهة . ونظراً لتدخل القيادة العليا المعتاد ، فليس من المحتمل أن تنجح هذه المحاولة إلا نجاحاً جزئياً . إن هواندا التي تقع في الزاوية اليمنى من الجبهة الرئيسية ، كان يجب أن يحتفظ بها بأي ثمن بدلاً من إخلاء القسم الأكبر من هذه البلاد بصورة منظمة وإبقاء التماس بالقسم الباقي منها في الضفة الشرقية لبحيرة (يسل) ونحو الجنوب الى الراين الاسفل .

« أما ذلك الحليط غير المنظم من الوحدات الذي أطلق عليه بالجيش التاسع عشر والذي زج به اعتباطاً ، فقد كان ينبغي الاحتفاظ به على أبعد ما يمكن الى الغرب طالما ان هتلر قد امر الجيش المدرع الخامس لأن يقوم بهجوم عديم الجدوى باتجاه سهل (لانكرس) نحو مؤخرة الامريكان....

« كان على الجيش التاسع عشر أن يحتل بأسرع ما يمكن خط : - السفوح الغربية لجبال الفوج - بلفورت ، لكي يعيد تنظيمه قبل كل شيء هناك ، وليتمكن من ابداء مقاومة عنيفة بالتعاون مع الجيش الاول الذي كان على اهبة الاستعداد الى الشمال من ذلك في اللورين . لقد كانت قسم من القوات المدرعة المتيسرة مجهزة تجهيزاً غير ملائم ابدأً للتعرض حتى أن حشده لم يتم بعد . لقد كان ينبغي ان تكون القوات المدرعة خلف الجبهة في المركز الحسوي للقوات الاحتياطية المخصصة للهجوم المقابل ، على أن يكون اكثرها بطبيعة الحال في شمال الموزل في المنطقة الكائنة شرقي (إخن) حيث اقتقدت هنا حين تبين أخيراً أن الحاجة اليها حاجة قصوى لا مندوحة عنها ...

عبر رونشتد عن آرائه آخذاً بنظر الاعتبار الامكانات الدفاعية الموجودة حينذاك كما يلي :

« اني استطيع ان امرّ مرّة الكرام على حقيقة ان (الجدار الغربي) غير ملائم ، فقد كان من ابرز عيوبه امتداده الواقع في القاطع الجنوبي حوالى (شاربورغ) ، فهنا كان ينبغي ان ينشأ خط يوصله بالسفوح الغربية لجبال (الفوج) باتجاه (بلفورت) قبل وقت مناسب . لقد كان هذا الخط مؤشراً على الخريطة ، ولكنه لم يشيد ابداً . لعبت قلعة مبيتز نفس الدور المحزن الذي لعبته قلاع الساحل الفرنسي من قبل ، وذلك في القتال الذي نشب فيما بعد ، فلم يتخذ اي قرار للتخلي عنها في الوقت المناسب بعد ما اصبحت بالتدريج لا فائدة منها للخط العام من جبهة القتال . وقد استمرت هذه القلاع على ابتلاع قوات تزداد باطراد دون ان تستطيع ايقاف العدو .

« لم يهبأ أي شيء للدفاع عن الراين ، ولم تؤمن حماية معابره ، وكان قيادة الاقاليم المدنيون النازيون قد انشأوا مواضع دفاعية بمعاونة السكان المدنيين في غرب الراين بين الجدار الغربي والنهر ، ولكن هذه المواضع كانت عديمة القيمة من الناحية العسكرية . لقد كانت فكرة انشاء هذه المواضع حسنة ، ولو انهم اقاموا بدلاً منها مواضع دفاعية في الضفة الشرقية من الراين وفي رؤوس الجسور السوقية وبمقياس اوسع في الضفة الغربية ، لكانت اكثر فائدة واجدى نفعا ، وليس من السهل الدفاع عن الراين نفسه ابداً لا سيما على وجهة نظر المدفعية ، فضلاً عن ذلك فان الراين في جميع اقسامه لا يشكل مانعاً مؤثراً بالمعنى الصحيح . وهنا كان من الضروري وجود سلسلة مسؤوليات من القيادة الواضحة المعالم ووجود توجيهات خبيرة بالعمل ، وعندما جئنا لنعمل كان الوقت متأخراً جداً ...

« من كل هذا تظهر وجهة النظر العسكرية ان المقاومة العنيفة يجب ان تستمر اطول مدة ممكنة وعلى ابعد ما يمكن في الغرب ، لمحاولة كسب الوقت ؛ وحينذاك كان بالامكان اجراء الانسحاب الى خلف الراين من بعد هذه المقاومة طوعاً وفي الوقت الملائم كما جرى الانسحاب بعد اباداة القوات الالمانية الامامية

المتيسرة ابادة تامة تقريباً لا لسبب الا للاحتفاظ بصكل شبر من الارض
ليس إلا ، ...

وعندما عاد رونشتد ثانية الى القيادة الغربية في مستهل ايلول (١٩٤٤) ،
كانت الجبهة بكاملها ممتدة تقريباً كما يلي : -

(اوستند - انتويرب - ماستريخت - لبيج - دولة لوكسمبرغ - ميتر -
ثانسي - والى الجنوب من ذلك) ، ولم يكن هناك اي اتصال من (بلفورت)
حق الحدود السويسرية ، وكان ينبغي الزج بالجيش التاسع عشر من جنوب فرنسا
الى هذا القاطع الذي لا يزال مفتوحاً والمؤدي الى (الالزاس - بلفورت) ، ولكن
هذا الجيش كان في تلك الايام لا يزال يقاتل بعيداً الى الغرب من ذلك .

لقد كان بأمره القيادة الغربية في هذه الجبهة بكاملها جحفا جيشين :

أ - جحفل الجيش (ب) بقيادة مودل يضم اليه الجيش الخامس عشر
وجيش المظليين والجيش السابع .

ب - جحفل الجيش (ج) بقيادة بلاسكويتس يضم الجيشين الاول والتاسع
عشر .

وكان الحد الفاصل بين جحفلي الجيشين ممتداً من (هوزدن) مخترقاً (بيت
بيرك) الى (اندرناخ) على الراين . كانت حالة القطعات تختلف اختلافاً
عظيماً ، اذ كانت لا تزال هناك فرق ذات قوة حربية مهيئة للعمل ، ولكن
كان هناك ايضاً فرق وهمية لا وجود لها : وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في
بعض النقاط كما يحصل دائماً عندما تضطر القطعات الى تراجع قسري لمديات
بعيدة ، هذه الفوضى التي تحصل دائماً دون ان تكون بتقصير من الجيوش . ان
الجيش الذي يسحب في الوقت الصحيح حسب خطة منظمة رصينة آخذاً مبدءاً

(الاقتصاد بالمجهود^(١)) بنظر الاعتبار ، لن يصاب برّجة عنيفة مؤثرة فيما اذا كان مؤلفاً من قطعات جيدة ، ولا يضر التراجع بسلوك ومعنوية الجندي الا حينما يشعر بأن لا خطة مرسومة يستند اليها الانسحاب . . ولا هدف ...

ان السبب الرئيس لهذه الفوضى المحلية يعود الى الطلب المستحيل : « أثبت في محلك... » ، وكانت نتيجة ذلك حينئذ ان القطعات قاتلت حتى تم تطويقها ، ومن ثم استلمت امراً لاختراق الطوق في آخر لحظة وكانت ثمن ذلك خسائر كبيرة في الرجال والمعدات ، كما ان الثقة بالقيادة العليا وهنت ..

لا عجب اذاً في ظهور امارات التفكك في نقاط معينة خلال هذا القتال التراجعي دون ان يكون سببه نقص كفاءة الجنود، ولكن رونشتد كان يستطيع ان يدعي شيئاً واحداً : لم يحدث أي تردد ولم يبد ضبط رديشي .. وهذا يختلف تماماً عما حصل عام (١٩١٨) .

لقد كانت معجزة ان هذه القطعات المنهكة الباسلة لم تظهر إلا بعض الوهن القليل في سلوكها ومعنوياتها . صحيح ان القطعات كانت متعبة بل منهكة وفي حالات كثيرة متبلدة ، ولكنها كانت محتفظة كلها بعزمها على القتال ، وقد بدت هذه الظاهرة غير مفهومة في المحافل الأجنبية ، اذ طلبت هذه المحافل تقارير مسببة عما اعتبرته معجزة . لقد كان الامر مختلفاً تماماً عام (١٩١٨) ، في حين لم تكن وقتذاك سيادة جوية معادية ولا حرب قصف ...

فقد استطاع هندنبرغ ولودندروف ان يديرا الحركات ادارة غير مقيدة ،

(١) الاقتصاد بالمجهود : مبدأ من مبادئ الحرب ، وهو استخدام اصغر القوات للامن او لتحويل انتباه العدو الى محل آخر ، او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة . وكان يطلق على هذا المبدأ سابقاً : الاقتصاد بالقوة .

(العرب)

وتمكننا من ان يسحب الجبهة بصورة منتظمة وفي وقت مناسب .

كان رونشتد يعلم ان الحرب قد خسرت من الناحية العسكرية ، وان السياسيين يسرون في اتجاه سلمي ، ولكنه من وجهة نظر ثانوية وعسكرية ايضاً لم يكن هناك غير حل واحد معقول ، وهو ما ادركه المشير حال وصوله : ان يصدر امراً الى كلا جحفي الجيشين دون أي تردد بسحب جبهتيهما الى الخط المباشر : (زوول (في الزوايد رزي) - يسل - آرنيم - موز - الجدار الغربي - السفوح الغربية لجبال الفوج - بلفورت) مجتنبين كل قتال غير ضروري ، مع ابقاء مؤخرات تعيق تقدم العدو ، وحين ذاك يتيسر الوقت للقطعات المنهكة ان تستعيد حيويتها ويعاد تنظيمها وترصن دفاعاتها وتحتل مواضع محددة بعناية متصلة مع بعضها بنقاط مثبتة ، وكان مثل هذه الجبهة القصيرة المستقيمة يؤمن دفاعاً رصيناً ذا احتياط سيار ، ويمكن الموضع الجديد من الحصول على درجة من العمق الذي بدونه لا يمكن انجاز الدفاع ، وكان ينبغي لكافة الفرق المدرعة وفقاً لوجهة نظر رونشتد ان تكون قد احتلت مواضعها خلف هذه الجبهة بشكل احتياطات سوقية كبيرة .

حينئذ كان يمكن ان يؤمل بأن الحلفاء سيحتاجون الى وقفة قصيرة لتهيئة هجومهم المدبر ، فينتفع المدافعون الالمان بهذه الوقفة .. ولكن ما الفائدة من جميع هذه الأفكار عندما يكون امر تطبيقها الفعلي معرضاً لأن يفرق في كلمة : (لا) التي ترددها القيادة العليا دائماً !!!

أراد رونشتد كما ذكرنا سابقاً ان يخلي هولندا ، وان يسحب كافة الدفاعات الى خط مستقيم ليقصد في استخدام القوات . ولنتفهم البحث من جميع أطرافه ، ينبغي ان نذكر الأسباب التي وازن بينها هتلر لأجل الاحتفاظ بالأراضي المنخفضة اطول مدة ممكنة ، فقد رأى ان هولندا آخر معقل غربي يمكن الاحتفاظ به خارج الحدود الالمانية ، فهل امل هتلر ان ينال بالاحتفاظ

بها شيئاً ما بالمجهود السياسي ؟ ان رونشتد لم يكن يعلم عن ذلك شيئاً ، اما من الناحية الظاهرية فيبدو ان الامر لم يكن كذلك ، لأن الموقف الذي وجدت المانيا نفسها فيه لم يكن ليساعدها على فرض شروط على خصم منتصر ، بل ان هذه الشروط تفرض من الخصم المنتصر وحده . لقد كان ينبغي وجود رجال دولة ذوي نظر بعيد جداً ليقوموا بمباحثات صلح مع المانيا في سنة (١٩٤٤) ، ولكن المنتصر عادة يستثمر الموقف الخطير لخصمه ، كي يأخذ من خصمه شيئاً ما غصباً واقتداراً . ترى ! أيعتبر ذلك في مثل هذا الموقف رشداً ام خطأ ؟ ذلك ما لا يمكن مناقشته هنا . على كل حال كان رونشتد يعلم بأن العدو لم يعد ليتنازل بعد اليوم ، فضلاً عن هذا لم يعد يستطيع ان يفعل ذلك ، اذ كانت الاتفاقات الشاملة مع موسكو^(١) قد أبرمت ولا يمكن تبديلها ، وليس لهولندا تأثير ما على الامر من الناحية السياسية حتى ولو بقي هتلر يفكر في امكانية وجود شيء من ذلك .

ولربما كان للاحتفاظ بالاراضي المنخفضة سبب اقتصادي ، ولكن هولندا نفسها كانت تعاني في مدنها الكبيرة الغربية ازمة غذائية ، فكان على الشرق الاوفر ميرة ان يمد غربي هولندا ، كما كانت قواعد اسلحة النصر قد أنشئت في شمال غربي هولندا ، مما يجعل التخلي عن هذه المنطقة وعن هذه الأسلحة البعيدة المدى خسارة ايضاً ، ولكن علينا ان نتذكر مقابل ذلك ان هذه الاسلحة في مرحلتها التي كانت قد وصلت حينئذ ، لم تكن ابداً عاملاً حاسماً في الحرب ، كما ان فكرة الاحتفاظ بقاطع اخير في الساحل الغربي والضغط على انكلترا عبر القنال قد اصبحت في خريف (١٩٤٤) هراء ! وحتى الساحل الهولندي لم يعد قادراً على تصريف ما حل من قضاء وقدر .

(١) أي الاتفاقات بين موسكو من جهة ، والحلفاء من جهة اخرى .

(العرب)

بقي سبب عسكري محض ، فقد كان الحلفاء في تعرضهم نحو الشرق و وصلوا على العموم خط (بلفورت - فوج - ميتز - ليوتيج) ، وكانت بعض وحداتهم قد استدارت نحو الشمال باتجاه الراين الاسفل ، وكانت هذه القوات ضعيفة نسبياً ، وكان جناح قوات الحلفاء ينكشف تدريجياً بكل خطوة يخطونها نحو الراين . ربما كانت هناك فكرة ما عن الهجوم الألماني من هولندا باتجاه الجنوب مستهدفاً (انتويرب) يمحاه الأيمن ، وبذلك تطوق جبهة الحلفاء بكاملها سوقياً من الشمال ؛ ولكن مثل هذه الخطة الجريئة كانت مبنية على فرضين لم يعودا ميسورين في عام (١٩٤٤) : اولهما ان تكون هذه القوات قوية جداً ومجهزة تجهيزاً ممتازاً وان تكون بقوة جيشين على الأقل ، وفضلاً عن ذلك فلن تكون هذه الخطة مجدية الا بعد تقوية القوة الجوية الألمانية تقوية ذات شأن . ومن ثم كانت هناك ايضاً الصعوبات الفنية الناجمة عن عبور الروافد العريضة للراين الاسفل والموز ومناطقها المغمورة بمياه الفيضانات ، وهنا ايضاً لم تكن الوسائل الفنية لعبور جيوش كاملة عبوراً سريعاً متيسرة كذلك في عام (١٩٤٤) .

وكان رأس الجسر الجبار في هولندا الذي سبب تبذيراً هائلاً في القوات ، قد اصبح - وفقاً لرأي رونشتد - عقيماً من وجهة النظر العسكرية ، لأنه لم يعد مستنداً على اي غرض سوقي ، وفي مقابل ذلك أدرك رونشتد حينئذ بوضوح - وهو ما كان على كل حال واضحاً وضوحاً لا بأس به - انه ستأتي في يوم ما اللحظة التي سيعبر فيها الحلفاء نهر الراين بين (ويسل) و (امرج) وسيقومون حينئذ بالاندفاع الى الامام بكل بساطة نحو الشمال باتجاه (ايمدين) و (سول) . ان نظرة الى الخريطة تظهر ان جميع القوات الألمانية التي وضعتها القيادة الألمانية في هولندا ستقع في الفخ حينئذ ان دون ان تستطيع الانسحاب شرقاً في الوقت المناسب .

لقد سبق لرونشتد تقديم عدد من التقارير حول الموقف في هولندا الى هيئة

الركن الالمانية العليا في خريف (١٩٤٤) .

كان الراين السبب النهائي والرئيس في آن واحد لتقاعد رونشتد النهائي في مارت (١٩٤٤) ، اذ تركزت بفضـل اختباراتـه العظيمة في حربين عالميتين ضروسين رويداً رويداً في تفكيره وجهة نظر هي : « ان الانهار والجداول من الناحية السوقية لا يمكن ابدأ ان يحتفظ بها أمدأ طويلاً من الزمن ، ولكن يمكن الاحتفاظ بها تعبويأ فقط ولفترة محدودة من الزمن » ...

أن نهر الراين هو النهر الوحيد في غرب المانيا بين سويسرا والبحر الشمالي يمكنه ان يكون عائقاً في أعين الناس الاعتياديين فقط وبالنسبة الى الخريطة ايضاً ، ولكن الحقيقة ان هذا النهر في امتداداته العليا بين (بازل) و (ميتر) ليس الا مانعاً صغيراً ، اما في حوضه الاوسط بين (بنجن) و (كوبلنز) فليس بشيء على الاطلاق .

ان الراين الاوسط علاوة على ذلك ملتوٍ الى درجة يصعب معها حق الدفاع التعبوي عنه ، اما في حوضه الاسفل فقط حوالى (بون) ، فانه عريض نسبياً ، ولكنه ليس كعرض (القستولا) و (الدنبر) و (الدون) والانهار الاخرى بأي حال من الاحوال . ولكن اذا كانت نية هتلر الدفاع عن الراين باعتباره " حـر مـعـقـل " فقد كان عليه ان يأمر بتحصين ضفته الشرقية عام (١٩٤٣) ، الا هذا لم يحصل !!

لـ بتيسر من (كارلس روها) الى (ويسل) حتى ولا تحصينات ميدان .
قد هـ الدفاع عن الراين وهمياً !! ..

ومرة اخرى كان هناك الغموض في العلاقات بين القيادة الداخلية ، فالراين يجري في تربة المانية ، لذلك لم تكن السلطات المحلية الداخلية المسؤولة ومقرات الفياق العاملة منشغلة بهذه الناحية فقط ، بل إن القادة السياسيين النازيين في

اقاليم الراين زجوا أنفسهم في هذا المضمار ايضاً : لقد ساعد الجميع على عرقلة دفاعات الراين ، وكل ذلك جعل جهد رونشتد غير المشكور في الاحتفاظ بالنهر اكثر صعوبة .

لقد تقرر بعد مداولات طويلة أن تكون هذه السلطات بأمره القيادة الغربية في جميع أغراض الدفاع عن النهر ، فأصبح رونشتد على الأقل قادراً الآن على اصدار وصايا عامة للدفاع عن الراين ، على الرغم من أنه أصبح مفهوماً لديه أن الوقت لذلك بات متأخراً للغاية . لقد قسم النهر على الخريطة الى قواطع ووضعت هذه القواطع بأمره من أطلق عليهم : (أمرو الراين) ، وانهقد العزم على إنشاء مناطق محصنة أخرى لتكون رؤوس جسور في معابر الراين ، وشكلت وحدات انذار لتكون قطعاً أمن احتياطية ؛ وقد كانت الكفاءة العسكرية لهذه الوحدات هزيلة ، لانها كانت مؤلفة من رجال الشرطة والعمال ورجال الحرس الوطني .. وبدأ باقامة التحصينات ، وكانت الاسبقية للمعابر ثم للقواطع المهمة من النهر ؛ وعندما وصل الحلفاء فيما بعد الى نهر الراين ، وكانت هذه التحصينات بطبيعة الحال تافهة جداً ، لان الوقت كان قصيراً للغاية .

إن حوادث الجانب الالماني في الغرب خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) تمثل معركة خاسرة يخوضها جيش تخلى عنه السياسيون ، وبسدت في الأفق امارات حلول النكبة ، وازداد الضغط عليه شرقاً وغرباً ، وكان الروس يندفعون مسرعين باتجاه الحدود الالمانية الشرقية والى الجنوب نحو منطقة هنكاريما .

كان الحلفاء يشددون الحثاق في شمال إيطاليا ، وكانوا يقتربون من وادي البو والألب ، وكان العدو يتدفق باتجاه الحدود الالمانية الغربية ، وأصبح سهلاً للقوة الجوية الحليفة أن تركز قصفها من اربع جهات على ساحة الحركات التي لا تنفك تضيق تدريجياً ، وكان نظام السابلة لهذه القلعة المطوقة يزداد ارتباكاً من اسبوع الى آخر ، مما جعل نقل القوات الكبيرة الى الجبهات المختلفة اكثر

صعوبة مما كان عليه من قبل ، كما عانى الانتاج الصناعي ونقل الفحم والحديد والمواد الخام الأخرى الأمرين من تزايد هجمات الحلفاء الجوية الموحدة .

وعلى الرغم مما حاق من تدمير وحن وشدائد ، فلم تلن قناة معنويات السكان واراوتهم على المضي في المقاومة كما كان من المتوقع حقاً أن يحدث ، وقد برهن ذلك على درجة المقاومة العالية التي يستطيع السكان ابداءها .

لا يمكن في هذا الكتاب وصف اشهر المأساة الأخيرة التي جرت خلال قيادة رونشتد في الغرب بتفصيل واف ، ولكننا سنقتصر على ذكر الحوادث الرئيسة .

شهد شهر ايلول (سبتمبر) عام (١٩٤٤) استئناف القتال على جبهة أعيد توحيدها في الغرب . لقد ادى امر القيادة العليا الذي ينص على الاحتفاظ بكل شبر من الارض الى ازمتات محزنة على اقصى جناحي جبهة القيادة الغربية ، ووجد الجيش الخامس عشر نفسه في موقف خطير في جنوب هولندا وشمال بلجيكا . وفي اللحظة الأخيرة سمح له بالانسحاب الى خلف (سكيلدت) ، ولكن انسحابه هذا كان في الحقيقة اختراقاً الى الخلف لا انسحاباً . ونجح جحفل الجيش (ب) اخيراً وبصعوبة في تشكيل جبهة متصلة تقريباً مشروطاً ذلك بطبيعة الحال بالاحتفاظ بهولندا . كما نصت الاوامر في الجنوب على الثبات في (فيسول) ومنطقة (بيسانكون) ، وقد انحنت قوات الجيش التاسع عشر الضعيفة الى الامام تماماً وكانت قد احيطت من ثلاث جهات ، فاذا لم يحر الآن سحبها فوراً فربما قطع خط رجعتها في غرب (بلفورت) ، ولن تكون بعد هذا قادرة على المرور خلال ممر (البركندي) نحو (الازاس العليا) ، وبذلك يستطيع العدو ان يتقدم دون مقاومة خلال (بلفورت) نحو الشرق الى الراين . وهنا كان الموقف شبيهاً بالموقف الذي حدث في حزيران في مستهل هجوم الحلفاء على (شاربورغ) ، ولكن على مقياس اوسع ... ومع ذلك فان الجناح الجنوبي لجبهة الجيش التاسع عشر تمكن في آخر لحظة ان

يتخلص فينسحب الى (الفوج) الجنوبية نحو (بلفورت) ، وبهذا العمل اتصل بالجيش الاول في الشمال ، بينما استند في الجنوب على الحدود السويسرية .

نجح رونشتد وجيوشه اخيراً على الرغم من أوامر هيئة ركن القيادة الألمانية العليا التي جعلت من فن الحرب مهزلة - نجح اخيراً في ان 'تنشأ' على الاقل جبهة متماسكة تماسكاً مهلهلاً ، وكان يتوقع خلال هذه الاسابيع يوماً ان يخترق الحلفاء هذا الخط الواهن اختراقاً حاسماً

كيف كانت تتراءى هذه الجبهة ؟ انها تتألف من القطعات التي قاتلت منذ ابتداء الغزو في حزيران ، اذ لم ينقل الى هذه الجبهة منذ ذلك الحين غير عدد قليل من الفرق ، وكانت القطعات الألمانية التي هوجمت هجوماً مدمراً من الجو وشددت جيوش الحلفاء الالية الممتازة عليها الخناق ، وبعد دفاع باسل كانت تدفع الى الخلف نحو الشرق تدريجياً ، وقد أخذت هذه الفرق المزودة بنقلية من الحيوانات بالتلاشي متأثرة بالضربات الكاسحة المتلاحقة من خصمها المتفوق ، حتى لم يعد لكثير من الفرق وجود بالمعنى الصحيح ، بل بقي منها جماعات قتال مؤلفة من بضعة آلاف من الرجال ، وحتى هذه التشكيلات المختلفة كثيراً ، كانت تتألف من جنود يمتون الى كافة انواع الوحدات المتيسرة ... تنظموا وتشكلوا تماماً كما وجدوا انفسهم اثناء القتال !!

كانت فرق المظليين (الجيكر) لا تزال تمتلك درجة عالية من الكفاءة الحربية ، وكانت هناك بعض الفرق المدرعة لا تزال بحالة تمكنها من معالجة الحالات الاضطرارية ، ولكن لم يكن لدى أقوى الفرق أكثر من اربعين الى خمسين دبابة . وقد ازدادت صعوبة القتال التراجعي من جراء امر هتلر ذي اللعن المكرر : (اثبت مكانك) فلا عجب ان تصل هذه الفرق الخليط أشتاتاً كي تباد في الجدار الغربي ، وهنا ايضاً كانت تبدو امارات تدل على التفكك في نقاط مختلفة من الجبهة .

فلماذا لم ينتهز الحلفاء الغربيون وقتذاك هذه الفرصة السانحة ؟ لم يكن عليهم إلا ان يتجهوا نحو المنطقة الحيوية ، ويخترقوا الجبهة الالمانية الواهنة فيبدوها ، اذ لم يكن هناك أي شيء يستطيع صد تقدمهم ... لقد توقع رونشتد هجوماً كبيراً انكلو - امريكياً باتجاه الشمال الشرقي عبر مقاطعة (إينخن - رود) والى برلين ، وقد كانت بالنسبة اليه معجزة ان العدو منحه فرصة اخرى تمكنه بصورة وقتية ليركز موضعه على الحدود الالمانية الغربية .

من الواضح انه كان للقادة الغربيين من الحلفاء اسبابهم ، فربما اعتقدوا ان الجدار الغربي كان مانعاً لا يمكن اقتحامه بسهولة ، ولربما تصوروا ان الجيش الالماني ينهار حالما يصل الحلفاء الوطن الالماني ، ومن الممكن ايضاً انهم جابهوا صعوبات تموينية لا سيما تموين التشكيلات الآلية ، فاضطروا الى التوقف رداً من الزمن عن الحركات ... دارت هذه التصورات في خلد القيادة الغربية الالمانية وقتذاك ، لأن الاسباب الحقيقية لتوقف العدو لم تكن معلومة في سنة (١٩٤٤) .

لقد كانت الفترة من ايلول الى بداية تشرين الاول (١٩٤٤) على العموم فترة ترصين لجبهة القيادة الغربية على الرغم من القتال الموضعي الشديد . لم يفقد رونشتد مطلقاً على الرغم من قلقه على جبهته الطويلة الممتدة من بحر الشمال الى الحدود السويسرية تفهمه للموقف العام المحيط بالمانيا ، فلو ان الجبهة الغربية بقيت صامدة فارت الجبهة الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية قد تنهار ... لقد كان هذا - بكل بساطة - الصراع النهائي حول قلعة جبارة مقفلة تدعى : (المانيا) ...

قدّرت خدمة الاستخبارات الالمانية البتي كانت تعمل في انكلترا وجود حوالي ثمانى الى تسع فرق محمولة جواً في بريطانيا ، وقد زج بما يقرب من نصف هذه القوة في نورماندي ، فأين بقي النصف الآخر الآن ؟ وهل ان الفرق التي سبق زجها في ايلول جاهزة اليوم للعمل مرة اخرى ؟ لقد توقعت القيادة الالمانية

العليا أثناء قتال الانسحاب في فرنسا استخدام الحلفاء لتشكيلات سوقية كبيرة من القوات المحمولة جواً على بعد عظيم من مؤخرة الجيوش الألمانية المتراجعة .

أيقنت القيادة الغربية الألمانية ان انزالاً جويًا للعدو قد يحتل أماكن حيوية في جبهة (الجدار الغربي) او قرب (بلفورت) ، لتكون حاضرة للاشتباك ضد القوات الألمانية المتراجعة ، وقد ادركت القيادة الغربية الألمانية في اواسط شهر ايلول (سبتمبر) ان البريطانيين والكنديين يستحضرون لتعرض على الاقسام السفلى من الراين ، فقد دلت البرقيات المسترقة على ان العدو صور تصاورير جوية لمعظم المعابر الهامة القائمة على الراين الاسفل ، فاستدلت القيادة الغربية الألمانية من هذا على احتمال وقوع انزال جوي في زاوية الراين بين (ايمرج) و (ارن هايم) اي على الضفة الشمالية للنهر ، وكان جيش المظليين الاول موجوداً في هذا القاطع . وفي يوم ١٧ ايلول حدث ما كان متوقعاً ... لقد كان الجو مشمساً جيلاً كما كان يوم (احد) وفيه — كما تعلمنا من تجارب الحرب — غالباً ما يحدث شيء ما !... وكان مقر جمفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل قد سبق ان نقل الى (آرنيم) احتياطاً للطوارئ ، وفي الساعات المبكرة من ذلك اليوم ألقت الوجبات الاولى من الهابطين على مقربة من المقر ، فاشتغلت خدمة التقارير الألمانية بصورة جيدة ورصدت الطائرات الاخرى باستمرار ...

كانت منطقة انزال المظليين والقطعات المحمولة جواً للحلفاء كبيرة جداً ، اذ شملت (ارنيم — كليفس — هوفن — تيبيل) ، ولكن اين هو الانزال السوقي في الراين الاسفل الذي توقعه الالمان ؟

كان رونشتد يرى الا معنى للانزال من الجو الا اذا كانت له غايات سوقية ، اي احتلال معابر الراين ، والا اذا اعقبه هجوم رئيسي يقوم به الجيش الواحد والعشرون البريطاني من البر .

لم يكن لدى الالمان في هذه المنطقة احتياطات كبيرة ، وكان جيش المظليين

الالماني الاول ضعيفاً ، وكان الجيش الخامس عشر الالماني لا يزال مشتبكاً في عبوره مصب نهر (الجلدويت) ، فكان من الضروري ارجحال ما تدعو الحاجة اليه سريعاً لمقاومة الهابطين ، فاستجلبت قطعات من الجيش الخامس عشر وقطعات من وحدات القائد العام للجيش الالماني في الاراضي المنخفضة ، كما استجلبت حتى من المنطقة العسكرية السابعة التابعة للجيش الاقليمي .

لقد كان رونشتد مسروراً ، لان القائد النشيط مودل المشبع بروح العزم الهادىء دائماً في الملمات ، كان على مقربة من المنطقة المهددة ، وقد حالقنا الحظ مرة اخرى ، اذ استولينا على اوامر حركات كانت في زلافة تعود للقطعات المحمولة جواً ، وبعد وقت قصير كانت تلك الاوامر بين يدي القائد العام لجيش المظليين الاول الفريق (ستودنت) . ان مما يلفت النظر كثرة استيلاء الجانبين على اوامر حركات هامة ما كان ينبغي ان تكون في حوزة قطعات الصولة ، وما من شك في ان الاطلاع على هذه الاوامر سهل تدابير الالمان المقابلة . نسق المشير مودل والفريق ستودنت واكتملا جميع الاستحضارات في فترة بعد الظهر ومساء يوم ١٧ ايلول لمعالجة الموقف الناشىء من نزول العدو جواً ، وكان الموقف في هذا اليوم لا يزال غامضاً بالنسبة للقيادة الالمانية العليا ، وذلك للامتداد العظيم لانزال البريطانيين الجوي وانتشاره بمجموعات متباعدة بعداً شاسعاً .

لم يتحقق هجوم الجيش البريطاني الثاني المتوقع برأ ، وكانت القيادة الغربية قد خمنت قوة هذا الجيش بحوالي الست الى السبع فرق مشاة واربع الى خمس فرق مدرعة وبضعة ألوية مدرعة ؛ وقد خمنت القيادة ان هذا الجيش سيكون معابر للراين بين (ويسل) و (آرنيم) ، ومن الصدف ان كان فيلق الصاعقة الالماني الثاني المدرع الذي يتألف من الفرقتين الصاعقتين التاسعة والعاشرة في شمال (آرنيم) ، وكانت هذه التشيكلات قد وهنت وهنا عظيماً نتيجة للقتال السابق . وكان هذا الفيلق في هذه المنطقة يستجم من وعشاء الحرب ليعود من

ثمة الى المانيا ، وكان بعض وحدات هذا الفيلق في المحطة استعداداً للسفر ...
فاستدعيت !!!

وفي يوم ١٨ ايلول كان هجوم الجيش البريطاني الثاني الذي تقدمت دباباته شمالاً حتى (ايتروهوفن) ، فاستطاعت ان تحصل على التماس بالقوات الهابطية هناك . وفي نفس اليوم تزايدت تدريجياً الانزالات المعزولة قريباً من شمال (آرنيم) ، وقد امكن تمييز هوية الفرقة البريطانية الاولى والفرقتين الأمريكيتين الثانية والثمانين والواحدة بعد المائة المحمولات جواً ، وقد اشترك في الانزال ايضاً - استناداً الى تقارير الوكلاء - لواء بولندي .

لاح فجر يوم ١٨ ايلول دون أن يحصل أي الفريقين نتيجة ما ، وقد نشب خلال الأيام القليلة التالية قتال عنيف لا سيما عندما حدثت إنزالات اخرى بالقرب من (آرنيم) في يوم ٢٣ ايلول ، وقد استمر القتال حتى يوم ٢٦ ايلول ..

نجح الجيش البريطاني الثاني بصورة عامة في الاندفاع نحو الراين الأسفل ، ولا نعرف فيما إذا كانت الأوامر التي تلقاها تنص على أن يقتصر تقدمه حتى الراين ، وبذلك يؤمن حماية جناح التعرض من بعد ، أم إنه كان ينبغي له أن يستمر مندفعاً عبر الراين .

إن سر نجاح الالمان هو في احتفاظهم بالأرض التي كانوا يحتلونها في (آرنيم) بوحدات مختلطة واهنة للغاية ، ولكنها استطاعت التغلب على الفرقة البريطانية الأولى المحمولة جواً بعد قتال ماكر عنيف جداً ...

على كل حال ، فقد كانت هذه الفرقة في رأي الالمان فرقة بأسلة صعبة المراس ، وكانت الخسائر في الطرفين جسيمة . إن نسبة القتلى من الالمان في المعارك التي دارت في ١٧ ايلول - ٢٦ ايلول كنسبة قتيل الى ثلاثة جرحى من بين مجموعة الخسائر التي بلغت ثلاثة آلاف رجل ، وهذا يثبت طبيعة ضراوة هذا القتال .

كان هذا القتال - في رأي رونشتد - من ناحية سوقية غير ذي جدوى ، وكانت خدمة الاستخبارات الالمانية لا تزال تحصى حوالي سبع او ثماني فرق محمولة جواً ؛ وفي نهاية ايلول (١٩٤٤) فرضت وجود فرقتين امريكيتين في إنكلترا جامزتين للعمل ايضاً ، وكانت من رأي رونشتد استناداً الى ظروف الجيش الالماني في الغرب عام (١٩٤٤) أن إنزالاً سوقياً من الجو على الراين بجميع التشكيلات المتيسرة قد يكون له تأثير حاسم إذا ما صاحب الانزال في آن واحد هجوم بري ، ولكن من الصعب جداً أن تعرف المقصد الحقيقي للعدو كما تنص عليه تجارب الحرب منذ القديم ، وعادة يعتبر العدو أقوى مما هو ، ومع ذلك فقد أثبت قتال ايلول هذا أن حتى القطعات الالمانية ذات الكفاءة العسكرية القليلة لا تزال قادرة على القيام بأعمال خطيرة ضد وحدات العدو المنتخبة وتشكيلاته الممتازة المحمولة جواً ، وكانت روح القتال الالمانية غير منهارة على الرغم من تفوق الحلفاء جواً وبراً تفوقاً كاسحاً !

كانت القيادة الالمانية العليا لا تزال تتوقع حركة تعرض ثانوية في الغرب ، كما اعتقدت بإمكان استرداد الاراضي المفقودة بالهجوم المقابل ، فحشدوا في ايلول الجيش المدرع الخامس بقيادة اللواء الشاب ذي العزم (مانتوفل) في غرب (ساربيرك) ، ولكن هذا لم يكن جاهزاً للعمل ابداً ، إذ كان كثير من وحداته لا تزال تحاول إعادة تنظيمها بعد ما اصابها من نكسات في القتال . كان قد تقرر جلب الفرقة المدرعة الحادية عشرة المدربة وهي التي اصبحت بومن من قبيل للانضمام للجيش المدرع الخامس ، وكانت فكرة هتلر ومسلشاريه التعرض بهذا الجيش بعيداً الى الغرب على (نانسي) للوصول الى خط (الموزل) ، لخطر القطعات الامريكية ... على كل حال لم يكن رونشتد متفائلاً . وقد اراد أن يستخدم الجيش المدرع الخامس ضد هدف محدود لغرض رتق الجبهة الممزقة بين الجيشين الاول والتاسع عشر فقط ، وكان يرى أن واجب هذا الجيش هو أن يحول دون اختراق سوقي لاحت بواذره باتجاه مقاطعة النار ،

ولربما نحو (ستراسبورغ) شرقاً ، وحالماً يتم إنجاز هذا الواجب بنجاح فإن
هذا الجيش حسب رأي رونشتد ينبغي أن يرسل حينئذ الى جحفل الجيش
حول (إخن) .

تلقى (مانتوفل) يوم ١٧ ايلول أوامر مفصلة ، وقد حصل الآن قتال
متأرجح لا قرار له استمر حتى أواسط تشرين الاول (اكتوبر) يمكن تقسيمه
الى ثلاث صفحات : الاولى الهجوم جنوب قناة (ريمس - مارن) لاجل إعادة
الاتصال بين الجيشين الاول والتاسع عشر في جوار (لونا فيل) وكانت الثغرة
الكبرى بين هذين الجيشين بين (السين) العليا و (بكرات) ، ولكن على الرغم من
قيادة (مانتوفل) التي تقسم بالعزم ، فان قواته لم تكن كافية لسد هذه الثغرة
الهائلة بهذا البعد الى الغرب .

نتج عن ذلك الصفحة الثانية التي كانت تستهدف استرداد الموقف في الشرق
من ذلك ، وقد أفضى هذا الى نشوب القتال في مركز الثغرة أي في غامات
(باروي) في الشمال الشرقي من (لونا فيل) .

لقد نجح الجيش المدرع الأول على الأقل في منع الأمريكان من الاختراق الذي
كان يخشى منه .

وكانت الصفحة الثالثة هي انشاء جبهة مباشرة بين الجيشين الأول والتاسع
عشر بين (مارسال) و (بكرات) ، وقد تعذر عليه النجاح أكثر من ذلك ،
غير ان نجاح (مانتوفل) يعود الى وجود جبهة متصلة اخرى في جنوب الجبهة
الغربية .

بدأ الجيش الاول حوالي اواسط تشرين الاول (اكتوبر) يقطع اشتباكاته
بالعدو ، وقد ارسل الى جحفل الجيش (ب) (مودل) في جوار (إخن)
حيث نشبت معركة (إخن) الثانية عنيفة عنفاً بالغاً ، وبدأت الآن فترة في

الغرب اظهرت بوضوح مقدار توتر اعصاب القيادة الالمانية العليا ، وقد اخرج هتلر دون استشارة رونشتد قادة ذوي قيمة مجربة من قيادة جحافل جيوش وقيادة جيوش مستبدلاً إياهم بآخرين ، رجا ان يكونوا اقدر على معالجة الموقف اليائس . وفي خلال هذه الاسبوع من نهاية ايلول اخرج القائد العام لجحفل الجيش (ج) الفريق (بلاسكوييتس) مرة ثانية واستبدل باللواء الشاب (بالك) من صنف الدروع والذي كان في الجبهة الشرقية .

لقد اعتقد هتلر ان قادة الشرق يتمكنون من تحويل الكفاح في الغرب الى نهاية ناجحة ، وكان لا يزال غير قادر على ان يدرك بأن التفوق الساحق في المتابع والمواد في الجبهة الغربية ووجود السيادة الجوية المطلقة للحلفاء هناك ، هي العوامل الحاسمة التي لا يمكن ان يبدلها اعظم قادة الجبهة الشرقية قابلية وبسالة .

لقد كان الفريق (بلاسكوييتس) قائداً قديراً حاز اعجاب كل من عرفه ، وقد اسف رونشتد بصورة خاصة لاجراجه . اما القائد الجديد اللواء (بالك) فقد كان معروفاً في الشرق بلا شك قائداً مليئاً حيوية ونشاطاً ، ولكنه كان غريباً عن الغرب ...

كان رونشتد قد اعطى منطقة (اخن) أهمية خاصة عند استلامه القيادة الغربية في ايلول (١٩٤٤) ، اذ تصور ان الحلفاء ربما نفذوا الى شمالي المانيا خلال منطقة (اخن - رود) ، ومع ان هذا التصور لم يتحقق عملياً تماماً ، فان منطقة (اخن) على الرغم من ذلك ازدادت أهمية بصورة تدريجية باعتبارها المنطقة الحيوية في الجبهة الغربية .

ومن الممكن تقسيم معركة (اخن) الكبرى الى عدة صفحات ، ولكن أبرز ما فيها هو ان القطعات الالمانية أضحت قادرة مرة اخرى على اثبات وجودها . لقد ومن الجيش الالماني في الغرب وهنا عظيماً بعد القتال الضاري

الذي لم يتوقف مسن ٦ حزيران لغاية اواسط ايلول ، ومن جراء الانسحابات المتوالية شرقاً ، بينما كان الحلفاء قادرين على تعويض خسائرهم بالرجال والمواد ايضاً ، ومن الممكن ان تتصور بجلاء في غمرة هذا الموقف اليائس الذي كان يلمسه كل جندي ألماني ، ان الجبهة الألمانية كان ينبغي لها ان تنهار كما حدث عام (١٩١٨) . لقد أفضى هذا الضعف بالرجال والمواد الى تأثير مدمر في المعنويات ، وكانت جيوش (آيزنهاور) و (مونتكميري) قد لبست لبوس غرور المنتصرين في زحفها شطر الحدود الألمانية ، فقد كانوا يشعرون بتفوقهم ويعلمون بأن النصر النهائي على مرأى ابصارهم ، بينما فقدت القطعات الألمانية وقادتها من الجبهة الثانية الأمل كله في النصر ... فما هي الروح التي ستسود الجبهة اذا ما اقتحم العدو الحدود الألمانية وطفق يصول على ارض الوطن ؟

انه من المدهش حقاً ان تجمع هذه القوات الألمانية شتاتها ثانية في مثل هذا الموقف الحرج اليائس ، وان تدأب على القتال بعزم لا يقل علواً عن عزمها في (نورماندي) .

وربما يخامر الازهان ان الأساليب الدكتاتورية قاسية الى درجة لا تسمح معها لأي جندي ان يتزحزح عن القتال ، ولكن ذلك ليس الا من الاسباب المرضية ... لأن تلك الأساليب الدكتاتورية كانت منصبة على القادة الأقدمين لا على القطعات .

لم تكن القيادة عام (١٩٤٤) أشد عنفاً بأي حال من الاحوال ، مما كانت عليه عام (١٩١٨) .

ينبغي لنا ان نذكر وجهة نظر رونشتد هنا حول شرف الجندي الألماني في هذه الفترة ، فقد كان يرى ان الجندي الألماني خلال سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) اقوى معنوية وأرسخ ايماناً بالقضاء والقدر منه في عام (١٩١٨) . فلو ان هذه الملايين أرادت الانتفاض لما منعها مما تريده اي نظام من انظمة الشرطة مهما يبلغ

من تجسس وعنف ، اذ كان في استطاعتهم ان يهيئوا على وجوههم لا يلوون على شيء ، ولكن هؤلاء الرجال البواسل ترفعوا عن ذلك أنفة وعزة ، بل استمروا في قتالهم غير ملولين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ولم يحدث في اي منطقة اي عمل من اعمال سوء الضبط ضد الضباط كما حدث في سنة (١٩١٨) خلال استحضارات الانسحاب .

لقد برزت الطاعة الراسخة خلال معركة (إخن) وخلال التمرض على اردنس .

لقد بدأت معارك (إخن) العنيفة بهذه الروح التي انبعثت مجدداً ، وقد تميزت هذه المعارك بصورة رئيسية بقتال المدفعية الهائل كشأنها في الحرب العالمية الاولى ، اذ صبت نيران شديدة مركزة منسقة من الجانب الالماني على الحلفاء ، وهي لا تختلف ابداً عن تلك التي جرت في (فردون) وعلى (السوم) في سنة (١٩١٦) . لقد اسندت هذه المدفعية عام (١٩٤٤) استخدام الدروع الالمانية في (إخن) اسناداً جوهرياً ، ومنعت المشاة ايضاً اسناداً مكثها من صدّ قوات الحلفاء الساحقة .

لقد اخترق الحلفاء الجدار الغربي بسهولة ، شأنه في ذلك شأن جميع الخطوط والجدر ، اذ اخترقوه من عدة نقاط خلال بضعة ايام ، كما نجح الالمان في اختراق أمثاله من الخطوط الحصينة في الشطر الاول من الحرب .

كان غرض العدو وهو الجيش الامريكي الاول القيام باختراق الخطوط الالمانية من (إخن) نحو منطقة (الرور) ، وكان رونشتد يرى ان الاتجاه العام لهذه المعركة يمثل عملاً موحداً يتفق والمهدف الرئيس . لقد أدرك العدو الأهمية السوقية لـ (إخن) ، وكان واجب رونشتد ان يحول دون تحقيق أماني الحلفاء .

ان (إخن) التي نذكرها في هذا البحث ، ليست المدينة المشار اليها فحسب

بهذا الاسم ، اذ ليست هذه المدينة غير جزء تعبوي من الحركة العامة ... ان الامر يتعلق اكثر من هذا بكثير بالمطقة المحيطة بـ (إخن - كيلن كيرجن) وهي التي تمتد تقريباً بين (كيلن كيرجن) و (اوبن) .

لقد بدأ القتال فعلاً في بداية ايلول (سبتمبر) ، وفترة لأول مرة في كانون الاول (ديسمبر) هـام (١٩٤٤) . ولقد جرى القتال بشكل معركة كبرى على طراز معارك (شامبين) حول (فردون) على (السوم) وفي (الفلاندرس) خلال الحرب العالمية الاولى ... لقد مرت أسابيع بلغت شدة القتال فيها الذروة ، ومن ثم عاد القتال اعتيادياً ... كما مرت ايام هادئة نسبياً واخرى ذات فعالية شديدة .

ولقد قسمت هذه الحوادث في الجانب الالمانى الى المعارك : الاولى والثانية والثالثة حول (إخن) .

اما في جانب الحلفاء ، فقد أطلق عليها (الاندفاع الى خط سيكفريد) و (تعرض إخن) و (الاندفاع نحو نهر الرور) .

المعركة الاولى في حوالي (٤ ايلول - ٢٣ ايلول) ، والثانية من (٢ تشرين الاول - ٢٢ تشرين الاول) ، والثالثة من (٢ كانون الاول - حوالي منتصف كانون الاول) ؛ وكانت الصفحة الاولى هي القتال الذي جرى حول الجدار الغربي ، ونتج عن الثانية سقوط مدينة (إخن) بيد الحلفاء ، وكانت نتيجة الثالثة استيلاء الحلفاء على قاطع (الرور) . في الصفحة الاولى نجح الجيش الامريكى في الوصول الى (الجدار الغربى) بين غربى (إخن) وغربى (كيلن كيرجن) ونجح في اختراق نقاط معزولة لا سيما في جنوب شرقي (إخن) ، اذ شن هجوماً عميقاً ، فأصبحت المدينة مهددة من الجنوب .

وفي الصفحة الثانية سقطت (إخن) نفسها ، وأضحى الأمريكيون قادرين

على اكتساب الخط الذي يمتد تقريباً من الحافة الغربية لغاية (هويرت كن - ستلوك بيرك - كيلن كيرجن) .

وأخيراً وفي الصفحة الثالثة وصلت قوات الحلفاء الى (الرور) بين (ديورن) و (لينج) ...

وفي شمال الجيش الأمريكي الاول اخذ نهر (النينت) يقترب تدريجياً من ساحة القتال ، وأخيراً شكل هذا الراقد بين (كيلن كيرجن) ومصبه في (الرور) الحدود الرئيسية بين الأمريكان وبين البريطانيين .

كانت قيمة المدينة نفسها بالنسبة الى هتار قيمة كرامة واعتبار ، ونتيجة لذلك كان شديد الرغبة في الحفاظ عليها بعيدة عن ايدي العدو ...

حقاً لقد كان هذا الهدف عقدة مواصلات مهمة ، ولكنها لم تكن حيوية من الناحية السوقية حيوية المنطقة المحيطة بـ (اخن) ، ولعل الحلفاء كانوا يهاجمون هذه المنطقة حتى ولو لم تكن فيها مدينة (اخن) ... لقد كانت هذه المنطقة هي التي اشارت الى الطريق صوب منطقة (الرور) ، ولذلك كان على الحلفاء ان يقاتلوا فيها ... ان الارض حتى (الرور) جبلية بصورة عامة ، ولكنها بعد ذلك تنحدر انحداراً يتزايد كلما اقترب من النهر حتى تتخذ طبيعة ريف متموج توجاً خفيفاً ، وفي شرقي (الرور) ينفتح ميدان مثالي لاستخدام الدبابات يمتد حتى (الراين) ، وبعد عبور (الرور) لا بد من هجوم مدرع كبير لتيسير ساحة مناسبة لذلك . لقد سبق ان لاحظت البوادر الاولى لتعرض (الأردن) في خلال هذا القتال التراجعي المديد . لقد كانت اتجاه الهجوم الأمريكي من (اخن) نحو الشرق والشمال الشرقي ، ومعنى ذلك بروز خط مندفع الى الامام نحو الشرق . وفي نهاية الصفحة الثالثة كانت الجبهة عموماً تمتد من (مونس جاو) نحو الشمال الشرقي حتى خزانات (الرور) ، وبعد ذلك تمتد على

طوار النهر مخترقة (ديورين - جيلج - لينج) ومن ثم تتراجع ثانية نحو الغرب عند (كيلن كيرجن) .

ان نظرة للخريطة ترينا ان ثقل هذا الانتفاخ البارز بهذا المقدار نحو الشرق لا بد انه أوحى الى هتلر فكرة القبض على هذا النتوء بكامله من الجنوب للعمل على بتره ، ومن بعد ذلك يقوم بالعمل من الشمال ايضاً ، ويتم كل هذا بتعرض من كلا الجانبين .

لقد جازفت القيادة الامريكية العليا في تركها ثلاث فرق بين منطقة (اخن) المهاجمة نحو الجنوب حتى حدود الجيش الأمريكي الثالث المجاور ، أي في جبهة (ايفل) الجبلية التي كان طولها مائة ميل تقريباً ، ولا بد ان هذه الحقيقة قد شجعت هتلر ان يأمر بالقيام بتعرض على جبهة (ايفل) الرقيقة هذه ...

تحتاج محاولة هتلر الأخيرة للأخذ بناصية المبادأة الى بعض التمهيد . لقد وسمت الدعاية هذه الحركة بسمة (تعرض رونشتد) وهذا مثل آخر عن مدى تقبل الرأي العام دون تمحيص ولا انتقاد لما تدعيه الدعاية . لقد كان رونشتد الرجل الذي اراد في بداية ايلول (١٩٤٤) بعد عودته الى القيادة مباشرة ان يدير الحرب بشكل دفاعي ، وكان هو الذي عرض حينذاك اقتراح انسحاب الجيش الالماني بكامله من الغرب دون قتال طويل منك انسحاباً اميناً الى خط (الجدار الغربي - الفوج) وان يبني هناك جبهة مستقيمة ثانية ، وكان لرونشتد مقصد آخر يتعلق يجمع كافة القوات المدرعة المتيسرة في الغرب بشكل احتياط سوقي كبير وراء الجبهة ، وأراد من بعد ذلك ان يترك الحلفاء يبدأون بالجولة دون ان يشغل نفسه بتعرض لا جدوى منه .

ولما كان تعرض (الادين) هذا قد لعب دوراً خاصاً في كل من المانيا وخارجها، فانه من الضروري قبل كل شيء ان نصف ما كان يدور في خلد هتلر . كان العزم على التعرض في الغرب بأي ثمن قد خامر هتلر في آب (١٩٤٤)، أي خلال

القتال في (نورماندي) ، وكان اختيار (الأردن) منطقة للهجوم قد تقرر بعد اتمام نظر طويل في مقر هتلر منذ بداية تشرين الاول .

لم يحط رونشتد علماً ولا (مودل) بهذا القرار في بداية امره ، وحتى في الاخير بقي المشيران جاهلين عن عمد بتدابير معينة ستتخذ... وذلك للاحتفاظ بالسرية !!

لقد شرح الفريق (جودل) خمس حركات :

١ - تعرض يبدأ من منطقة (فلنو) على (الموز) نحو الغرب باتجاه (انتويرب) .

٢ - هجوم يبدأ من شمال (لوكسمبورغ) نحو الشمال الغربي ، ثم ينعطف بعد ذلك شمالاً ، بينما يبدأ هجوم تطويقي ثانوي من منطقة شمال غربي (إخن) .

٣ - هجومان يبدأان من وسط (لوكسمبورغ) و (متز) ويلتقيان في (لونك وي) .

٤ - اندفاعان يخرجان من (متز) و (بكرات) على (نانسي) .

٥ - هجومان يبدأان من (ابيسال) ومنطقة (موين بل كار) على (فيسول) .

كان هتلر قد ناقش هذه المقترحات الخمسة مع مستشاريه المقربين ، فرفض الخطط الثالثة والرابعة والخامسة ، لأنها لا تؤدي الى نتيجة سوقية . انشأ نسلم بأن هتلر كثيراً ما علم فطرة افضل اتجاه للهجوم على العدو ، وبلا شك اظهر حاسة سوقية في حالات كثيرة ، ولكن ما يعوزه في هذا الوقت هو المعرفة بالتوقيتات والجهة والقوات . لقد ادّت مدارلات هتلر مع اعوانه الاقربين في بداية تشرين الاول الى اقرار اعداد الخطة الثانية بتفصيل اوسع (اي

حركة تعرض الاردن) وبعد ذلك احيط كل من رونشتد ومودل علماً بما يتعلق بالخطط الرئيسية فقط . لقد استولى الحلفاء على عدد كبير من وثائق خطة الحركات هذه ، وعندما سيكتب تاريخ الحرب كاملاً ، فستثبت هذه الوثائق ان هذه الحركات كانت من بنات افكار هتلر نفسه ، وهو الذي جعل هيئة ركنه يخرجونها الى حيز الوجود مفصلة غاية التفصيل ، وقد سلمت هذه الاوامر المستحضرة من بعد انجازها الى رونشتد ، فجعلت اسمه علماً عليها ، ولكن لم يكن له في الحقيقة من هذه الخطة غير تنفيذها .

ان الاسباب التي جعلت هتلر يقرر الهجوم في الغرب هي ما يلي :

١ - لقد امل ان يباغت الحلفاء في وقت كان المفروض ان تكون قواتهم فيه متعبة مرهقة ضعيفة .

٢ - ان يرفع معنويات الشعب الالماني الذي يزداد قلقه كلما اقترب العدو الى المانيا من الشرق والغرب .

٣ - للحصول على الوقت اللازم لابتكار مواد واسلحة حربية جديدة !

٤ - لقد اراد ان يجعل الاقتراب من منطقة (الرو) اكثر صعوبة للعدو ، قبل ان يحاول قذفهم الى الخلف باتجاه الغرب ثانية .

٥ - لقد رأى ان الانهيار يطل على المانيا من الشرق والغرب ، وبما ان تفوق الروس في الشرق كان ساحقاً في كل نقطة من نقاط الجبهة الشرقية الواسعة ، بينما كانت المنطقة الغربية من الجهة الاخرى صغيرة وقوات الحلفاء فيها لم تكن كاسحة كما هو الحال في القوات الروسية ، ولهذا امل هتلر ان يربك الحلفاء بتعرض يباغتهم فيه مباغتة كاملة ، وهذا يفسر لماذا تم اتخاذ خطة : (تعرض الاردن) .

سمع رونشتد في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) لأول مرة

بعزم هتلر على القيام بتعرض كبير في الغرب ، كما ان القائد العام لجحفل الجيش (ب) مودل احيط علماً بذلك في الوقت نفسه ، وليس من شك في ان هذا الكتمان كان سببه ما كانت تخشاه الدوائر العليا من اعتراض القادة الأقدمين في الغرب على تنفيذه ، وكان اول امر من الاوامر التي وصلت الى القيادة الغربية في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) يستهدف قطع اي اعتراض بما يلي :

الغاية : - ان التنظيم والهدف لهذا الهجوم امران لا بد منها .

كانت خطة هتلر هذه من وجهة النظر العسكرية خطة بالغة المجازفة ، فلو نجح هذا الهجوم لأصبح هتلر (المنقذ) ، ولو نُفِذَ هذا الهجوم تنفيذاً خاطئاً لاكتوى رونشتد بشواظ من اللوم . لقد بوغت رونشتد ومودل ايضاً مباغطة غير سارة عندما استلما (هذا الامر الذي لا بد من تنفيذه) ومعه وصايا مفصلة لوضعه موضع التنفيذ .

لقد كان معروفاً أن كليهما أرادا استعمال القوات التي كانت لا تزال متيسرة لغايات الدفاع السوقي فقط - الدفاع غير المستكن دائماً بل الدفاع السيار - المقرون بالهجمات الموضعية .

أصبح رونشتد الآن يواجه واجبين : - الاول يتطلب منه أن يحتفظ بالجبهة الغربية التي تشاغل بشده بكل ثمن ، والثاني وفقاً لأمر هتلر ان يتخذ جميع التدابير للقيام بتعرض كبير .

لقد دعا هتلر يوم ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) عام (١٩٤٤) كلا من رونشتد ومودل لمؤتمر في مقره ، وقد تبدل هذا الأمر من بعد ذلك واستبدل - ضورهما بحضور رئيسي ركنيهما لمواجهة هتلر . عاد هذان الضابطان الى قائديهما يوم ٢٦ تشرين الأول فأخبراهما بالمعلومات المذهلة المتعلقة بتعرض هتلر الذي سبق اعداده . لقد كان على رئيسي الركن وهما (ويستفال) في (القيادة الغربية)

و (كريبس) في (جحفل الجيش ب) أن يوقعا في المقر الكائن في بروسيا الشرقية تعهداً صارماً للاحتفاظ بالكتمان ، وبعد ذلك تلقيا المعلومات عن التعرض .. وقد انبرى هتلر لايضاح أفكاره خاتماً حديثه بالملاحظة التالية : - « إن الموقف في الغرب لا يمكن السيطرة عليه إلا بالهجوم فقط لا بالدفاع » ومن ثم استلم كل من الضابطان قوائم ضافية عن جميع التقويات المتيسرة للتعرض ، وكان قد رتب أن يكون الهدف هو : (انتويرب) ، وكان هتلر قد اختار جبهة (ايفل) ، لأن الامريكان كانوا ضعفاء هناك . كما أنه اراد أن يعزل الامريكان عن البريطانيين في الأدوار التالية من الهجوم .

لقد تجنب هتلر بهذه الوسيلة اي شكل من أشكال الاعتراض المحتمل أن يثيره كل من رونشتد ومودل ، ولم يسأل المشيرين عن مقترحاتها سلفاً خلافاً للعادة المتبعة ... وقد تحدث هتلر عن الثلاثة آلاف طائرة من طائرات (الجيكر) التي ستيسر للتعرض .

ولأنه لم يكن متأكداً من الأرقام الصحيحة ، فقد ذكر ألفاً وخمسمائة طائرة (جيكر) منها ... وكان حوالي ثمانمائة منها جاهزة للخدمة من ضمنها مائة من أحدث طائرات الجيكر النافورية .

خزن الوقود وهو حوالي ثلاثة ملايين غالون للمطاليب الاولى ، وفي شمال الجبهة الغربية أقيم مقر لجحفل جيش ثالث لكي يستلم القيادة من جحفل الجيش (ب) في المركز ، لأن مودل وفقاً للأوامر كان عليه أن يضطلع بتنفيذ التعرض الفعلي . وعندما انتهى اللواء الألمعي ويستفال رئيس هيئة ركن رونشتد من إلقاء تقريره ، أفصح المشير عن رأيه بما يلي : « إني سعيد لأننا أخيراً سنتلقى قوات أكثر من الشرق ، وقبل ان يبدأ التعرض المرسوم سيطفئ (الراين) ، ومن نظرة عاجلة أستطيع أن اقول : ان الهدف البعيد وهو (انتويرب) لا يمكن الوصول اليه بالقوات المتيسرة ، لأنه حينذاك سيكون جناحاً الهجوم

الطويلان مكشوفين من كلا جانبي ثغرة الهجوم، ولا توجد سوى فرق قليلة جداً متيسرة لسد الجناحين ، وحتى لو اندفع موديل قدماً حتى (الموز) فقط ، فإن النتيجة ستكون انشاء خط جبهة نائنة متوغلة نحو الغرب، وسيطلب الاحتفاظ بها قوات كبيرة ، كما أن هذا النتوء سيفري العدو بالهجمات الجانبية ، وإني أرى أن نتحرى هدفاً آخر أقل طموحاً يمكن به تحطيم قوات معادية كبيرة من غير مجازفة كبيرة ... إن خطط التعرض بكاملها توحى إليّ بأنها قاصرة عن تحقيق متطلبات الواقع ، ...

كانت الأسابيع من نهاية تشرين الاول حتى بداية التعرض حافلة بالاستعدادات وبالمذكرات والتغيرات المقترحة ... السخ والتي لا يمكن الخوض في تفاصيلها كاملة هنا .

وصل من مقر هتلر في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٤٤) مسودة الخطوط الأساسية للحركات التي أعدها هيئة ركن القوات المحلحة الألمانية العليا ، ولقد أرسل رونشتد هذا الأمر الأساس الى مودل المسؤول عن إدارة الهجوم الشامل . انه مما يستحق الاهتمام أن مودل ساوقت افكاره افكار رونشتد تماماً ، وانه مثله فكر بأن الحركة كلها مسرفة في طموحها .

وبما أن الموقف العام في الشرق وفي الغرب أخذ يتردى باضطراب ، فقد أراد هتلر أن يبدأ هجومه في أقرب وقت ممكن قبل أن تصبح الجبهات الدفاعية أشلاء ممزقة ، فقرر أن يبدأ الهجوم يوم ٢٥ تشرين الثاني (١٩٤٤) ، وقد اجل هذا الموعد باستمرار ، وأخيراً ثبت يوم ١٦ كانون الثاني .

لقد بذل كل من رونشتد ومودل أقصى ما لديهم من جهد خلال تلك الأسابيع من تشرين الثاني ليحملا هتلر على أن يضيق من سعة هدفه ، ثم بدأت لعبة جر الحبل بين مؤيدي التعرض الكبير وبين مؤيدي التعرض الصغير ، وكان

الهجوم الصغير حسب اقتراح رونشتد يتضمن التقدم حتى (الموز) ومن ثم الاستدارة نحو الشمال الغربي وعزل الجبهة الامريكية على (الرور) .

ولكن هتلر رفض هذا التعرض الصغير ، واصفاً اياه : بأنه من انصاف الحلول... بل رفض حتى تنسيق الحركة الثانوية من (الرور - رويرمونت).. لأنه خشي ان يتجه المشير ان دوما نحو فكرتها الصغيرة فيما اذا أقرا على تنسيق تلك الحركة ... وعندما تمحص الوثائق الخاصة بهذه الفترة تمحيصاً دقيقاً وينكشف الصراع المرير بين هتلر وبين رونشتد انكشافاً تاماً ، فان المرء يعتقد حينذاك بأن هتلر ربما كان يفكر على ضوء الزحف العظيم الذي جرى في الحرب العالمية الاولى سنة (١٩١٨) ، فلو ان هذه الذكرى داعبت مخيلة هتلر (ولا يعلم الغيب احد) فان الفروق واضحة وضوحاً ملموساً !

كانت المانيا في سنة (١٩١٨) تتمكن من حشد كافة قواتها في الغرب ، لأن روسيا كانت قد عقدت معها صلحاً ، كما كانت تتيسر حينذاك قوات ومدفعية ومواد اكثر بكثير مما تتيسر اليوم ، بالإضافة الى وجود احتياطات وفيرة لا تعد ولا تحصى، وكان الاتجاه السياسي نحو المانيا في عام (١٩١٨) اتجاهاً غير متطرف في عداوته كما هو الحال في عام (١٩٤٤) ، وكانت قوة امريكا الهائلة في بداية تأثيرها، وكانت الجبهة الغربية الالمانية في سنة (١٩١٨) قصيرة والقطعات فيها كافية تحتل قواطع ضيقة في مواضع رصينة عمقاً ، ولم تكن حينذاك قوة جوية مدمرة ، واخيراً كان في ذلك الوقت رجال مثل هندنبرغ ولودندروف اللذين كانا اكثر إدراكاً لادارة الحرب من هتلر .

وفي سنة (١٩١٨) كان الهدف (اميانس) لغرض عزل الفرنسيين عن البريطانيين ، وكانت المسافة بين نقطة شروع التعرض و (اميانس) لا تزيد على خمسين ميلاً بصورة مستقيمة ، وكان كلا الجناحين اقصر مما عليه الآن ، اما المسافة في عام (١٩٤٤) الى (انتويرب) فهي خمسة وتسعون ميلاً .

وفي (١٩١٨) بدأ التعرض في أواسط آذار على ارض مناسبة ، اما في سنة (١٩٤٤) فكان على التعرض - خلافاً لذلك - ان يمر بأرض جبلية وعرة من (ايفل) و (الاردن) في شهر كانون الثاني مخترقة طرقاً يكتنفها الثلج ويغمرها الجليد ، وكانت جبهة الفرقة الالمانية في (١٩١٨) تتراوح ما بين الميل والثلاث وبين الميدين طولاً !!

وفي عام (١٩١٨) كانت القطعات لا تزال سليمة محتفظة بمواضعها منذ أمد بعيد والى النهاية ، وحتى ذلك الحين لم تكن قد قامت سوى بعض الانتكاسات القليلة ، وكانت تدريبها على التعرض متقناً قد استغرق شهوراً عديدة ... على الرغم من كل شيء فان هذا التعرض أخفق امام (اميانس) مباشرة ، ولم تعد القطعات كافية للوصول اليها ، لذلك حينما نقارن بين عامي (١٩١٨) و (١٩٤٤) ، يتضح ان الاحوال في الحرب العالمية الاولى كانت مواتية اكثر مما هي عليه في عام (١٩٤٤) !!

التقى هتلر برونشند قبيل البدء بالتعرض ، فقال هتلر لرونشتد الذي كان قد بين اعتراضاته : « أعتقد أني أقدر على الحكم منك على هذا ، ايها المشير ! ولقد أثبت هنا لمساعدتك » ، فاستدار رونشتد على عقبيه مدبراً ..

لقد نفذ التعرض جيشان مدرعان وجيش من المشاة بصورة رئيسية ، وكان في الميمنة (نحو الشمال) جيش الصاعقة المدرع السادس بقيادة (سيب ديتريخ) ويتألف من اربع فرق مدرعة وفرقة مشاة واحدة ، وكان عليه ان يندفع الى الامام فيخرج من منطقة (مونس جاو) جنوبي (إخن) تاركاً (لوتيج) الى (انتويرب) . والى يساره (من الجنوب) كانت جيش (مانتوفل) المدرع الخامس ، ويتألف من اربع فرق مدرعة وثلاث فرق من المشاة وكان عليه ان يتقدم الى الامام مخترقاً (نامور - بروكسل) نحو (انتويرب) ، وكان على الجيش السابع المؤلف من ست فرق مشاة وفرقة مدرعة ان يكون مسؤولاً عن حماية الجناح حسب الظروف الراهنة ويستدير جنوباً . انه من

اليسير ادراك قلة هذه القطعات للظفر بهدف بعيد كهذا في شهر كانون الثاني بينها وبين هدفها منطقة من التلؤلؤ الوعرة .

كان ينبغي ان يقوم فيلق الصاعقة السابع بواجبه الثانوي من الشمال مبتدئاً من المنطقة الكائنة جنوب (رويرمونت) ، وذلك وفقاً لخطة رونسند في التعرض الصغير ، ولكن ذلك سبق رفضه من هتلر . كان هذا الفيلق مؤلفاً من فرق تنتسب الى الجيش النظامي ، وهي فرق المشاة : التاسعة والخمسون ، والمائة والسادسة والسبعون ، والمائة والثالثة والثلاثون ، ومن الفرقة المدرعة التاسعة والفرقة المدرعة (كراندير) الخامسة عشرة . كان هذا الفيلق قد أجرى كافة الاستحضارات للهجوم على (ماسترنيج) ولكن هذا الهجوم لم ينفذ مطلقاً ، لأن هتلر رفض تطبيق هذا الواجب الثانوي ، كما انه سحب من هذا الفيلق كلتا الفرقتين المدرعتين وأضافهما الى قطعات تعرض (الاردن) .

وعندما بدأت المعركة يوم ١٦ كانون الثاني على طول جبهة (ايفل) بكاملها ، كانت من غير شك مباغتة تامة للعدو ، اذ لم يكن بالحسبان ان يقوم الجيش الألماني المنهار بمجازفة هجومية ! ولقد بوغت قطعائنا ايضاً ، لأنه اقتضى التمسك بالكتمان فيما يتعلق بالهجوم والنيات حتى اللحظة الأخيرة... وكما هو اعتيادي بهذا النوع من الهجوم جاء النجاح في الساعات والأيام الاولى الى جانب المهاجم ، ولكن أخذ التقدم من بعد ذلك يتباطأ تدريجياً . وأخيراً بقيت الوحدات ثابتة في مواضعها التي وصلت اليها ، ومات هذا التعرض لعدم تيسر القطعات ...

كانت استجابة الامريكان لهذا الهجوم سريعة ، اذ عندما أفاقوا من المباغتة الاولى ، اتخذوا تدابير مقابلة فورية فعالة ، فمن الجنوب بصورة خاصة زجوا هجمات مقابلة ضد جناح الحماية الضعيف للجيش السابع ، بينما اندفعت التشكيلات البريطانية من الشمال لمساعدتهم .

لقد تحققت تذبذبات رونشتد بسرعة فائقة ، فالألمان أصبحوا الآن مهاجمين من قوات الحلفاء من ثلاث جهات ، وكانت فرقة الصاعقة المدرعة السادسة قد تقدمت - على كل حال - قليلاً فقط في اليمين ، أما جيش (مانتوفل) المدرع الخامس في اليسار الذي كانت قيادته جيدة ، فقد نجح في التقدم ، ولكن لم يكن بوسعهم ان يكسب الجولة بمفرده ، وسرعان ما تطور الهجوم الهتلري الى دفاع هتلري ، ووجدت القطعات الألمانية نفسها في مواضع قلقة ؛ اما قطع التعرض وانسحاب القطعات انسحاباً آخر الى خط مستقيم لاعادة التنظيم كما سبق ان اقترح ذلك رونشتد ، ولكن ذلك جاء متأخراً كثيراً ... لأن هتلر لم يرغب في مواجهة الحقيقة ، وهي أن خطته انهارت !! وكانت نتيجة هذا الاندحار أن القوات الثمينة التي لا يمكن التعويض عنها ، قاست الأمرين ... وبذلك ازدادت الدفاعات الغربية الأخيرة وهناً على وهن ، واختفى الآن آخر أمل في مقاومة الألمان للحلفاء بنجاح ، ومع ذلك استمر الجيش الألماني في الغرب على القتال مدافعاً عن (الرور) و (الراين) و (الوايز) و (الايب) دون هوادة بشجاعة ، ولكن من غير أمل ...



_____ المَصِيرُ المَحْنُومُ

لقد استنفد القتال العنيف السيار كافة اشهر شتاء سنتي (١٩٤٤ - ١٩٤٥) ، واجريت تبديلات متلاحقة في القيادة العليا بأمر من هتلر : اعفي الفريق (بالك) من مهام قيادة جحفل الجيش (ج) في الزاس واستبدل بالقائد الحزبي (هملر) من منتسبي قوات الصاعقة لأمد قصير ، ومن ثم اعيد الفريق (بلاسكوييتس) لقيادة جحفل الجيش (ج) الخ...تبدلات مستمرة مرة اخرى .

ولم يبق شيء تستطيع السياسة تحقيقه الآن...لقد بقي الاستسلام فقط . كان الحلفاء يضيّقون الحناق على المانيا بصورة متزايدة من الجنوب الشرقي ومن الجنوب ، وركزت قواتهم الجوية قصفها الهائل من جميع الجهات على المنطقة التي تضيق رقعتها يوماً بعد يوم ، وتحرك القدر من مجراه الذي لا يرحم .. وفي هذه الفترة اي في شتاء (١٩٤٤ - ١٩٤٥) وبعد اجراء تبديلات كثيرة ، نظمت الجبهة الالمانية في الغرب التي كانت بقيادة رونشتد بثلاثة جحافل جيوش: ففي اليمين والشمال جحفل الجيش (ج) بقيادة الفريق (ستودنت) اولاً، و (بلاسكوييتس) اخيراً. وفي المركز (الجبهة الرئيسية) كان جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير مودل ، وفي الجنوب جحفل الجيش (آ) الذي تبدل قاداته العامون تبديلاً مستمراً .

احتاجت الجبهة الالمانية الشرقية في اول كانون الثاني (١٩٤٥) الى

نجدات عاجلة جداً ، فمن اين يمكن ايجاد هذه النجدات ؟ من الغرب فقط ..
وكان نتيجة ذلك نقل جيش (ديتريج) السادس المدرع الى الشرق مع
قطعات قوية اضافية اخرى .

لم يكن بالمستطاع كتمان اضعاف الجبهة الالمانية الغربية عن الحلفاء ، وكان
رونشتد يتوقع يومياً منذ اواسط كانون الثاني (١٩٤٥) فصاعداً تحشد
الحلفاء على طول الجبهة كلها تمهيداً لاندفاعهم اولاً نحو (الراين) ومن ثم
عبوره الى المانيا ، كما كان يتوقع ان يظهر مبكراً الى الميدان جحفل الجيش
البريطاني الواحد والعشرون بقيادة قائده العام الفعّال المشير مونتجومري .

تسنى للبريطانيين فترة هدوء طويلة نسبياً بالمقارنة مع الامريكان الذين
قاتلوا بعنف وباطراد ، وكان رونشتد يتوقع في ذلك الوقت هجوماً بريطانياً
على كلا جانبي (فنلو) عبر (الموز) ، ولربما يبدأ هذا الهجوم قبيل هجوم
الامريكان لعزل الاحتياطات الالمانية الى الشمال .

زج البريطانيون هجومهم المتوقع يوم ٨ شباط (١٩٤٥) ، فتوغل الجيش
الكندي الاول الى (ريجس وولد) بالقرب من (كليفس) ، ونشب قتال
عنيف للغاية نتيجة لذلك بين (الموز) و (الراين) ، فكانت البريطانيون
والكنديون يقاتلون ضد جيش المظليين الالمانى الاول وكان هناك صراع مرير
على كلا الجانبين ، فاستولى العدو المتناسك على الارض ببطء شديد .

لقد استنفد العدو بضعة ايام لكي يدفع الى الخلف جيش المظليين الشجاع
الى ما وراء (الراين) بين (ويسل) و (ايمرج) ، وقد كان على الجيش
الخامس والعشرين الذي لم يكن قوياً والذي كان مشتبكاً في هولندا ان يرسل
التشكيل تلو التشكيل الى جيش المظليين الاول المجاور الذي كان بقيادة لواء
الجو (جلم) لانتشاله مما حاق به من شدة وضيق .

لم يتحقق الهجوم البريطاني الثاني في جنوب ذلك بالقرب من (فنلو)
والذي كان يخشاه رونشتد .

زار رونشتد منطقة معركة جيش المظليين بنفسه ، وهناك في الفيلق المدرع السابع والاربعين اقتنع بضراوة القتال الدائر بالقرب من (كوج) ، وبهذا القتال اصبح تهديد الجناح الجنوبي لجيش المظليين الاول بين (الموز) و (الراين) في ازدياد مستمر ، فلو شاركت الجيوش الامريكية في الجنوب من ذلك بالقتال ، فان الموقف سيصبح خطراً للغاية .

بدأ الهجوم الأمريكي الرئيس يوم ٢٣ شباط (١٩٤٥) عبر (الرور) نحو (الراين) على خط - (كولون - دوسل دورف) ، وأدى يوم ٢٥ شباط الى اختراق كامل ، وعلى ذلك فسيصل البريطانيون والامريكان في غضون بضعة أيام الى (الراين) ، ومن ثم قد تتوقف قطعاتهم لقضاء فترة استجمام ولتأمين استحضارات العبور ، ولكن لا يمكن أن يتأخر موعد هذا الهجوم أمداً طويلاً .

لم يكن على ضفة (الراين) الشرقية عملياً أي تحصينات ، كما لم تكن هناك حاميات ايضاً .

وفي شمال (الموزل) استمر قتال التعويق سجالاً كراً وقرأ بين (الرور) و (الراين) ، وقد نجم عن هذا القتال دفع الجبهة الالمانية الى الخلف ببطء عظيم ، فكان التراجع أبطأ كثيراً مما جرى في فرنسا . وفي يوم ١٠ مارت تراجعت الوحدات الامامية من جيش المظليين الاول امام البريطانيين عبر (الراين) بالقرب من (ويسل) دون خسارة في الاسلحة او المدخرات . لقد استهدف الهجوم بصورة رئيسية الجبهة الالمانية على (الرور) بين (ديورين) و (يركنس) ، ومن ثم استهدف (بون) و (كولون) و (دوسل دورف) ، فدفعوا جيش المظليين الاول باتجاه (كريفيلد) بوحداتهم القادمة من الجنوب .

كانت الجبهة الالمانية يوم ١ مارت تمتد شمال (الموزل) على الخط العام التقريبي :

(تروير - برويم - سجيلدن - ايرفت - مونجين - كلادباچ - فنلو -
كيلديرن) والى (امريج) وراء (الراين) .

إن (ريميكين) محل صغير كائن في منتصف (الراين) جنوبي (بون)
وفيهما جسر للسكة الحديدية ، ولما كان هتلر متمسكاً بفكرته عن الثبات
بكل وسيلة في طاقته ، فقد كان القلق عظيماً للمحافظة على الجسور الموجودة
على (الراين) للاستفادة منها في إعاقة العدو ، فلو دمرتها قوة الحلفاء الجوية
او استطاعت وحدات مدرعة مجازفة من البريطانيين او الامريكانيين اختراق
الجبهة الالمانية غير المتاسكة بكل سهولة ليلاً واحتلت جسور (الراين) ،
فحينذاك لن تتمكن حتى بقية الجبهة الالمانية من التراجع الى الخلف عبر
(الراين) .

كانت هناك بلا شك حماية ضعيفة على المعابر تشكل رؤوس جسور صغيرة ،
وكان لكل جسر (آمر) مسؤول ، ولكن هذا الأمر لم يكن يستطيع أن
يعمل شيئاً كثيراً حين تهاجمه الدبابات او تقصفه القوة الجوية ، ومع ذلك فإن
الصعوبة الرئيسية في حماية هذه الجسور تتركز في القرار : متى ينبغي نفس
الجسر ؟

لم يجرأ أي انسان أن يقترح على أي من آمري الجسور بأن يجري تدمير
جسره سريعاً قبل وقت مناسب من استيلاء العدو عليه ، حتى لا يستطيع
العدو الاستفادة منه ، فكيف يستطيع آمر الجسر أن يقدر الموقف العام ؟
فلو أنه هوجم بالدبابات فإن عليه بكل بساطة أن ينسفه ، فإن لم يقدم على
نفسه استولى العدو عليه .

هذا هو الذي حدث بالضبط لجسر السكة الحديدية من (ريميكين) يوم
(٦) أو (٧) مارت (١٩٤٥) ولم يزل أمر إخفاق آمر الجسر في نفس
هذا الجسر المهم عبور (الراين) غير واضح حتى اليوم ، ونتج عن ذلك احتلاله
من الوحدة المدرعة الامريكية ، فاستطاع العدو عبور (الراين) من هذه

النقطة بسرعة هائلة ؛ ولعلّ صاعق النسف لم ينفجر ، او كانت بعض القطعات الالمانية وجانب من السكان في حالة تراجع عبر هذا الجسر ... على كل حال سقط هذا الجسر سليماً بيد الامريكان ، وكان لنبا سقوطه وقع الصاعقة على هتلر ، فأمر حالاً بتشكيل محكمة عسكرية لتحكم على المجرمين في مكان الجريمة .

لقد كانت هناك إشاعات كثيرة تشير الى نشاط المجرمين ، ولكن الحقيقة الراهنة الأكيدة التي لا غبار عليها حينذاك ، هي أن هذا الجسر سقط سليماً بيد الامريكان .

وفي الجنوب حتى (الموزل) تمزقت الجبهة الالمانية كثيراً نتيجة لأمر هتلر الشهير : الثبات ثباتاً لا هوادة فيه .. وعلى سبيل المثال ، فإن الجيش السابع المدافع في (الجدار الغربي) بين شرق (بروم) و (ترير) ثبت ، في حين أن جبهة الجيش الخامس عشر في الشمال دفعت شرقاً عن (الراين) . حدثت مواقف غريبة جداً ، وبرزت على الخرائط صور عجيبة !!

لقد اخبر رونشتد هتلر نفسه بهذا الموقف غير المعقول ، ولكن هتلر ومستشاريه لم يعتبروا الموقف يائساً الى هذه الدرجة .

كانت الجبهة الالمانية يوم ١٠ مارت (١٩٤٥) تمتد على وجه التقريب على الخطوط التالية :

من مصب (الراين) الى الشرق مارة بـ (ايمرج - ويسل - دوسل دورف - كولون - بون - ريميكين - كوبلنز) اي خلف النهر على ضفته الشرقية ، ومن (كولبرنج) يبتعد فجأة الى الجنوب الشرقي على طوار (الموزل) حتى (ترير) .

وينعطف من (ترير) مرة اخرى الى الجنوب الشرقي ماراً بـ (سار لوتيرن - ساربروكن - هاكتاو) وراء (الراين) الأعلى ، ومن هناك يمتد

على طوار الضفة الشرقية ماراً ب (استراربورك) وإلى الجنوب حتى الحدود
السويسرية .

ان الخط العمام يظهر اي كفاح عنيد تقوم به القطعات الالمانية المبعثرة
لانجاز واجباتها حتى خلال الايام اليائسة من مارت (١٩٤٥) .

لقد اخفق الحلفاء في اجراء تقدم سريع الى (الراين) ، ولم يشقوا طريقهم
الى هذا النهر الا بقتال عنيف شاق .

لقد تطرقت الى ذكر الجبهة الالمانية التي كانت عليه يوم ١٠ مارت ، لأن
في هذا اليوم كتب على رونشتد ان يعود الى التقاعد النهائي .

انتشرت اشاعة يوم ٩ مارت تفيد ان رونشتد سيحال على التقاعد نهائياً
وأن مشير القوة الجوية (كيسرلنك) سيكون خلفاً له .

وكان هتلر قد نقل مقره قريباً من مقرات القيادة الغربية خلال تعرض
(الأردن) ، وبذلك حصل بينه وبين رونشتد لأول مرة اتصال وثيق ، اذ
اصبح هتلر حينذاك في موقف يتيح له ان يتأكد بأن رونشتد كان قد حكم
على الموقف بصحة ، ولا بد أنه قد سمع بدرجة الصراحة التي عبر بها رونشتد
عن آرائه الانتقادية . وقد برزت الآن نفرة جلية بين هتلر وبين رونشتد ،
وكانت هناك اختلافات جوهرية كل يوم تقريباً بين مقر القوات الالمانية المسلحة
وبين القيادة الغربية . وقد أغاضت هتلر طريقة تعبير رونشتد عن آرائه ،
الممثلة في صراحتها العالية في روحيتها .

وكان التعرض الروسي العظيم يزداد خطراً ، فكان على القيادة الغربية
أن تستغني عن قطعات تزداد شيئاً فشيئاً ولا سيما القطعات المدرعة لارسالها
الى الجبهة الشرقية ، فنتج عن ذلك مطالبة رونشتد بانسحاب كافة القوات
المتيسرة في الغرب الى خط اقصر في الخلف وأن يتخلى عن هولندا ايضاً ،
وقد التمس رونشتد في برقية معنونة الى هتلر شخصياً اطلاق يده ليعمل

بحرية في ادارة الحركات ، فلم يحظ بأي جواب في بادىء الامر ؛ وكما يمكن ان تتذكر بأن رونشتد كان قد وصله امر يقضي بأن يبقى كل شيء على حاله كما هو ، وأن كل شبر من الارض ينبغي ان يدافع عنه بعناد وضراوة .

لقد ازداد التوتر في نهاية شباط حينما عرض رونشتد به (الجدار الغربي) متهمًا في تقرير رفعه الى القيادة العليا واصفاً اياه : بأنه (مصيدة فيران) ..11

لقد أثار هذا التقرير العنيف الخاص بالجدار الغربي استياء هتلر الشديد ، واعتبر ما جاء فيه إهانة ، وأدلى هتلر برأيه قائلاً : « ان العدو سيعتجف امام هذه التحصينات ، وانسجاماً مع هذا التوتر السائد المتزايد ، ارسل رئيس هيئة ركن رونشتد اللواء (ويستفال) تقريراً عن الموقف الى هتلر في برلين يوم ٦ ميارت ، فعبر عن آرائه في هذا التقرير بمثل اللهجة التي عبر بها قائده العام في تقريره ، مما زاد في ثورة هتلر ، وقد ازداد التجاني من الناحية السياسية بينها اضافة الى الاختلافات الشخصية والعسكرية .

كان هتلر متيقناً أن رونشتد شخصية معروفة خارج الحدود الالمانية ، ولم يكن سراً أن هذا الجندي كان محترماً في دوائر واسعة في الخارج ، وكان واضحاً لهتلر منذ امد بعيد ما يمكنه لرونشتد كل من هيئة ركنه وقطعائه من حب وولاء ، ففي هذا الموقف اليائس لربما كان يخشى من ان يقبض رونشتد على زمام السلطة لكي يضع حداً للامور .

لقد اذاعت اذاعات الحلفاء في النصف الثاني من شباط (١٩٤٥) رسالة دعاية متقنة قالت فيها : « ان الحلفاء لن يرضوا بقبول الاستسلام الا من شخص واحد ، هو المشير فون رونشتد » . وبطبيعة الحال لم يصدق احد هذه الرسالة ، ولكن هتلر سمعها او عندما علم رونشتد بهذه الرسالة الاذاعية ، قال لرئيس هيئة ركنه متنبئاً : « الآن لن يطول هنا مقامي » .

ان من يعرف رونشتد الجندي يعرف تماماً انه لم يحنت بقسمه مطلقاً ،
وقد اقسم قسم الولاء لهتلر فلن يحنت بقسمه !! ومع ذلك فان الدكتاتور
بطبيعته لا يثق بأحد، لا سيما في مثل هذه الظروف اليائسة من عام (١٩٤٥) .

استدعي رونشتد الى برلين في غضون بضعة ايام من اذاعة الخبر السالف ،
ففي يوم ٨ مارت اخبره المشير (كايتل) بأن هتلر يفكر في اجراء تبديل
في القيادة الغربية ١ وفي يوم ٩ مارت جرى اتصال هاتفى آخر اعلن فيه
بأن المشير (كيسرلنك) قد يستلم القيادة في الغرب . وفي يوم ١٠ مارت
ودع رونشتد هيئة ركبه وجنوده متصرفاً ، فانتظموا خطأ لتوديعه ،
وعندما آوى الى سيارته ، شعر كل واحد : « الآن انتهى كل شيء » ...

امر هتلر رونشتد ان يقيم شطر برلين ليراه هناك .. كانت المحادثة بين
الاثنين قصيرة ، ولكنها كانت مبهمة ، اذ شكره هتلر على كل ما اسداه من
جهود ، وقلده وسام سيوف صليب الفارس مبدياً له عاطفة كريمة ، واخبره
بأنه اضطر الى القيام بتعرض (الأوردين) على الرغم من انه شخصياً كان
يائساً من النجاح ... وهكذا كشف النقاب عما كان يخالج نفسه من جعل
اسم رونشتد في خدمته .

افترقا للمرة الاخيرة رجلين ليس بينهما في الحقيقة اي ضغينة ، وقد
تمكن رونشتد بعد ذلك من الوصول الى (بادتويلز) في (بافاريا) العليا ،
وبقي فيها حتى اسره الحلفاء بعد استسلام المانيا .

اضحت الحركات الاخيرة بعد ١٠ مارت (١٩٤٥) تزداد سرعة
واضطراباً ، فلم يستطع القائد الجديد في الغرب ان يحسّن الموقف .. واستمر
سوء الطالع في مجراه ، واستمرت الاقدار تعمل عملها ، وفي نهاية مارت او
في نيسان عثر على وثيقة في دبابة بريطانية محطمة في الجبهة البريطانية ،
وكان فيها تفصيل ما يتحتم على المانيا الرضوخ له عند الاستسلام .

ولكن مقاومة القطعات استمرت مدة طويلة، ولم تستسلم اكثر التشكيلات حتى ٩ مايس (١٩٤٥) ، وفي خلال هذه الاسبابيع الاخيرة لا يمكن اعتبار ما يجري حرباً ، كما لم تكن هناك قيادة المانية بالمعنى الصحيح ، ومع ذلك استمرت القطعات الالمانية في القتال حتى النهاية الرسمية ..

اللواء الركن



الفهرس

صفحة	
٥	كلمة ملك بروسيا فردريك الكبير
٧	مقدمة المترجم
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١١	مقدمة المشير فون رونشتد
١٣	مقدمة المؤلف
١٥	الفصل الاول : عائلته وأيامه الاولى
٢٦	د الثاني : نهاية الجيش القديم
٣٦	د الثالث : في الجيش الجديد
٥١	د الرابع : الحرب العالمية الثانية
٧٠	د الخامس : حرب الصاعقة في الغرب
٩٩	د السادس : النصر في فرنسا
١١٩	د السابع : الحرب في روسيا
١٤٦	د الثامن : العودة الى الغرب
١٧٥	د التاسع : المخاوف من الغزو
١٩٢	د العاشر : الجهد المضاعف
٢٣٠	د الحادي عشر : عام الغزو
٢٥٤	د الثاني عشر : كفاح الدروع
٢٨٦	د الثالث عشر : السهم الاخير
٣٢٥	د الرابع عشر : المصير المحتوم

آثار المترجم

الكتب العسكرية

- ١ - القضايا الادارية في الميدان - مطبعة الجيش - بغداد - ١٩٥٢ .
- ٢ - التدريب الفردي ليلاً بالاشتراك مع العميد الركن شاکر محمود شکري - ١٩٥٤ .

كتب التاريخ الاسلامي الصادرة

- ٣ - الرسول القائد - الطبعة الثالثة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤ .
- ٤ - قادة فتح العراق والجزيرة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤ .
- ٥ - قادة فتح الشام ومصر - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٥ .
- ٦ - قادة فتح بلاد فارس - دار الفتح - بيروت - ١٩٦٥ .
- ٧ - الفاروق القائد - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥ .
- ٨ - المهلب بن أبي صفرة الأزدي - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٤ .
- ٩ - الاحنف بن قيس التميمي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥ .
- ١٠ - قتيبة بن مسلم الباهلي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥ .
- ١١ - مقالات وبحوث في :

- أ - مجلة المجمع العلمي العراقي .
- ب - مجلة المجمع العلمي في الشام .
- ج - مجلة الرسالة المصرية .
- د - المجلة العسكرية العراقية .
- هـ - مجلة : « المسلمون » .
- و - مجلة الحج .

كتب التاريخ الاسلامي التي ستصدر تباعاً

- ١٢ - قادة فتح المغرب (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) .
- ١٣ - قادة فتح المشرق (السند - ارمينية - أذربيجان - تركستان - الأناضول) .
- ١٤ - قادة فتح الأندلس والبحار .
- ١٥ - قادة فتح أوروبا .
- ١٦ - الصديق القائد .
- ١٧ - الامام القائد .
- ١٨ - القادة الراشدون .
- ١٩ - الفتح الاسلامي .
- ٢٠ - الحرب والسلام في الاسلام .
- ٢١ - قادة النبي .
- ٢٢ - سفراء النبي .
- ٢٣ - شهداء الاسلام في عهد النبي .
- ٢٤ - سفراء النبي .
- ٢٥ - كرامة العلماء .

تاريخ الحرب

- ٢٦ - المشير فون رونشتد - مترجم عن الانكليزية .

هَذَا الْكِتَابُ

أصدر قادة الحلفاء من بريطانيين وأميركيين وسوفيائين كتباً
عن وجهة نظرهم في الحرب العالمية الثانية ، فترجم أكثرها إلى اللغة
العربية ، وأطلع القراء العرب على وجهة نظر الحلفاء فقط عن هذه الحرب .
وعلى الرغم من تأليف الألمان مؤلفات قيمة للغاية تُظهر وجهة
نظرهم أيضاً في أهم أحداث الحرب العالمية الثانية . إلا أن
القارئ العربي الذي لا يحسن غير العربية بقي حتى اليوم لا يعرف
شيئاً عن هذه المؤلفات .

والحق أن قادة الألمان حين أصدروا مؤلفاتهم توخّوا إلى
درجة كبيرة إظهار الحقائق التاريخية الخالصة ، لأنهم كانوا مغلوبين
لأغالبين .

ما هي حقيقة نوايا هتلر السلمية والعدوانية ؟ كيف اندلعت
نيران الحرب ؟ ما هي حقيقة الجيش الألماني على عهد هتلر ؟
ما هي حقيقة العلاقات الألمانية - الروسية قبل الهجوم الألماني
على روسيا ؟ لماذا سمح الألمان للبريطانيين بالانسحاب من
دانكيرك ؟ ما هي عوامل انهيار فرنسا ؟ لماذا لم يُهاجم الألمان
بريطانيا في عشرينياتها ؟

سنقر جواب كل ذلك في هذا الكتاب يرويهما لك شاهد
عيان المعنى من أبرز قادة الألمان وضباط ركنهم .
إنه كتاب ألف لوجه الحقيقة التاريخية يفيد القارئ العسكري
والمدني . بل يفيد كل مثقف عربي .

